

أحمد حماني

أصراع

بين
السنة والبدعة

أو
القصة الكاملة للسطوب بالإمام
الرئيس عبد الحميد بن باديس

الجزء الأول

نشا



الاهداء

الى اللذين عاشا متحابين فى الله متصافيين فى العشرة ،
متعاونين على البر والتقوى . وكانا - فى حياتهما - مثال
الصدق والصفاء ، والطهر والوفاء . والعمل الصالح الجاد النافع
المتواصل فى تواضع وإخلاص وإنكار للذات ، وتفان فى أداء
الواجبات ، فى خدمة الله والأمة والوطن .

الى من كان لهما أكبر أثر فى حياتي وفى حياة كثير من الناس
- بما بذلا من تضحيات غالية ، وبما سال من دمهما فى سبيل
الله .

الى أكرم الناس عندي ، وأعزهم علي ، وأحبهم الي ، الى
عبد الحميد بن باديس ، وأحمد بوشمال أقدم هذا العمل
المشواضع .

أحمد خماني

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على محمد النبي الكريم
رب يسّر وأعن
هذا الكتاب

مقدمة :

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة (*) .

وأما بعد، فهذا كتاب : (صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة للسيوطي بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس) أردنا منه أولا أن يكون بابا من كتاب يتحدث عن الحركة الإصلاحية الحديثة في الجزائر، فأبى إلا أن يكون كتابا كاملا في حجم محترم، وكاد يكون مستقلا عن أصله بموضوعاته المتشعبة، وجوانبه المتفرعة، وفصوله المتعددة، وأحداثه المتنوعة، وصفحاته الكثيرة .

(*) بهذه الخطبة من الآثار النبوية كان ابن باديس رحمه الله يبتدي دروسه للامة غالبا .

في هذا الكتاب سيجد القاري، فضلاً طويلاً عن السنة والبدعة وعن الصراع بينهما منذ فجر الاسلام وحتى الآن وموقف أئمة الاسلام الأعلام من السنة يلتزمونها قولا وفعلًا، ويعضون عليها بالتواجد . ومن البدعة يمتثلونها ويحذرون منها ويهتوتها ويبدلون كل وصفهم لطبيعتها وإغاثات صيوت أهلها .

وسيجد القاري كيف نشأت الحركة الإصلاحية الحديثة وكيف امتدت إلى بلادنا . وماذا أثرته في نهضتنا ، وفي نجاح امتنا في استرجاع شخصيتها والقضاء على عوامل فسادها ، وستبرز أمامه شخصية زعيم الإصلاح ببلادنا الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وماذا عمل لإحياء السنة وإماتة البدعة . وما يثل في ذلك من مساعي حميدة ، وماذا لقي من أذى شديد في نفسه وماله ومن الذي قام في وجهه واعترض سبيله . وما حسي الدواعي الدنيئة والبراعم السرية ؟ سيجد القاري القصة الكاملة لحادثة مريمة هي حادثة السطو بالشيخ عبد الحميد بن باديس ذات مساء من شتاء 1345 هـ (1926 م) وكانت حادثة مدمرة بأحكام وقعت من المتعدين عن عهد وتربص وسبق أصرار وكادت تؤدي بحياته وتؤدي إلى ذبحه كما تدبغ الشاة ألولا أن نساء الله من يد الجاني ... لو لا .

ما هي الأسباب القريبة والبعيدة لهذا السطو ؟ كيف ومتى وأين وقع ؟ من هو الجاني وما هو مصيره ومن كان وراءه يدفعه لاقتراف إثمه ؟ ما هي حقيقة فرقته الدينية وحقيقتهم السياسية ؟ شخصيات عجيبة ! أقوال خطيرة ولوازم خطيرة ، وتهم شنيعة ، وجهل كبير ، وإصرار عجيب ، هل ماتت فكرتهم الباطنية وبدعتهم في القول بالحلول وبوحدة الوجود ؟ أم هي ما تزال قائمة تحاول الظهور والعودة إلى ميدان الحياة والرداج ؟ من هم غرساتها بالأنفوس ؟

اتصالات مريمة بأهل الرب والتخريب في الخارج وفي الداخل ، دور الاستعمار الكريه في الحماية والرعاية والتأييد لكل ما يهدم الاسلام ويسبب للمسلمين الخراب والدمار ، إغلاق المساجد في وجوه العلماء الصالحين من دعاة السنة وإماتة البدعة ، وبناء النهضة الاسلامية الوطنية واليقظة القومية العربية . وفتح أبوابها . بل ففتح أبواب التكتلات العسكرية لـ (تعضين)

البدع و (تقييدها) وتسكين أهلها من كامل حريتهم لنشرها والإعلان بها في
مظاهرات بالشوارع .

زروة فكرية عظيمة من النثر الفني الأدبي والملمعي ، ومن الشعر العربي
الفعل المشرق البيان ، المتين البيان ، الرائع على مدى الزمان .

هذا ما نحاول أن نقدمه في هذا الكتاب معروضا بإمانة مع التحري
والتحقيق والصرح - إذا لزم شرح - والتحقق .

وقد تعرضنا لبعض التراجم أثناء المرض حاولنا فيها أن نعرف بها تعريفا
صحيحا برجال عظام منا لعبوا أدوارا إيمانية في نهضتنا ، وكان لهم اثر
عظيم على أمتنا ، فمنهم من اجتهد فأصاب . ومنهم من اجتهد فأخطأ ، ولا يهم
أحد في عقيدته ، ولا تحرم شبهة حول قصده ، وفي عرضنا لمواقفهم اعتراف
بفضلهم وتسجيل لأثارهم ، ولم نقصد أن نؤرخ لهم ، فإن للتاريخ أربابه
المتخصصين به . وما نحن إلا بعض الشاهدين على ما سمعنا ورأينا . فإذا كان
للسؤرخين فيما روينا معونة على أداء مهمتهم فذلك ما يسعدنا ، وإن وقع سهو
أو خطأ فإن الإنسان معرض للغلطات والسيان ، وعليهم أن يدغموا ذلك بحجة
وبرهان .

وما فيه المحاولة منا في التنويه باستاذنا ، وإمام المصلحين فينا ، سوى
مجهود صغير نشارك به من سبقنا من الأساتذة الجامعين لأثاره المدهين
بأخباره ، وفي طليعتهم اخونا الكريم الوزير المصلح العظيم الشيخ عبد الرحمن
شهبان . فقد بذل مجهودا كبيرا في إحياء آثار الشيخ والتنويه بشأنه والمحافظة
على ذكره بالقول والفعل وبالإسلوب الأمثل . ولا اعني انه أمر بنشر مجالس
التذكير من تفسير بعض آيات القرآن التي كتبها استاذنا بقلمه ، ونشرها في
شبابه ، أو شرح احاديث نبوية منتقاة ووكسل الإشراف عليها وتحقيقها
واعداؤها للنشر لأكثر الرجال لعالم كبير تنازل عن أعماله الخاصة المفيدة
لأداء هذا الواجب الأكيد . وهو اخونا العلامة محمد الصالح الصديق عضو
المجلس الإسلامي الأعلى والمؤلف الشهير بمشاركة تلميذيه نجيب من تلامذه
ابن باديس التقات وأوفاهم له وأنبههم ذكرنا الشيخ على شنتير ، والشيخ علي
مرحوم ، وكلاهما من أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى ، فجاء عملهم كاملا متقنا

بريثا مما يتعرض له مثله من تشويه وتحريف ، لا أعنى هذا فقط - وان كان لا يستهان به - ولكن أعني ان الشيخ شيبان كان حريصا شديد الحرص على إحياء ذكرى ابن باديس وتثبيت شخصيته وأخلاقه لا فى فكرة أجيالنا ، ولكن فى أنفسهم وأخلاقهم ، بأمره ان يعتمد أئمتنا وعلمائنا فى التربية الاسلامية الصحيحة والقومية الوطنية لناشئتنا وأجيالنا على هذه الآثار الشاهدة بعظمة شخصية شيخنا ، اذ لا يكفي فى ذلك الخطب والمحاضرات فى الاحتفالات السنوية تقال وتسمع ، وانما الذى يفيد هو تقديم مثل هذه الآثار لابن باديس التى تربط شخصيته بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأيت الأخ شيبان يستنطق الأئمة فى حفل رسمي وبحضور أكبر المسؤولين فى الدولة عن يملك منهم تفسير ابن باديس حتى اذا كان الجواب سلبيا أظهر حسرته الكبرى ، ثم أمر بتوفيره لهم وأمرهم أن يعتمدوا عليه ، ثم رأيت من بعد ذلك بعض هؤلاء الشبان المعتادين بيوت الله الثائرين على الأوضاع الفاسدة فى الدين وفى الاخلاق يلقى درسا على الجمع الكبير الذى غص به احد مساجد الجمعة موضوعه عباد الرحمن ، وبتفسير ابن باديس ، فأعجبت به ورأيته قد وفق فى أدائه وبرهن على حسن فهمه ، وأداه بروح من نفحات شخصية ابن باديس ، وآمنت أن ما أراد شيبان قد أدركنا بعضه .

ثم انه ما فعل ذلك لأغراض شخصية او منافع مادية ، ولكن لإيمان عميق وتفهم دقيق ، وحب ممكن لشخصية ابن باديس ولدوره العظيم فى خدمة دينه وأمته ووطنه ، ولاقتناع تام باننا اذا ربينا أجيالنا على منهاجه وأحيينا فيهم مبادئه فى التربية والتعليم نكون قد وجهناهم على أقوم خطة فى الاعتزاز بالدين وبالقومية الصحيحة ، وبالوطنية العميقة السليمة ، وبالجامعة المتينة لشملائنا المبنية على أقانيم ثلاثة هى الدعامة القومية والأساس المتين لوحدتنا والضمان الأكيد لوجودنا امة قوية عظيمة : (الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ،

الجزائر وطننا) .

وعبد الحميد عاش للإسلام ، والعربية ، والجزائر ، وهو منا وإلينا، فهو الشخصية الجزائرية القوية المصلحة الجامعة التى يمكن ان نجد فيها المثل الأعلى والقدوة الحسنة لأبنائنا مثل ما يجد الآخرون فى شخصياتهم العظمى ، وقد أنعم الله به علينا فلنشكر الله على نعمته ، وقد امتن الله سبحانه على

المسلمين جميعهم ، وعلى العرب انه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويذكرهم ، وان هذا الرسول - من أنفسهم - عزيز عليه عندهم، حريص عليهم، بالمؤمنين رؤوف رحيم . فمن نعم الله على أمة ان يكون الرجل القوي الأمين القدوة منهم. والأخ شيبان مقتنع بهذا وطالما صرح بأن علينا أن نشكر الله الذي انعم علينا بابن باديس وأمثاله ، ولو لم يكن لنا لكان علينا (ان نشتره) يقول هذا ردا على من عى عليه الحق ، أو استكثر من اهتمامنا بابن باديس وعنايتنا العظمى بآثاره وذكره مع القصد الصحيح من ذلك ، والخطأ الواضح في اعتراض ذلك عن حسن نية أو عن سوء نية ، فلو كان ما فعله لابن باديس - بعد وفاته - تحكما منا وتحزبا - وحاشا الله - لكان حكمة ما فعلنا ونعما هو ، ولكن الرجل من عباد الله المؤمنين المتقين ، جاءته العناية من الله الذي وعد في كتابه العزيز انه سيجعل - برحمته - للمؤمنين العاملين الصالحات ودا فاذا أحب عبدا ورضي عنه نودى في السماء بذلك فاحبه أهل السماء ووضع له القبول في الأرض ، وهذا ما كان - ان شاء الله - لابن باديس، فعبثا يحاول الشيطان ان يطفىء نور الله بالفم !

ومن قبل عناية الشيخ شيبان بآثار ابن باديس وتعميمها للانتفاع بها سبق الأخ الشيخ محمد الصالح رمضان أحد نجباء تلاميذه بمحاولة أولى نشر فيها من إملأه الشيخ ابن باديس على طلابه في علم التوحيد ، واعتمد فيها أسلوبا رائعا مفيدا مدعما بحجج من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مجنبه للناشئة من عقم (براهين) كلامية مبنية على المنطق والفلسفة اليونانية .

ثم كان أول من جمع ونشر تفسير ابن باديس - مجموعا - فهذا عمل مشكور نرجو ان يجدد طبع أكبر كمية ممكنة من العقائد اذا كانت قد اختفت من السوق .

ثم جاء من بعده الدكتور عمار طالبي فحاول ان يجمع كل آثار ابن باديس ويخرجها في كتاب نفيس كان الفضل في نشره لصديقنا الاستاذ (أبو داود) والأستاذ مرازقة الكتبيين الناشرين بالجزائر ، ولكن هذا الكتاب مع الأسف لم يكن وافيا بالغرض؛ فكم ترك مما كتبه ابن باديس ، أو كتب عنه وكساد يقتصر على ما كتب في مجلة الشهاب الشهرية، ولم يعرج - الا قليلا - على

ما كان له من آثار في المنتقد أو في الشهاب الأسبوعي ، أو في جرائد جمعية العلماء : السنة ، والشريعة ، والصراط ، والبصائر ، وله فيهن افتتاحيات ومقالات كثيرة ما تزال بموضوعاتها حية الى الآن .

وجاء من بعدهما الدكتور رابح تركي فعالج بروح الدراسة العميقة والبحث العلمي جانبا من جوانب شخصية ابن باديس وأعماله ، جانب التربية والتعليم ، فوفق في عمله ، واستحق الشكر عليه .

كل هؤلاء - وغيرهم - سبقوا الى الميدان مشكورين ، وبقيت جوانب كثيرة تحتاج الى القاء الضوء عليها ، ومنها هذا الجانب الذي عالجنه في هذا الكتاب ، فمع أهميته بقي مجهولا لا يكاد يذكر إلا عرضا مع أهميته البالغة في حياة أمتنا وحياته ، اذ كان بداية انقلاب خطير في تاريخ النهضة القومية وانتصارها الديني والفكري والسياسي ، وفي بروز شخصيته .

لقد كاد ابن باديس يدفع حياته الغالية ثمنا لإخلاصه وإتقانه لعمله ونصحه لأُمته وشجاعته .

فنحن نلقي ضوءا على هذا الجانب من حياته ونقدمه تداركا على من سبقنا ولحاقا بقاقلتهم مع الاعتراف بفضلهم وشكرهم على عملهم ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله .

ثم لا يسعني - قبل ختام هذه الكلمة - إلا ان أنوه بما يبذله الأخ الكريم عبد الحميد عياط من مجهودات عظيمة مثمرة في سبيل بث الثقافة الاسلامية والوعي القومي في خدمة وطنه على أسس سليمة ، وتلك إحدى المهام التي كتبها على نفسه عبد الحميد الأول ، وكانت الوسائل محدودة ، والمال نـزرا ، والامكانيات تكاد تكون بدائية ، ومع ذلك فقد كان لعمله المتواضع مفعول ثورة كبرى قلبت الأوضاع . ولا شك ان "دار البعث" التي يشرف عليها عبد الحميد الثاني بحكمة وحنكة وحزم وقوة وسداد رأي وإخلاص كامل - ان شاء الله - لله وللوطن ستؤدي مهمتها على أكمل الوجوه ، ولا بد ان يظهر اثرها ولو بعد حين .

ومن فضل هذا الأخ انه طلب مني - منذ بضع سنوات - ان أقدم له ما أشاء لطبعه ونشره ثقة بأخيه وحسن ظن ، فوقع ذلك في نفسي ، ولكن الظروف

لم تساعدني ، غير ان كتابه الأخير الذى عين لي موضوع تاريخ ابن باديس وألح فيه على تناول حركته العلمية الاصلاحية، مشاركة فى إحياء ذكره على أكمل الوجوه من تلاميذه وإخوانه، دفعني الى العمل، ورأيت المشاركة من أوكد الواجبات ، وسأقدم له ما أستطيع فى هذا الموضوع وفى غيره ان شاء الله مما كتبت وأنتجت من محاضرات وفتاوى ومقالات .

واني أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، ان يهدينا، ويصلح بالناس ، ويسدد خطانا ، ويلزمنا كلمة التقوى ، ويجعلنا - فى عصرنا - أحق بها وأهلها انه سميع مجيب ، رحمان رحيم ، وصلى الله على محمد وعلى آله ، وصحبه ، والذين اتبعوا منهاجهم الى يوم الدين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

احمد حماني



القسم الأول

السنة والبدعة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

كلمة السنة تطلق - لغة - عن الطريقة ، سنة كل أحد ما عهدت منه المحافظة عليه والإكثار منه كان ذلك في الامور الحميدة أو غيرها (1) . وقال الخطابي : (أصلها الطريقة المحموده ، فاذا أطلقت انصرفت اليها ، وقد تستعمل في غيرها مقيدة) .

وقال بعضهم : (السنة هي الطريقة المعتادة سواء كانت حسنة أو سيئة) وبرهن على ذلك بما صح في الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم : (من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة) وقوله : (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع) الحديث رواه البخاري . ففى كل من الحديثين أطلقت على الحسن والسيء من طرائق السلوك .

وللسنة استعمال فى اصطلاح المحدثين وفى اصطلاح الفقهاء ، فهى عند المحدثين (اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء قبل البعثة أو بعدها ، وفى اصطلاح الأصوليين ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير) (2) .

(1) الامدى - فى الاحكام - مبحث السنة .

(2) كتاب السنة للدكتور مصطفى السباعى ، ص 47 .

والأمثلة لا تخفى ، فمثال القول : (بني الاسلام على خمس) ومثال الفعل ما نقل عنه من صفات الصلوات ، ومناسك الحج ، وآداب الصيام، ومثال التقرير ما وقع أمامه من فعل أصحابه ولم ينكر عليهم مثل ما وقع يوم قريظة عندما قال لهم : (لا يصلين العصر أحدكم إلا فى بني قريظة) فان بعضهم فهم انه يريد من ذلك حثهم على السعي والتعجيل لا تأخير الصلاة عن وقتها، فلما حل وقتها صلواها مخالفين ظاهر الأمر ، وفهم بعضهم النهي عن إيقاع الصلاة قبل الوصول فأخروها حتى بلغوا قريظة بعد غروب الشمس فصلوها ، وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم كل فريق من الفريقين على ما أداه اليه اجتهاده فى فهم النص . ومثاله أيضا ان خالد بن الوليد أكل أمامه لحم الضب فلم ينكر عليه .

وتطلق فى اصطلاح الفقهاء - على ما ليس بواجب مما فعله صلى الله عليه وسلم وواظب عليه وتركه فى بعض الأحيان لغير عذر ، وهذا ما يأتى فى قولهم مثلا : (سنن الوضوء ، سنن الصلاة) فهى (ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة) (3) .

وتطلق السنة - فى اصطلاح الفقهاء - أيضا على ما يقابل البدعة ، ومن ذلك قولهم : (طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا) (4) والمراد بطلاق السنة ما جاء موافقا لما جاء فى السنة من طلاق المرأة فى طهر لم يمسه فيها طلقه واحدة من غير أن يتبعها بطلقة أخرى حتى تخرج من عدتها ، وبطلاق البدعة ما خالف شيئا من ذلك كأن يطلقها فى حيض ، أو طلقتين فى كلمة أو ثلاثا الخ

فالمراد بالسنة - المقابلة للبدعة - ان يكون الفعل موافقا لما جاءت به الشريعة من فعل أو ترك أعم من ان يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا ، فصاحب البدعة هو من خلاف ما جاء عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم أعم من ان يكون مأمورا به أو منهيًا عليه .

(3) السنة 48 .

(4) ارشاد الفحول للشوكانى مبحث السنة .

ومن اخترع شيئا من عنده ليعبد الله به فهو مبتدع ، ومن ترك شيئا مباحا يريد ان يتقرب بتركه الى الله فهو مبتدع، يبين ذلك ما صح من ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعوا واستقلوا ما يتعبدون به وأرادوا ان يجتهدوا فى العبادة فالتزم بعضهم ان يقوم الليل - تهجدا - ولا ينام ، والتزم آخر ان يصوم الدهر ولا يفطر ، وعزم ثالث ان لا يقرب امرأة ويختصي، وقال رابع انا لا اكل اللحم ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب وخطب فقال : (ما بال أقوام يقترحون أشياء ليست فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ، اما أنا فاني اقوم وأنام وأصوم وأفطر ، وأكل اللحم وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) رواه البخاري .

فمن الواجب ان يتهم المرء رأيه ، ولو زين له وان يتبع نبيه فى كل ما جاء به لأنه أعرف منه بمصلحته .

بعثة الأنبياء

وانما وجب اتباع النبي فى كل ما جاء به لأنه هو الذى عينه ربنا لهدايتنا وعصمه ، فاتباعه خير ونجاة، والمخالفة عن امره شر وهلاك . فقد بعث الله النبيين الى خلقه هادين ومهتدين ، مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وانزل معهم الكتاب من عنده ، وجعل طاعته من طاعة رسوله ومعصيته من معصيته : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، مَنْ يَطْعِ الرُّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا » .

وكان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - خير خلقه - خاتم النبيين وإمام المرسلين ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فبلغ رسالته، وأدّى أمانته ، وجاهد فى الله حق جهاده - وشهد الله له، وكفى به شهيدا - بالتبليغ والجهاد ، فقال تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ، بعد ان قال من قبل : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتِهِ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » فلو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا مما أوحى اليه لم يبلغه لما صحت الشهادة بأن الله قد أكمل دينه وأتم به علينا نعمته . فآية إكمال الدين التى نزلت قبل وفاة رسوله صلى الله عليه وسلم بنحو تسعين

يوما أعظم شهادة بالتبليغ شهد له بها مولاه الذى استشهد به فى حجة الوداع بقوله : أثناء خطبته (اللهم فاشهد) وقد أعلن الله رضاه عن رسوله وعن الذين جاهدوا معه فى قوله : « لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون » .

لهذا كان خير القرون ذلكم القرن ، وخير الناس - فداهم أبى وأمي - أولئك الناس الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه . ولهذا كانت سنة خلفائه الراشدين - من بعده سنة لنا أوصى باتباعها والاقتراء بها ، كما أوجب الله الاقتداء به فى قوله : « لقد كان لكم فى رسول الله إسوة حسنة » وقوله : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وكان مما أتى به وجوب التزام سنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده فى قوله : - فى الحديث الصحيح - فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . . . » .

ان محمدا صلى الله عليه وسلم جاء ليبلى ما أنزل اليه من ربه ، وقد آتاه الله القرآن ومثله معه ، فهو يبين لنا القرآن ، ويشرع الأحكام فيما يوحى اليه ، فمهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم العظمى هى بيان ما أنزل اليه من القرآن كما قال تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » لأن القرآن الكريم فيه المجلد وفيه المبهمة مما يحتاج الى بيان وتوضيح من صاحب الرسالة ولا يجوز ان يبقى دون بيان ولا يؤخر البيان عن وقت الحاجة .

فالله سبحانه أوجب الصلاة والزكاة بقوله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » والصلاة المأمور بها فى الآية مجملة ، اذ الصلاة - فى لغة العرب - الدعاء فما هى الصلاة التى أمرنا بها فى هذه الآية وفى غيرها ؟ لقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يجب علينا منها فى اليوم واللييلة وبين كيفيتها ، وعدد ركعاتها ، وأوقاتها وأقوالها ، وأفعالها ، والنوافل منها والسنن ، بين ذلك بأقواله وبأفعاله وقال : (صلوا كما رأيتموني أصلي) .

وما قيل فى الصلاة يقال مثله فى الزكاة فانها جاءت فى الآية مجملة فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نصابها ومقدارها ، وما تجب فيه من الأموال ومالا ، وهكذا الصيام ، وهكذا الحج الواجب بقوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » بينه بقوله ، وبفعله - فى حجة الوداع - وقال (خذوا عني مناسككم) .

وكما بين الرسول عليه الصلاة والسلام ما انزل اليه فانه كان يشرع الأحكام بما يوحى اليه ، فكل ما جاء به وبلغه الى الثقلين فهو من عند الله ولا يجوز الشك فيه ولا التردد عنده ، ومن فعل ذلك كان من الهالكين ، ففي الحديث عن أبي رافع انه صلى الله عليه وسلم قال : (لا الفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) زاد في حديث المقداد ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله (5) .

ومما شرعه الله لنتعبده به ، ونتقرب اليه بفعله ذكره ، قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا » . وقال : « واذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ » . وقال في معرض المدح والوعد بالمغفرة والاجر العظيم « وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ » .

وقال في أولي الأبواب انهم : « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... » .

وأفضل أنواع ذكر الله ما ذكره به الأنبياء والمرسلون مما ورد في كتاب الله ، وما صحت روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء في الحديث : (أفضل ما قلته أنا والنبِيُّون من قبلي لا اله الا الله) والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مما يذكر الله به لأنها دعاء لله ان يرحم عبده ورسوله ويعلى درجته، ولما جاء الأمر بها في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » لم يبادر الصحابة - وهم البلغاء الفصحاء لاختراع صلوات من عندهم وتأليف كلام من وضعهم ، لكنهم جاءوا اليه وقالوا : (يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟) فعلمهم الصلاة الإبراهيمية وهي مشهورة معلومة يصلى بها عليه المؤمنون في تشهدهم في الصلاة، ومما روى من صيغها (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) (6) . فأفضل صلاة على النبي ما علمه لأصحابه ، والقول بأن صلاة أخرى تفوقها - كصلاة

(5) الشفاء للقاضي عياض ، ج 2 ، ص 17 في فصل مخالفة أمره بدعة .

(6) الشفاء : ج 2 ، ص 69 من فصل كيفية الصلاة عليه .

الفتاح المزعومة - بل تعدل ختمات من القرآن - انما هو وحي من الشيطان ونسبتها الى النبي وانه علمها لمنتحلها ليبلغها لاتباعه زور وبهتان ، ومن افطم ما يفتره إنسان ، لأنه اتهم للنبي بأنه كتم شيئا من الرسالة وذلك أجهل الجهل .

اتباع السنة حتم :

لا يتحقق إيمان المسلم حتى يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ويدعن اليه ، ويرضى به ، وقد زعم قوم من أهل الكتاب انهم : « **أبناء الله وأحبّاءه** » ولم يتبعوا رسول الله مع ما جاءهم من الأمر في كتبهم فقال فيهم : « **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** » . ورد بعض المنافقين ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيهم « **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** » ورد حكم الرسول علامة الارتياح كما بين قوله تعالى : « **وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ، أَفَبِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أسوتنا وقدوتنا في كل تصرفاتنا ، فما فعله فعلناه وما تركه ونهى عنه تركناه ، قال تعالى : « **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ، وَحَدَّ ثَغْوَهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ** » .

فاتباع السنة فلاح ونجاح ، ومخالفتها ضلال وهلاك ، قال الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز : (سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور بعده سننا الأخذ بها تصديق بكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها ، من اقتدى بها فهو مهتد ، ومن انتصر بها فهو منصور ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا) (7) .

(7) الشفاء : ج 2 ، ص 13 .

وقد يكون الفعل فى ذاته مشروعا مرغوبا فيه اذا جاء على وجهه اعتبر من اجل الطاعات وأعظم القربات كالصلاة والتهجد والصوم ، ولكنه اذا لم يفعل على مقتضى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى وقته أو فى كيفيته أو فى الغلو فى العبادة به ، كان بدعة ، لأنه خالف سنته فانقلب الى معصية ، وعدوان ، يغضب الله ولا يرضيه ويستوجب عقابه لا ثوابه .

قال تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » اذ مخالفة الرسول شقاق له ومحادة ، والله يقال : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نول ما تولي ونصله جهنم وساءت مصيرا » .

وروى القاضى أبو بكر بن العربى فى الأحكام أن سفيان بن عيينة قال : (سمعت ملك بن أنس وأتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله من أين أحرم ؟ قال : من ذى الحليفة ، من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : انى أريد أن أحرم من المسجد ، فقال : لا تفعل فاني أخشى عليك الفتنة ، قال : وأي فتنة فى هذا ؟ وانما هى أميال أزيدها ، قال : وأي فتنة أعظم من ان ترى انك سبقت الى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انى سمعت الله يقول : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » ، (8) .

ولعن ابن مسعود رضي الله عنه : (الواشمات والمستوشمات والمتنمصات المتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فجاءته امرأة فقالت . . . بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال : وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله ، فقالت المرأة لقد قرأت ما بين لוחي المصحف فما وجدته فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدته) ، قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » والحديث فى مسلم .

ورأى عبد الرحمن بن يزيد محرما عليه ثيابه فنهاه ، فقال اثنتى بأية فقرأ عليه الآية السابقة .

(8) أحكام القرآن عند تفسير هذه الآية .

وكان طاووس يصلي ركعتين بعد العصر فقال له ابن عباس - أي نهاه عن فعلها - فقال طاووس إنما نهى عنهما أن تتخذوا سنة ، فقال ابن عباس قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة بعد العصر فلا أدري أتعذب عليهما أم تؤجر لأن الله تعالى قال : « وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم » (9) .

(9) أصول الفقه للخضري ، ص 239 بتصريف قليل .

البدعة والتقليظ فيها

كل ما خرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية أو الفعلية أو الإقرارية ، وخالف طريقته وهديه وما جاء به من الدين فهو بدعة لأنه جاء على غير مثال مما شرعه الله ورسوله للخلق .

والبدعة - لغة - مأخوذة من مادة (بدع) - الاختراع على غير مثال سابق ومنه قوله تعالى : « **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** » أى مخترعهما على غير مثال سابق ، وقوله : « **قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ** » ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمنى كثير من الرسل ، ويقال ابتدع فلان بدعة يعنى اخترع طريقة لم يسبقه اليها سابق ، ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع وهيئتها هى البدعة ، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة ، فمن هذا سمي العمل الذى لا دليل عليه فى الشرع بدعة (*) .

وقد رد الشارع البدعة وحذر منها وحكم عليها بانها فى النار ، ففى الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال : (من أحدث من أمرنا ما ليس منه فهو رد) أى مردود على صاحبه ، وفى صحيح البخارى انه صلى الله عليه وسلم حدث ان الله لعن من أحدث حدثا فى المدينة أو آوى محدثا ، ولا يختص لعن المحدث بمن كان فى المدينة ، وانما ذكرت للتقليظ .

وفى حديث العرباض بن سارية بعد ان حث على التزام سنته وسنة الخلفاء المهديين من بعده حذر من البدعة وحكم عليها بالنار فقال : (فعليكم بسنتى

(*) راجع الاعتصام للشاطبى .

وسنة الخلفاء الراشدين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور
فان كل بدعة ضلالة) زاد في حديث جابر : (وكل ضلالة في النار) .

وفد عرف العلماء البدعة بانها : (طريقة في الدين مخترعة تضاهي
الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه) .

فالصحابة الذين اجتمعوا - وهم خيار الخيار - رأوا أنفسهم مقصرين في
العبادة فأرادوا ان يقترحوا الاجتهاد في التهجد وفي الصيام وفي ترك اللذات
والشهوات المباحة تقربا الى الله وما كتب الله ذلك عليهم ، نهاهم الله ورسوله
عن الإقدام عليها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : (فمن رغب
عن سنتي فليس مني) ، وهذا وعيد شديد لا أعظم منه ، ان يتبرأ منه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سماه الله في كتابه اعتداء اذ أنزل فيه قوله
تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » .

وانما سماه اعتداء لأن التشريع لا يكون الا من الله أو من رسول الله
بأمره واذنه، وعو اذا وقع من غيرهما من نوع الشرك كما تدل عليه الآيات
كقوله تعالى : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ،
قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ » وقوله : « أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ
الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ » وقوله في أهل الكتاب : « إِن تَخَلَوْا أَحِبَّاءَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ » روى الترمذي وغيره من حديث عدي بن حاتم رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « اما انهم لم يكونوا يعبدونهم
ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه » (1)
قال أبو بكر بن العربي : (فيه دليل على ان التحريم والتحليل لله وحده
وهذا مثل قوله : « وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » بل يجعلون التحريم
لغيره) اهـ .

فالمبتدع كل من اخترع ما يتقرب به الى الله بفعل أو بترك ، كأن يترك
تناول ما أحل الله له تناوله من غير عذر شرعي ، كما تقدم فيمن أراد ان يترك

(1) الاحكام لابن بكر بن العربي ، الطبعة الاخيرة - دار المعارف ، بيروت ،
ص 927 .

أكل اللحم تقربا - فى زعمه - الى الله أو يترك مقاربة النساء ، والاختصاص ، وهذا مثل ما وقع لقوم عيسى عليه السلام فيما ابتدعوا من رهبانية لم تكتب عليهم أرادوا بها ابتغاء وجه الله وخالفوا سنته فى الخلق والعمران، فلم ينفعهم اختراعهم ، وقال الله فيهم : « **وَجَعَلْنَا فى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ، وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حق رعايتها ، فَأَتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ،** قَالَ أُمِرُّهُمْ إِلَى الْفَسْقِ وَذَلِكَ عَكْسُ مَا أَرَادُوهُ مِنَ التَّرَهُّبِ ، وَهُوَ مُشَاهِدٌ وَاقِعٌ .

قال أبو اسحاق الشاطبى «تارك المطلوبات الشرعية ندبا أو وجوبا على ضربين احدهما ان يتركها لغير التدين ، إما كسلا أو تضييعا أو ما أشبه ذلك ، فهذا الضرب راجع الى المخالفة للأمة فان كان فى واجب فمعصية ، وان كان فى ندب فليس بمعصية اذا كان الترك جزئيا ، فان كان كلياً فمعصية (2) .

والثانى ان يتركها تديناً، فهذا الضرب من قبيل البدع حيث تدين بضد ما شرع الله . . . » ثم قال : (. . . فقلوله فى الحد - أى حد البدعة - طريقة مخترعة تضاهي الشرعية يشمل البدعة التركية كما يشمل غيرها) ثم قال : (ان المبتدع معاند للشرع مشاق له ، لان الشارع قد عين لمطالب العباد طرقاً خاصة وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعيد، وأخبر ان الخير فيها ، وان الشر فى تعديها الى غير ذلك لأن الله يعلم ونحن لا نعلم ، وانما ارسل الرسول رحمة للعالمين) اهـ .

فالمبتدع راد لهذا كله، فانه يزعم ان ثم طرقاً آخر ليس ما حصره الشارع بمنحصر ولا ما عينه بمتعين كأن الشارع يعلم ونحن أيضاً نعلم ، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع انه علم ما لم يعلمه الشارع ، وهذا ان كان مقصوداً للمبتدع فهو كفر بالشرعية والشارع ، وان كان غير مقصود فهو فى ضلال مبين(3) .

وعن ابن الماجشون - من اصحاب مالك - قال : سمعت مالكا يقول : (من ابتدع فى الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم ان محمداً خان الرسالة، لأن الله

(2) الاعتصام ، ج 1 ، ص 25 .

(3) الاعتصام ، ج 1 ، ص 29 .

يقول « اليوم اكملت لكم دينكم » فما لم يكن يومئذ ديننا فلا يكون اليوم ديننا (4) .

ثم قال الشاطبي : (ان المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع . . . وصير نفسه نظيرا ومضاهيا حيث شرع مع الشارع وفتح للخلاف بابا ، وانه متبع لهواه ، والله يقول : « **وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ** » فجعل الأمر محصورا بين أمرين : اتباع الذكر واتباع الهوى ، وقال : « ومن أضل ممن **اتَّبَعَ هَوَاهُ** » تأملوا هذه الآية فهي صريحة في ان من لم يتبع هدى الله في هوى نفسه فلا أحد أضل منه ، وهذا شأن المبتدع فانه اتبع هواه بغير هدى من الله ، وهدى الله هو القرآن (5) .

وعن ابن مسعود في قوله تعالى : « **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** » (تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة) (6) .

بغض السلف للبدعة وأهلها

ما زالت البدعة ممقوتة مبغوضة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذر منها وجعلها في النار ، وأول من أبغضها من بعده صحابته ، ثم الذين اتبعوهم باحسان من عهدهم الى الآن .

ففي الصحيح ان حذيفة رضي الله عنه قال : (يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر ؟ قال : نعم قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي) ، وعن أبي هريرة - رواه ابن وضاح - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سيكون في أمتي دجالون كذابون يأتونكم ببدع من الحديث لم تسمعوها انتم ولا أبائكم فأياكم وإياهم ، لا يفتنونكم) وروى أيضا عن عائشة : (من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الاسلام) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) وعنه انه قال : (عليكم بالعلم قبل ان يقبض . . . وستجدون أقواما يزعمون انهم يدعون الى كتاب الله . وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتبتدع والتنطع

(4) الاعتصام ، ج 1 ، ص 28 .

(5) راجع الاعتصام ص 30 وما بعدها .

(6) الاعتصام ، ص 35 .

والتعمق، وعليكم بالعتيق . . . لا تبتدعوا ولا تنطعوا ولا تعمقوا وعليكم بالعتيق خذوا ما تعرفون ودعوا ما تنكرون ، القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة (7) .

ومن أقوال مالك بن انس رضى الله عنه : (لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها) وانما صلح أولها بالتزام كتاب الله وسنة رسول الله ، وكان كثيرا ما ينشد :

وخير أمور الناس ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع وعن الحسن بن أبي الحسن : لا تجالس صاحب بدعة فانه يمرض قلبك ، وعن أبي قلابة - وهو من الفقهاء ذوى الألباب - (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فاني لا آمن ان يغمسوكم فى ضلالتهم ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون) .

وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبة له : (الا واني لست بمبتدع ولكني متبع) .

التصوفة والبدعة

من أهل التصوف علماء عرفوا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتزموا الحق واستقاموا على الطريقة كما أمر الله فى قوله : « فاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن تَابٍ مَّعَكَ وَلَا تُطْغَوْا » وأي طغيان أعظم من الخروج عن سنة رسول الله (ص) . هؤلاء العلماء القرآنيون المقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم مقتوا البدعة وأهلها وحذروا منها ومنهم .

قال أبو القاسم القشيري - وهو عمود نحلتهم - : (انهم انما اختصوا باسم التصوف لانهم انفراد به عن أهل البدع (8) . وقال الفضيل بن عياض وهو من أجل عبادهم) .

(من جلس مع صاحب البدعة لم يغط الحكمة) ، وقال أبو بكر بن سعدان من أصحاب الجنيد : (الاعتصام بالله هو الامتناع من الغفلة والمعاصي والبدع والضلالات) (9) .

(7) انظر الاعتصام صفحة : 54 - 55 وما قبلهما وما بعدهما من الجزء الاول .

(8) الاعتصام : ص 63 .

(9) الاعتصام : ص 67 .

وقال الجنيد - وهو إمامهم الاعظم - (مذهبنا مقيد بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الامر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة) (10) .

وسئل أبو علي الروزباري عن يسمع الملاهي ويقول : هي لي حلال لأنني قد وصلت الى درجة لا يؤثر في اختلاف الأحوال فقال : نعم ، ولكن الى سقر ! (11)

وقد نقل أبو اسحاق الشاطبي كثيرا من أقوالهم ثم قال : (كلامهم في هذا الباب يطول، وقد نقلنا من جملة ممن اشتهر منهم ما ينيف عن أربعين شيخا جميعهم يشير أو يصرح بان الابتداع ضلال، والسلوك عليه تيه، واستعماله رمي في عماية ، وانه مناف لطلب النجاة، وصاحبه غير محفوظ، وموكل الى نفسه، ومطروود عن نيل الحكمة ، وان الصوفية الذين نسبت اليهم الطريقة مجمعون على تعظيم الشريعة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آدابها بعد الناس عن البدع وأهلها) (12) .

هل في البدع مستحسن ومستهجن ؟

كذلك قال بعضهم ، ونسب الى عز الدين بن عبد السلام وانه قسم البدع الى مستحسنة وغير مستحسنة، وجعلها مما تعتريه الأحكام الخمسة: الوجوب ، والندب ، والحرام ، والكراهة ، والإباحة ، وضرب مثلا لما هو واجب منها بجمع المصحف وكتابته، وبالعلوم الحادثة لخدمة الشريعة ، ولكن ظاهر الحديث - بل صريح نصه - ينفي هذا التقسيم لأنه عليه الصلاة والسلام يقول : (كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار) فليس في البدع مستحسن لا يقبله الشرع ، بل كل بدعة فهي مقبوحة .

واما جمع المصحف والعلوم الشرعية والمساعدة على خدمة الشريعة فلا يصدق عليها تعريف البدعة .

(10) الاعتصام : ص 69 .

(11) الاعتصام : ص 70 .

(12) الاعتصام : ص 71 .

بل يصدق على جمع المصحف وكتابتها انه سنة أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بالتزامها وحث عليها في قوله صلى الله عليه وسلم : (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) وجمع المصحف مما اجمع عليه الخلفاء الأربعة؛ شرع فيه أبو بكر وعمر وأكملته عثمان ، وصرح على انه لو لم يفعل قبله لفعله ، فتسميته بدعة - اذا صحت - تسمية مجازية ، كذلك جمع عمر الناس في صلاة التراويح على قارئ واحد سماه بدعة مجازا ، والا فهي سنة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبفعله وتركها النبي (ص) شفقتة على أمته ان تفرض عليهم فلما أمن الفرض أمر بها عمر، وكذلك وضع علم النحو ، فقد كان بأمر من علي بن أبي طالب لأبي الأسود الدؤلي كما هو مذكور في تاريخ النحو، ومثل النحو غيره من علوم العربية ، وكذلك علم أصول الدين، وعلم أصول الفقه ، كل هذه لا يصدق عليها انها بدع .

فان البدعة (عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية بقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه) (13) .

فالبدعة خاصتها انها خارجة عما رسمه الشارع ، وبهذه الخاصة ينفصل عنها كل ما يظهر لبأدى الرأي انه مخترع مما هو متعلق بالدين ، فعلم النحو والصرف واللغة ، وأصول الفقه ، وأصول الدين وكل العلوم الحادمة للشرعية ان لم توجد في الزمان الأول ، فان أصولها موجودة ، فبالنحو يتوصل للنطق الصحيح بألفاظ القرآن ، وبعلم اللسان يهتدى الى الصواب في الكتاب والسنة، وبأصول الفقه يمكن استقراء كليات الأدلة لتكون نصب عين المجتهد والطالب .

وتصنيفها على الوجه الذي صنفت عليه مخترع حقا ، ولكن في الحديث ما يدل على جواز الإقدام عليه وحتى لو سلم انه لا دليل عليه بالخصوص ، فالمصلحة المرسلة تقتضيه والشرع - بجملته يدل على اعتباره - فليس ببدعة البتة .

برهان ذلك اننا لو اعتبرنا ذلك بدعة للزم ان يكون جمع المصحف وكتابتها قبيحا ، وهو باطل بإجماع ، فليس اذاً ببدعة ، فلا بد له من دليل شرعي ،

(13) الاعتصام : ص 19 .

وليس له دليل شرعي الا المصلحة وهو ماخوذ من جملة الشريعة ، واذا ثبت جزئي في المصلحة المرسله ثبت مطلق المصلحة واستدل بها ، لهذا لا ينبغي ان يسمى وضع كل علم متصل بالشريعة بدعة ، فلا النحو ببدعة، ولا أصول الفقه ، ولا أصول الكلام ، ولا غير ذلك .

قال الشاطبي في هذا المبحث النفيس : (من سماه بدعة فإما على المجاز كما سمي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيام الناس في ليالي رمضان بدعة ، وإما جهلا بمواقع السنة والبدعة فلا يكون قول من قال ذلك معتدا به ولا معتمدا عليه) .

واما المضاهاة للشرعية الواردة في تعريف البدعة فان المراد ان المبتدع يشابه ببدعته الأعمال الشرعية ، والحقيقة انها ليست كذلك، كمن نذر الصيام قائما ، ومن نذر الانقطاع للعبادة ، ومن نذر الاقتصار في الأكل على صنف ، وكمن التزم كيفية خاصة معينة كالذكر بهيئة اجتماع على صوت واحد ، وكالتزام عبادات معينة في أوقات معينة ليس لها أصل في الشريعة كصوم نصف شعبان وقيام ليلته ، فالمبتدع يضاهي بها السنة ليلبس بها على الغير، (لذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته بأمور تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه في أهل الخير) (14) .

وقد يكون باعث المبتدع على ابتداعه ان يبعث في النفوس النشاط ، فقد تمل النفوس وتسأم العبادات الرتيبة ، فاذا جدد لها أمر لا تعده حصل لها نشاط آخر لا يكون لها مع البقاء مع الأمر الأول كما قيل : (لكل جديد لذة) . قال الشاطبي : (وقد تبين بهذا القيد - يعني قيد المضاهاة للشرعية ، ان البدع لا تدخل في العادات ، فكل ما اخترع من الطرق في الدين مما يضاهي المشروع - ولم يقصد به التعبد - فقد خرج عن هذه التسمية كالمغارم الملزمة على الأموال وغيرها على نسبة مخصوصة ، وقدر مخصوص مما يشبه فرض الزكوات ، ولم يكن اليها ضرورة ، وكذلك اتخاذ المناخل ، وغسل اليدين بالاشنان وما اشبه ذلك من الأمور التي لم تكن من قبل فانها لا تسمى بدعة) .

(14) الاعتصام : ص 21 ، ج 1 وما بعدها .

ومما تقدم يتبين ان البدعة واحدة قبيحة كلها ، ضلالة كلها ، فى النار
هى وصاحبها ، وليس فيها مستحسن بل كل ابتداع مستهجن ، وما يتوهم
انه بدعة كجمع المصحف وكتابه وكالعلوم التى تخدم الشريعة ليس ببدعة
أصلا بل قامت على شرعيتها أدلة الشريعة ، واما الأمور العادية فأصلها الإباحة
وهى خاضعة للضرورة ، والمصلحة ، مجارية لها . والله أعلم .



التأمر بالمعروف والتناهي عن المنكر من نصر السنة وقمع البدعة

أوجب الله على الأمة الإسلامية التأمر بالمعروف والتناهي عن المنكر لحراسة مجتمعهم عن الآفات الطارئة ودوام سلامتهم في دينهم وأخلاقهم واستقامتهم في تصرفاتهم ، وقد شرع ذلك ووجب بمثل قوله تعالى : « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، وقوله : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » ومدح في كتابه المتأمرين بالمعروف المتناهيين عن المنكر في قوله تعالى : « مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ » .

وفي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

وقد جاء التحذير والوعيد بالعقاب الشديد لمن أخلوا بهذا الواجب ، وتركوا التأمر بالمعروف أو انهمكوا في فعل المنكر أو سكتوا عنه ، قال تعالى : « لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لِبُئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » . وانما قص الله علينا ذلك من شأنهم لنعبر بهم ونحذر أن يقع

لنا مثل ما وقع لهم من عصيان الله ، أو من العدوان أو من السكوت عن المنكرات . وقد جاء التحذير الخاص بنا الموحى به الى نبينا فبلغه اليينا فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم) .

وهذه الوظيفة الجليلة - في مجتمع المسلمين - خبر ضمان لاستقامتهم ودوام حراسة يقظة لأخلاقهم ، من ان يتطرق اليها الخلل والفساد ، ويقوم بها جميع المسلمين كل بما يستطيع في محيطه وحسب علمه ومعرفته ، ثم يختص بها طائفة منهم استعدت لذلك ، وتسليحت بالعلم والمعرفة ، وبالشجاعة والإخلاص ، وهم العلماء الذين ورثوا النبوة في القيام بالدعوة ، ورفع الله درجاتهم ، وجعلهم في هذه الأمة كأنبيا بني إسرائيل .

ومنذ عصر الصحابة رضوان الله عنهم كان هؤلاء العلماء يؤدون واجبهم كل بما استطاع ، فانه لما بدأ قرن الشيطان ، وظهرت البدع واقبلت الفتن سجلوا مواقف خالدة، فبادروا بالإنكار وأدوا مهمتهم ، ولاشك ان من أشد أنواع المنكر ظهور البدع ، لان البدعة تهدد الشريعة نفسها بتشريعات جديدة في المسلمين يحدثها المبتدعون . وكان من أول ما ظهر من البدع القول بالقدر وهو أصل الاعتزال ، وبلغت فتنة المعتزلة أوجها حينما اجبروا المسلمين على القول بخلق القرآن ، وكذلك كان من البدع تأويل آيات القرآن على غير وجهها ورفع السلاح على أهل القبلة ، وشق الطاعة، وتفريق الجماعة ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق .

الصراع المستمر :

ان الصراع بين السنة والبدعة لقائم مستمر منذ القديم ، وعلى مدى الأجيال والقرون ، لأنه - في الحقيقة - صراع بين الشريعة وقيامها ، ودوامها واستمرارها نقية كما جاء بها صاحبها ، وبين محاولة هدمها وتحريفها ، ومحقق دولتها وأهلها .

فعلها في افتراق الكلمة :

فالعلماء لم يسبكتوا عنها ، بل كانوا منذ عهد الصحابة ، وعلى طول الزمن وحتى الآن يعلنون إنكارها والحرب عليها وعلى أهلها ، لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في لعن من أحدث حدثا في المدينة أو آوى محدثا ، ولا مفهوم لتقيده بالمدينة وإنما جاء للتغليظ . وإنما لعن صاحب البدعة لأن عمله من أكبر الدواعي لفتنة المسلمين وانحرافهم عن الطريق السوي والمحجة البيضاء وافتراق كلمتهم ، ومن هذا حذرهم كتاب الله وسنة رسول الله .

قال الله سبحانه : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » وقال : « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ » وقال : « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » . قال قتادة - من أهل التفسير - (يعني أهل البدع) ومثله عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وخطب عثمان رضي الله عنه ، وهو ولي الأمر وأمير المؤمنين ، وقد أمروا بالسمع والطاعة ولو تأمر عليهم عبد حبشي ، فشاغب عليه مشاغبون وقطعوا كلامه وتراموا بالبطحاء فارتفع صوت من بعض حجر أمهات المؤمنين تقول : (ألا ان نبيكم قد برىء ممن فرق دينه وتحزب) وتلت الآية : « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا » الآية . والمتكلمة هي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية - أم سلمة - رضي الله عنها : وكانت من أعلم علماء الصحابة رضوان الله عنهم (1) .

ومنعا لوقوع الخلاف والفتنة بين المسلمين - لما يترتب على ذلك من الفشل وذهاب القوة والدولة - أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بالسمع والطاعة لأمرائهم كما جاء في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنهم ، وحذرهم من الخلاف والفتنة فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة لولاة الأمر وإن كان عبدا حبشيا ، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي » الحديث .

(1) انظر تفسير هذه الآية في المنار والاعتصام .

وفى الموطن ان قوما ياتون الحوض - يوم القيامة - بعلامة المؤمنين التى يختص بها اهل هذه الأمة بسبب وضوئهم للصلوات فيراهم النبي صلى الله عليه وسلم ويدعوهم للورود ، ولكنهم ينادون عنه كما يناد البعير الضال ، فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلا : « ألا هلُم ، ألا هلُم ، ألا هلُم » . فيقال : « انهم قد بدلوا بعدك » أقول فسحقا ، فسحقا ، فسحقا « انه تحمله جماعة من العلماء على أنهم اهل البدع . وهذا معنى براءته منهم وتنكره لهم . لأجل هذا الحديث وأمثاله عدت العلماء كل الفرق التى خالفت السنة وخرجت عنها - قولا ، أو فعلا ، أو اعتقادا وسلوكا - من الفرق المبتدعة . ومقتوا البدعة فيهم ، ونصحوهم ، وحاولوهم ان يفيثوا الى المنهاج السوي كتاب الله وسنة رسوله .

ثم ان هذه الفرق انقسمت على نفسها :

فمنهم مقتصد حاول أن يدرك الحق ويهتدي اليه ، ومنهم ظالم لنفسه بالغلو والعناد مما أدى ببعض هؤلاء الغالية الى الخروج عن الاسلام بأقوال رهيبة واعتقادات زائفة ناهيك من يزعم ان للقرآن ظاهرا وباطنا ، الظاهر جاء ليعلمه الناس والباطن انما يعلمه الائمة المعصومون ، ومنهم من بلغ به الكفر الى الزعم بان جبريل أخطأ فى تبليغ الرسالة فنزل بالقرآن على محمد وقد أمر - فى زعمهم - ان ينزل به على علي ، فهؤلاء ليسوا بمسلمين . ومن أشنع اقوال الفلاة وكيدهم لإبطال الشريعة الإسلامية ، وتحطيم دولة المسلمين تهجمهم على الصحابة وحتى الكبار منهم رضوان الله عنهم أجمعين وشتائمهم ، ورميهم بالكذب ، ونزع صفة العدالة عنهم والأمانة ، وإقدامهم على سفك الدماء واستباحة الأعراض والأموال بغير حق . وتبرير ذلك وتحبيذه شبيه بفعل فاعله ، فما اغنى العاقل عنه .

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمته ستفترق على بضع وسبعين فرقة لا تنجو منهن سوى فرقة واحدة هى التى تمسكت بسنته ولزمت جماعة المسلمين . وقد افتترقت أمته بالفعل كما أخبر . وربما ادعت كل فرقة أنها وحدها الفرقة الناجية المستثناة فى الحديث ، فلا يلتبس الأمر على أحد لأن الميزان الذى تعرف به هذه الفرقة وتمتاز به عن غيرها - موجود فى القرآن

وفى حديث حبيب الرحمن ، قاله سبحانه يقول : « **فإن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ واحسنُ تأويلاً** » . والحديث يرشد الى التمسك بالسنة عند الاختلاف . وبها النجاة .

فمن زعم ان للقرآن ظاهراً يعلمه الناس لأنه بلغ إليهم ، وباطناً قد اختص به الائمة أو غيرهم كائناً من كان فقد ابتدع والفترى ، ونسب الكتمان لصاحب الشريعة .

ومن أشنع البدع التى سببت افتراق المسلمين ، وأحدثت فيهم الفتنة مزاعم القدريّة وهم أصل الاعتزال، ولما سمع بمقالهم عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنكر عليهم أشد الإنكار ، وتبرأ منهم وحدث عن أبيه عمر بن الخطاب بحديث جبريل ، فى الاسلام والإيمان والإحسان ، وفى خصال الإيمان جاء قول نبينا (ص) يخاطب جبريل : (**وتؤمن بالقدر خيره وشره**) وقد صدقه جبريل فيما قال . فمن قال بالقدر - كقول المعتزلة فهو مبتدع ، ومن قال بعلم الباطن كالباطنية والرافضة فهو مبتدع ومن أغرق فى شتم الصحابة واذابهم ، ورمىهم بالبهتان المفترى فهو مبتدع ، كيف وقد رضى الله عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضوان الله عنهم ولم نعلم أنه سخط عليهم بعد الرضى ، ومدحهم وأعلن أنهم المفلحون والصادقون قال تعالى : **« لكن الرسولُ والذين آمنوا معه جاهلوا بآموالهم وأنفسهم وأولئكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وأولئكَ هم المفلحون »** ، وفى آية الحشر شهد للمهاجرين بالصدق وللأنصار بالفلاح ، ولم نعلم أنه ذمهم بعد هذه الآيات ، بل مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فلا يفتاظ منهم ولا يبخسهم ولا يقع فى اعراضهم الا من سفه نفسه أو سكن النفاق قلبه ، قال تعالى : **« محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمة بينهم »** . ثم قال : **« ليغيظ بهم الكفار »** ، ولهذا قال مالك فيمن اعتباط منهم (ليس له فى فىء المسلمين نصيب) لأن الله ذكر أهل الفء وهم المهاجرون والصادقون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، والأنصار المفلحون وهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم الذين جاءوا من بعدهم - الى يوم القيامة - وهؤلاء يقولون : **« ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم »** هؤلاء هم أهل الفء ، ولا حق لغيرهم ، ونحن - والحمد

لله - من الذين جاءوا من بعدهم. ثم ان هؤلاء الأصحاب هم الذين حملوا إلينا الرسالة فبلغوا إلينا القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانوا عليها أمناء عدولا ، وهم كالنجوم يهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر ، والقدر فيهم وشئهم لا يقع فيه الا ملحد يضر الشر للاسلام والمسلمين ، أو جاهل أحمق لا يدري ما يصنع ، أو غبي أعماه الحقد الدفين ، ولا يعلم ما يقول ، ولا يقدر نتائج ما يعتقد ، وبه يتفوه ، فالرافضة وهم المتجربون على الصحابة انما تأسست فرقتهم وشاعت نحلتههم بقصد هدم دولة العرب ، ومحو ديانة الاسلام ، وقد حقق هذا الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه الجليل (الدولة الفاطمية) وبرهن عليه بوثائق تاريخية ، وبأعمال أتوها من سفك الدماء فى الحرم والعبث بالحجر الأسود كما فعله القرامطة .

ان الاسلام مبني على القرآن والسنة، وعن هؤلاء الأصحاب رويناها واخذناهما ، وماذا يبقى لنا لو صدقنا الذين طعنوا فى أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي، والحسن، والحسين ، وسعد ، وطلحة ، والزبير، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعائشة الصديقة بنت الصديق ، وابن عباس، ومعاوية ، وعمرو ابن العاص ، وعبد الله بن عمرو ، وأبي هريرة ، وأبي موسى الاشعري وغيرهم كثير ممن ادركتهم الفتنة فاجتهدوا، سواء أخطأوا أو أصابوا ، وما أحد من هؤلاء الذين ذكرتهم الا وفى المبتدعة من يقدح فيه ولا يرضى عنه ، والمكثرون من الحديث كأبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعائشة ، وأبي سعيد، وجابر بن عبد الله، لم يسلم واحد منهم من قالة السوء، تعلنها فيه الغالية من الفرق الضالة ، حاشا المعتدلين .

فماذا يبقى لنا من حديث رسول الله إن اتهمنا هؤلاء وأولئك ورددنا حديثهم ؟ لا شك ان الجراءة عليهم أو على أحدهم تؤدي الى التهمة وتذهب الثقة وتعرض بنيان الدين الى الانهيار ، وذلك ما يسره ويصر عليه كل فاجر كفار .

والفرقة الناجية - حقا - تعلن رضاها عن جميعهم ، وترضى عنهم ، وتتأول ما شجر بينهم، وتسأل لهم الرحمة والمغفرة من الله ، وذلك ما وعد الله به المتقين من عباده فى قوله « : ونزعنا ما فى صدورهم من غلٍّ إخواناً على سُُرر متقابلين لا يمَسُّهم فيها نصبٌ وما هم منها بمُخرجين » . فالقرآن الكريم أرشدنا ،

ونحن واقفون على ما أوقفنا عليه ، وهو الذى يقول : « تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » •

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهرون بإنكار البدعة اذا ذر قرنهما ، كما رأينا ابن عمر رضي الله عنه لما بلغه قول القدرية ، ومثله علي بن أبى طالب الذى نكل بالمنحرفين الغلاة وتبرأ منهم ، وكذلك غيرهما من الصحابة ، الأئمة الذين رووا لنا ما سمعوه من صاحب الشريعة بكل صدق وأمانة ، فمن سعادة المرء أنه اذا علم من نفسه شيئا مما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم بادر بالتوبة والإنابة والإقلاع - فورا - عنه ، وقد غادر الزبير - رضي الله عنه - ميدان المعركة فورا لما ذكره علي فتذكر ، ومن شقاء المرء ان يبادر الى إنكار الحديث واتهام الصحابي فى روايته ! وما قوله لو صح الحديث وكان الرسول قد نطق به حقا ؟

التابعون لأهل القرن الأول واتباعهم وقفوا من البدعة وأهلها موقف الأصحاب لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، كانوا يؤدون وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل إخلاص وأمانة وشجاعة ، ينصحون لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ويقبلون كل إذاية تلحقهم فى أبدانهم وأموالهم وأعراضهم ولا يخونون الله ورسوله • فابو حنيفة النعمان أبى ان يتولى القضاء للظالمين فسجن وامتنح وصبر وثبت •

والإمام مالك اتهم الرأي ، واعلن انه لا يوخذ قول أحد بالتسليم الا قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (كلکم راد ومردود علیہ إلا صاحب هذا القبر) ، وكان يجهر بالحق ، دخل على الخليفة العظيم هرون الرشيد فوجده يلاعب وزيره أو أحد عظماء دولته الشطرنج - أو لعبة أخرى - فقال له أحق هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال الخليفة (لا) فقال الإمام (فماذا بعد الحق إلا الضلال) فأقلع الخليفة عن اللعبة وأقسم الا يعود • ولما رأى من عبد الرحمن بن مهدي ما ظنه بدعة - ولم يزد على ان جعل رداءه مطويا فى مسجد رسول الله (ص) بينه وبين القبلة وهو فى صف الصلاة - فأمر به مالك الى السجن لأنه ظنه صاحب بدعة • وهكذا غير المنكر بيده • وافتنى بأن يمين المكره لا تلزم ، وروى فى ذلك حديثا وذلك هو المعروف من قواعد الشريعة والمفهوم من قوله تعالى : « مَنْ كَفَرَ بِاللّٰهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ - إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ •• »

الآية • فلم تعجب فتواه أمير المدينة لأنه كان يكره الناس عند البيعة ان يحلفوا أيماناً مغلظة بالوفاء ، فيها الطلاق والعناق ، وانما يكون الانتخاب (وهو مقتضى البيعة) بالرضى لا بالإكراه ، وسأله ان يرجع عن فتواه ، ويتنكر لما رواه ، فابى الإمام ان يرجع عن فتواه وان يتنكر لما روى ، أبى ان يخون الأمانة ، فان المفتى مبلغ عن صاحب الشريعة ، وتعرض للضرب ، حتى انخلعت يدها وثبت وصبر محتسباً •

وكذلك وقع للإمام الشافعي ، حمل معتقلاً من بلد بعيد الى بغداد • ثم دفع الله عند الشر ونجاء ، وقد مات بعض أصحابه من بعده فى فتنة القول بخلق القرآن • وجاء دور الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وقد اشتد ساعد القدرة وتمكنوا من الدولة والوزارة ، وأقنعوا الخليفة المأمون بمذهبهم الباطل فوضع ثقله كله فى كفة ميزانهم الخاسر ، وجعل هو ووزيره الفاجر أحمد ابن أبى داود وعصائبه يجبرون العلماء على القول بخلق القرآن ، ونفى الصفات ، وذلك ما لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعهد من الخلفاء فى مدة تزيد على قرنين من الزمن •

ولكن العلماء الربانيين - وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل - وقفوا كالشجى فى حلاقيهم ، وقالوا لبدعتهم جهراً (لا) هذه بدعة كريهة ، ونحلة فاسدة ، وقول باطل ، وأنتم المبطلون •

وتعرضوا للأذى الشديد ، فمنهم البر الشهيد ، ومنهم من تحمل الضرب والعذاب ، والهوان نصيبه من الجلادين والاعوان حتى جاء الفرج بعد حين ، فى خلافة المتوكل بعد عهد المأمون والمعتصم والواثق ، وبعد بضعة عشر عاماً من الظلم والعذاب رفع المتوكل العذاب والمحنة على العلماء فانفرجت الأزمة واستحق الثناء بالجميل •

فالامام أحمد - رحمه الله - من الأبطال الذين وقفوا فى وجه البدعة وصمدوا فى الميدان صمود الرجال •

ومن هؤلاء الرجال أبو الحسن الأشعري - حفيد الصحابي الجليل أبى موسى الأشعري رضي الله عنهما ، فقد نشأ على مذهب الاعتزال حتى حذق فنونه ، وحفظ حججه ، وعرف أسرارها ، ثم هداه الله الى الحق ، والى الصراط

المستقيم ، وبان له متاهات أقواله ، وضلال رجاله ، فتأب منه وأتاب ، وناظر شيخه أبا على الجبائي ، بواسطة عجوز اتخذها آلة فأفحمه وقطعه .

ثم أعلن انسلاخه من مذهب الاعتزال ، وتصدى له ينقض نسجه عروة فعروة ، ويناظر رجاله فيفهمهم ، ويسطر بدلائلهم وبراهينهم فيأتى عليها . وجاء من بعده أبو بكر بن الطيب الباقلاني ، فصنع بهم مثل ما صنع أبو الحسن ، وبفضل هذين الرجلين وامثالهما قضى على بدعة المعتزلة ، وأراح الله منها البلاد والعباد .

وكفى بها سوء أنها جرأت السياسة أن نتدخل فى المسائل العلمية ، وتجبر العلماء على اعتناق نظريات علمية لم يقتنعوا بها ، ويوم كانوا هم الضعفاء لم يصبهم شيء ، بل سئل عنهم كبار العلماء : أكفارهم ؟ فأجابوا هم من الكفر فروا ، وما زاد الحسن البصري - عندما خالفه إمامهم الأول وناقشه على أن قال له (اعتزل مجلسنا) - ومن قول الحسن - فيما قيل - جاءهم لقب الاعتزال .

ومن عجيب الأمور أن المستشرقين من الأوروبيين ، ومقلديهم (القروء) من العرب المعاصرين يرفعون نحلة الاعتزال اليوم ، ويزعمون لأبنائنا أنهم هم العلماء (الأحرار) وأن أهل السنة (الجامدين) قد أصابوهم بالمكروه وقضوا على مذهبهم ! والحق أن المعتزلة هم الذين ظلموا ، وأقنعوا الخليفة بالتدخل ، فأطلق المأمون يد وزيره أحمد بن أبي داود يقتل ويعذب وينكل بكل من خالف رأيهم . وحتى لو كان رأيا مصيبا لما جاز له ذلك ، فانما وسيلة العلم الاقناع بالحجة والبرهان ، وما فائدة الاذعان إذا كان خضوعا للإكراه والتعذيب ، فما هو إلا ادهان ، لكن رأيهم كان بلاء ومصيبة ، عاد عليهم - من بعد - بالوبال والخسران ، وكان سببا لانقراضهم .

ومن أعظم الرجال الذين صاروا البدعة والمبتدعين ، وتحملوا فى سبيل ذلك البلاء المبين شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه شمس الدين ابن قيم الجوزية ، وقد مات كلاهما أثناء القرن الثامن للهجرة النبوية (الرابع عشر للميلاد) وقد نبغ ابن تيمية - وأصله من شمال العراق - فى دمشق ، وقد احاطت بالاسلام والمسلمين البلايا والمحن فى عصره ، فسل السيف واللسان والقلم ، وجاهد فى الله حق جهاده ، فى معارك الميدان بجانب الملك الناصر ابن قلاوون ضد التتار ، وضد المبتدعة وضد الصليبيين وضد الخونة المتعاونين

معهم . كما جرد اللسان والقلم ، وأعلنها حربا شعواء على البدع والفرق الضالة من أهل الأهواء كالرافضة والباطنية من المنتسبين الى الاسلام ، وكالنصارى واليهود المتقولين عليه - يرد مذاهبهم ، ويفند حججهم ، وفند اصطدم بالجمود والجحود من علماء عصره ، ومن العامة التى انحرفت عن التوحيد، والتبس عليها الامر، وارتكبت أفعال الشرك - وان نطقت الالسن بكلمة الاخلاص والتوحيد - فامتحن رحمه الله على يد ولادة السوء ، وبتحريض الجامدين والجهلة من العلماء والقضاة ، ونقل الى مصر معتقلا ، ودخل السجن مرارا منها فى القاهرة بضعة عشر شهرا ، ثم أفرج عنه ولكنه عاد اليه بعد سنوات ، واعتقل آخر مرة ، وحكم عليه بأقصى عذاب ينال السجين - واسأل به خيرا - وهو تجريده من الكتب ومن كل أدوات الكتابة حتى مات رحمه الله فى قلعة دمشق عام 728 هـ - 1328 م .

ولكنه ترك ثروة علمية عظيمة ما تزال تفتك بالبدعة وأهلها حتى الآن، كما أنه ترك تلاميذ نال بعضهم - كابن القيم - بعض ما ناله من سجن وتعذيب، فهذا الامام العظيم - رحمه الله - من الذين عاشوا حياتهم كلها فى الجهاد بالنفس والمال ، وباللسان والقلم، لنصر الاسلام والسنة، ومحقق الكفر والبدعة، والاخلاص فى الدين « **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** » .

وفى مغربنا لم يخل عصر من العصور من أمثال هؤلاء العلماء الأعلام ، القائمين بالحق ، الظاهرين على المبتدعين ، فقد ثبتوا ثبوت الرواسى أمام تيار المبتدعة الذين جاءوا من (الشرق) ببدعة القول بخلق القرآن ، ولم يغن هؤلاء ان الدولة كانت دولتهم ، والريح ريحهم ، فتصدى لهم الإمام سحنون ومشائخه وتلاميذه ، وأذاقوهم الهوان والخزي بالإعراض والتحدي . ثم جاءت الباطنية من بعد هؤلاء ، وأعلنوا مذهبهم النكر ، والجهر بالسوء من القول فى الصحابة ، فثبت العلماء فى وجوه بدعهم، وأفتوا العامة بالثورة عليهم، ورفعوا السلاح مع الثائرين ضدهم ، ولو لم يكن (*) ممن يرضون لأنه من أهل القبلة بينما كانت الباطنية - عندهم - من الكافرين . وما زالوا يطاردونهم

(*) خرج العلماء ثائرين مع أبى يزيد صاحب الجمار ، وكان اباضيا نكاريّا انه من أهل القبلة ، بينما كان الباطنية عندهم كفارا ، وقد مكر بهم أبو يزيد فى المعركة - فأخذه الله بغدره .

سرا وعلانية ، حتى ارتحلوا عن القيروان ، وغيروا مكان عاصمة ملكهم ودولتهم واستخلفوا الصنهاجيين ينوبون عنهم ، وتمكن احد عظماء أهل السنة وهو الشهم الجزائري الاصل ابن أبي الرجال من تربية المعز بن باديس الأمير الصنهاجي على الحق ، على السنة وكره البدعة ، حتى اذا اشتد ساعده ووجد الفرصة سانحة اعلن براءته التامة من البدعة وأهلها ، والاستقلال عن دولتها . وكل دولة من دولنا المغربية قامت على دعوة دينية تنصر السنة ، وتقاوم البدعة وأهلها ، كدولة المرابطين التي كانت تدعى دولة الفقهاء ، ودولة الموحدين ، وقد نبغ تحت ظل هؤلاء الدول وأمرائها كبار علماء السنة وأنصارها . من هؤلاء - غير من ذكر من أهل القيروان - أبو عمر بن عبد البر ، والقاضي أبو بكر بن العربي ، وأبو محمد بن حزم ، والقاضي عياض . وما تزال كتب هؤلاء الائمة الأعلام تعمر خزائن الأمصار في كل الأقطار ، وهى نبراس المهتدين بالسنة توضح لهم سبيل الحق وتفضح البدعة وتعرفها لهم .

ومن هؤلاء الأعلام من تأخر بهم الزمان ، ولكنهم لم يقصروا عن الأولين وان عدوا من المتأخرين ، ولا نستطيع - فى هذه العجالة إحصاءهم ، ولكن نذكر واحدا منهم وهو العلامة أبو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي .

وغرناطة - فى الأندلس - عاصمة مصرها ومقر سلفنا من الصنهاجيين وكانت لهم دار ملك ، ثم كانت آخر عواصم الاسلام .

عاش أبو اسحاق الشاطبي أثناء القرن الثامن للهجرة ، وتوفى بغيرناطة عام سبعمائة وتسعين (القرن الرابع عشر الميلادى) وطلب العلم فى عواصمنا المغربية ، ومنها تلمسان ، وأخذ العلم عن أسلافنا ، ومنهم الامام المحقق عالم أهل وقته الشريف أبو عبد الله التلمساني ، وأبو عبد الله المقرئ ، والامام الجليل الرحالة الخطيب ابن مرزوق الجند ، والامام المحقق الأصولي أبو علي منصور بن محمد الزواوي ، وغير هؤلاء من علماء الاندلس ومراكش ، وألسف كتبنا جليلة لم يؤلف قبلها ولا بعدها فى فنها خير منها . من ذلك كتابه (الموافقات) فى أصول الفقه ومقاصد الشريعة . وهو كتاب نفيس وسمه العلماء بانه (جليل القدر جدا لا نظير له ، يدل على إمامته وبعد شأوه فى

العلوم سيما علم الاصول ، قال عنه شيخه ابن مرزوق (كتاب الموافقات من أنبل الكتب) (2) . وقال محمد رشيد رضا : كتاب الموافقات لاند له في باب ٠٠ وكتاب الاعتصام لاند له في باب تعرض فيه الى تحرير مسائل البدع والابتداع مما ينفع المسلمين في أمر دينهم وأمر دنياهم، ويكون أعظم عون لدعوة الإصلاح الاسلامي على سعيهم . وقد كتب كثير من العلماء في البدع ٠٠٠ وما رأينا أحدا منهم هدى الى ما هدى الله أبو اسحاق الشاطبي من البحث العلمي الاصولي في هذا الموضوع وتقسيمه الى أبواب يدخل في كل واحد منها فصول كثيرة ٠٠٠ (3)

ثم قال عنه العلامة الشيخ محمد رشيد رضا : لولا ان هذا الكتاب ألف في عصر ضعف العلم والدين في المسلمين لكان مبدأ نهضة جديدة لإحياء السنة وإصلاح شؤون الأخلاق والاجتماع، ولكان المصنف - بهذا الكتاب وبصنوه كتاب (الموافقات) الذي لم يسبق الى مثله سابق أيضا - من أعظم المجددين في الاسلام ، فمثله كمثله الحكيم الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون كل منهما جاء بما لم يسبق الى مثله ، ولم تنتفع الأمة - كما كان يجب بعلمه (4) .

والملاحظة أنهما عاشا في عصر واحد ، واشتركا في بعض مشائخهما الجزائريين كالشريف التلمساني ، ومات ابن خلدون بعده بالقاهرة أوائل القرن التاسع - بعد بضعة عشر سنة من وفاة الشاطبي ، وكان إنتاج هذا العلامة من أكبر الاسلحة الفعالة في أيدي المصلحين ، يحيون به السنة ، ويهاجمون البدعة ويخزون أهلها . وبذلك عد هذا الإمام في قافلة الطائفة الظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم .

-
- (2) من ترجمة أبي اسحاق في كتاب نيل الابتهاج لاحمد بابا التنبوكي .
(3) من مقدمة الطبعة الاولى من كتاب الاعتصام ، وبقلم محمد رشيد رضا .
(4) المصدر المذكور .

انكار على البدعة فى العصر الحديث

وجاء العصر الحديث بعد أن طال الأمد على المسلمين وقست قلوب كثير منهم ، وفسقوا عن أمر ربهم ، وعمت الجهالة ، وكلت الهمم ، وتنكر الكثير للسنة وأهلها ، وباضت البدعة وفرخت . وازدهرت وتبخترت ، وذهبت الصولة وضعفت الدولة ، واصبحت أوطان المسلمين نهبا للمعتدين ينقصونها من أطرافها ويعيثون فيها - وفى أهلها - وما احتلوه منها فسادا .

والى جانب ما كان فيهم من البدع القديمة ، التى أصبحت عند كثير منهم من صميم الدين ، نشأت نحل جديدة بعضها على أسس جديدة وبعضها أساسه قديم ، ومن هذه النحل فرقة البابية ، وبنتها البهائية فى فارس والشرق الاوسط، ثم القاديانية فى الهند، وكلها تعمل لهدم الاسلام وتقويض أركانه والاتيان على بنيانه متعاونة مع أعداء الاسلام من المبتدعة ومن المستعمرين .

وهكذا اصطبغت مقاومة البدع ، والجهر بالاصلاح والدعوة الى السنة بلون جديد ، ودخل فى هذه المقاومة للبدعة - حفظا لكيان الاسلام - مقاومة الاطماع الاجنبية ودسائس الدول الاستعمارية واحباط مكائدها ضد المسلمين وأوطانهم .

وكان هذا أهم مظاهر النهضة التى قادها جمال الدين الافغانى ومدرسته التى خلفه فيها وقادها معه فى حياته ، ثم من بعد مماته محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، ومن هذه المدرسة تفرعت حركتنا الاصلاحية التى قادها الامام الرئيس عبد الحميد بن باديس فانها ربطت الدين بالسياسة ، وجعلت مطاردة

البدعة فى الدين مرتبطة بمطاردة نفوذ المستعمرين وتوهين أركان بنيانهم والقضاء على عملائهم .

أول صوت ارتفع بالإصلاح والإنكار على البدعة والمبتدعين ووجوب الرجوع الى كتاب الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبذ كل ابتداع ومقاومة اصحابه ، جاء من الجزيرة العربية وأعلنه فى الناس الامام محمد بن عبد الوهاب أثناء القرن الثامن عشر (1694 - 1765) وقد وجدت دعوته أمامها المقاومة الشديدة حتى انضم اليها الامير محمد بن السعود وجرد سيفه لنصرتها والقضاء على معارضيها فانتصرت .

ولما كانت نشأة هذه الدعوة فى صميم البلاد العربية ونجحت على خصومها الأولين فى جزء منها ، وكانت مبنية على الدين وتوحيد الله سبحانه فى ألوهيته وربوبيته ومحو كل آثار الشرك - الذى هو الظلم العظيم - والقضاء على الأوثان والأنصاب التى نصبت لتعبد من دون الله أو تتخذ للتقرب بها الى الله ، ومنها القباب والقبور فى المساجد والمشاهد - لما كان ذلك فقد فهم أعداء الاسلام قيمتها ومدى ما سيكون لها من أبعاد فى يقظة المسلمين ونهضة الأمة العربية التى هى مادة الاسلام وعزه، اذ ما صلح أمر المسلمين أول دولتهم الا بما بنيت عليه هذه الدعوة ، وقد قال الامام مالك : (لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها) .

لهذا عزموا على مقاومتها وسخروا كل إمكانياتهم المادية والفكرية للقضاء عليها ، وحشدوا العلماء القبوريين الجامدين أو المأجورين للتنفير منها وتضليل اعتقاداتها ، وربما تكفير أهلها ، كما جندوا لها الجنود وأمدوها بكل أنواع أسلحة الفتك والدمار للقضاء عليها .

تحرش بها الانكليز ، والعثمانيون، والفرس، واصطدموا بها، وانتصر عليهم السعوديون فى بعض المعارك، فالتجأت الدولة العثمانية الى مصر، وسخرت لحربها محمد علي وابناءه - وهو الذى كانوا سخروه لحرب دولة الخلافة وتوهينها - وكان قد جدد جيشه على أحدث طراز عند الاوروبيين آنذاك ، فاستطاع الجيش المصري ان يقضى على هذه القوة الناشئة، وظنوا انهم استراحوا منها ، وكان من الجرائم المرتكبة ان أمير هذه الامارة السلفية

المصلحة أسر وذهب به الى مصر ، ثم منها الى اسطنبول حيث أعدم كما يعدم
المجرمون .

وهكذا يكون هذا الامير المسلم السلفي المصلح من الذين سفكت دماؤهم
فى نصر السنة ومقاومة البدعة رحمه الله .

وفى هذه الفترة ارتفعت أصوات أخرى لتأييد السنة ومخاصمة البدعة
ومحاولة لإيقاظ المسلمين والنهوض بهم وتجنبيهم الوقوع بين مخالف الدول
الاستعمارية وصيانة أوطانهم .

وأهم هذه الأصوات وأعظمها صوت الامام جمال الدين الأفغانى ومدرسته
وكانت حياته حتى مماته لتحقيق هذه الأغراض ، فقد حاول ذلك فى الافغان
فاستطاعت المكائد الانكليزية ان تخرجه منها ، ثم انتقل الى اسطنبول وحاول
الاصلاح فلم يقدر عليه ، واخرج منها فاستقر فى مصر بضعة أعوام ، وفيها
استطاع ان يثبت دعائم مبادئه ، ويكون تلامذة منهم محمد عبده فى الدين
والسياسة ، وسعد زغلول فى الوطنية والسياسة ، وما زالت به المكائد
الاستعمارية الفرنسية والانكليزية حتى اخرج من مصر ، ثم من الهند التى
التجأ اليها ، وساح فى أوروبا (باريس - لندن - روسيا - ألمانيا) وذهب
الى ايران فقام بعمل عظيم أدى الى طرده من طرف الشاه .

وحيثما حل ترك ثورة فى الأفكار وحركة فى الرجال حتى حل أخيرا
باسطنبول للمرة الأخيرة وبقي فيها أسيرا حتى أدركه أجله فى العقد الثانى
من القرن الرابع عشر (1314 هـ) أواخر القرن التاسع عشر الميلادى
(1897 م) . وعلى طريقته وأسلوبه فى التفكير قاوم محمد عبده البدعة والنفوذ
الاستعمارى ، وزج به فى السجن ، وذاق غصص النفي ، ولكنه كان القوي
الرابط الجاش ، وقد ترك فى مقاومة البدعة اثرين عظيمين ، أولهما تلميذه
الكبير محمد رشيد رضا ، وثانيهما تفسيره للقرآن الكريم الذى ألقى منه
تفسير نحو خمسة أجزاء كان يكتب خلاصتها ويحققها ويتممها تلميذه الوفي
الشيخ محمد رشيد رضا فلما توفى الإمام رحمه الله عام 1323 هـ (1905 م)
استمر الشيخ محمد رشيد رضا فى مواصلة كتابة التفسير على أروع مثال
حتى انتهى الى قوله تعالى : - حكاية لقول نبيه يوسف عليه السلام -
« رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

انت وليّ في الدنيا والآخرة توفّني مسلماً وألحقني بالصّالحين » لبي نداء ربه
والتحق بالرفيق الأعلى ، وكان ذلك عام 1354 هـ (1935 م) .

ان هذين العلمين الشامخين (محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا) من
أعظم دعاة السنة ومقاومي البدعة ، وان في تفسير المنار الذي اشتركا في
إنتاجه - وكان الفضل الأكبر للثاني في إخراجِه - لم يأت تفسير قبله ولا بعده
على مثاله ، وقد كان له الأثر الكبير في النهضة الاسلامية واليقظة الشرقية
والحركة القومية السياسية المبنية على الدين الصحيح السليم من البدع
والخرافات ، ومن الجحود والجمود .

ان حركتنا الإصلاحية - التي قامت في بلادنا وبدأت أعمالها ببدء أعمال
ابن باديس وانتصابه عام 1332 هـ (1914 م) - فرع لهذه الحركة المتصلة
بجمال الدين الأفغاني - ومحمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، ولا نعني انها
كانت متصلة بهم عاملة بوحيتهم مدبرة منهم ، فقد كانت مستقلة تمام الاستقلال
عنهما من هذه الناحية ، انما نعني انها كانت متأثرة بهما ، سائرة - في
الإصلاح الديني والدنيوي - على منهاجهما في الاعتماد على كتاب الله ، وإحياء
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإماتة البدعة ، والإنكار على أهلها ،
ودعوة الأمة الى اليقظة والنهضة الشاملة ، والتخلص من كل اثر للجمود
والجحود والتخلف الفكري ، وبث التعليم القوي باحياء اللغة والنخوة
الاسلامية العربية ، والمحافظة على الوحدة الوطنية على أساس سليم تقبله
الأمة ويمليه الدين : « إنما المؤمنون إخوة » « المسلم أخو المسلم » فما جمعته
يد الله لا تفرقه يد الشيطان .

وقد كان لهذه الدعوة التي لم تكن قولية فحسب، بل كانت قولاً وعملاً
وسعيًا وجهادًا متواصلًا وتوضيحات عزيزة ، وآلاما جسمية ونفسية ، كان لها
الأثر الأكبر والحظ الأوفر فيما وصلت أمتنا اليه ، ولولا ان هذه الحركة مهدت
للثورة المسلحة التي نشبت عام 1374 هـ (1954 م) لما قدر لها ان تجد من
النجاح الباهر ما وجدته ، ان هذه الحركة قضت على الجمود ، وعلى التخلف
الفكري ، وعلى البدع الملصقة بالدين من خنوع وخضوع امام القبور والقباب،
وتقديم البخور والندور لها ، وللأشجار والأحجار ، والخوف من الأرواح
الشريرة ، وعبادة الجن ، والسمع والطاعة العمياء لأصنام بشرية تأكل وتشرب

وتبول وتتغوط ، وتمرض وتموت ، ومع ذلك فهي تدعو الناس لعبادتها، وتزعم لها (ان الكون في قبضتها ونزول المطر بيدها ، والنفع والضرر من اثرها وفي قدرتها ، ثم تزعم للشعب ان سلطة الدولة الاستعمارية من سلطة الله وسلطة الله لا تقاوم ، وان التسليم لها تسليم لله ، والرضى بأحكامها رضى بقدر الله ، فما عليها – أى الأمة – الا ان تصبر لقضاء الله ، فإذا شاء الله جعلهم يرتحلون من عند أنفسهم ويتركون لنا الوطن من بعدهم .

مثل هذه الأفكار كانت رائجة يحتضنها (مشائخ) ويروجون لها، تحميمهم هذه السلطة الاستعمارية المنتفع الأكبر من رواجها ، وكان لها الدور الكبير فى تنويم الأمة واستبلاء البسطاء ، ويزعمون ان أكثر من 90٪ من الأمة كان خاضعا لهم فى هذا السلطان، وقد أكده الشيخ أبو يعلى الزواوي رحمه الله فى بعض مقالاته .

ان هذه الحركة – كما تقدم – بدأت فعلا بشروع الإمام ابن باديس فى عمله ، ثم أخذ يشتد ساعدها منذ عام 1343 هـ (1925 م) ، ولما وقع الاعتداء عليه عام 1345 هـ (1926 م) قفزت الى الامام خطوات جبارة ، واصبحت مبادئها الدينية المعتمدة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأييد السنة والتزامها وإنكار البدعة ومعارضتها ، ومبادئها الوطنية القومية التى دستورها المجل (الاسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا) ، كل ذلك على لسان الجماهير ، والتزام كل المشتغلين بالحركات . بهذا تطهر الجو تماما وقضى على الشعوذة والتدجيل ، وتحررت النفوس من السلط التى كانت تخضع لها ، والعقول من السلط التى كانت تخشاهما ، ورجع للإنسان الجزائري كل قوته واعتباره وقيمه الدينية والخلقية ، وشجاعته العربية الاسلامية .

ان الجنرال الاستعماري للجيش الفرنسي الذى كلف بإخماد الثورة فى الأوراس عام 1955 م وهو الجنرال بارلانيج قد اعترف بهذا عام 1955 م فى تصريح لبعض الصحف الفرنسية عن سر إخفاقه فى الجزائر فيما نجح فيه فى المغرب، فقال فى ذلك: انه فى المغرب اعتمد على سلطة (المشائخ) فى التأثير على الجماهير . هذا ما صرح به مضيفا إليه قوله : « اما فى الجزائر

فانه لا وجود لهؤلاء المشائخ ولا سلطة لهم على الجماهير » . كان هذا عام 1955 م ، اما قبل ذلك فقد كان لهم السلطة العظمى حتى فى تنفيذ الجرائم وقتل العلماء كما وقعت محاولة السطو بالشيخ ابن باديس ، وكان أتباعهم يملأون السهول والجبال ويقدررون بمئات الألوف وبنسبة مئوية مرتفعة .

ولو لم يكن لرجال هذه الحركة السنية السلفية من الفضل سوى هذا لكفاهم فخرا وأعلى شأنهم فى العالمين ذكرا ، ولكنهم - لما أذن مؤذن الثورة والحرب حي على الجهاد ، حي على الحرية والرشاد ، حي على العزة والسيادة - لم يتركوا ولم تكتب الخيانة على أحد منهم، بل كتبت الشهادة لكثير منهم ، وعلى رأس الشهداء الشيخ العربى التبسى ، والشيخ أحمد بوشمال ، والشيخ أحمد حوحو ، والشيخ محمد العدوي ، والشيخ محمد الزاهي ، وكل هؤلاء من معهد ابن باديس فحسب فضلا عن غيرهم من الأساتذة ورجال الجمعيات والنوادي ، والحركات فى سائر أنحاء الوطن .

اما أبناءهم من النسب ، واما أبناءهم الروحيون وتلاميذهم المنتشرون فلا عد لهم ولا إحصاء ، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ولا نذكر هذا تبجحا ولا تعصبا أو تحزبا ، فقد بطلت كل حزبية بمجىء جبهة التحرير ، وانما نذكره تنبيها للذين أعماهم حقد دفين أو تعصب مقيت ، أو جهل فظيع ، فأصبحوا يقررون الخطأ ويعلمونه للأجيال ، والعق فيهم من يتساءل ما موقف العلماء من الثورة ؟

الطائفة الظاهرة :

نحن أمة إسلامية ، وهذا الوطن - بلا شك - دار إسلام ، وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر والظهور إذ قال - فيما رواه عنه المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه - (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

قالت العلماء: (ظاهرين على الناس أى غالبين منصورين وهم جيوش الاسلام أو العلماء الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر حتى يأتيهم أمر الله أى يوم القيامة وهم ظاهرون على من خالفهم) قال ذلك المناوي .

ثم قال فى شرحه على الجامع الصغير : (فيه معجزة بينة ، فان اهل السنة لم يزالوا ظاهرين فى كل عصر الى الآن ، فمن حين ظهرت البدع على اختلاف صنوفها من الخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم لم يقم لاحدهم دولة ولم تستمر لهم شوكة بل كانوا كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله بنور الكتاب والسنة ، فله الحمد والمنة) اهـ . ثم قال : (قال بعضهم ويحتمل ان هذه الطائفة مؤلفة من أنواع من المؤمنين ، منهم شجعان ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد وغير ذلك ، ولا يلزم كونهم من قطر واحد) اهـ . وقال : (وزعمت المتصوفة ان الاشارة اليهم : لزموا الاتباع بالاحوال واغناهم عن الابتداع) اهـ

والمرجح ان هذه الطائفة هي الواردة فى قوله تعالى : « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » والمفلحون هم الظاهرون المنتصرون .

والآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر لم يكتفوا بالسنة يقومون بها ، ولكنهم يبلغون الدعوة الى غيرهم ، ويحضونهم على الاتباع ، ويحذرونهم من الابتداع ، وهم الذين يجدون من يخالفهم ويعترض سبيلهم ، ويقاوم تأثيرهم . ولا تجد صاحب بدعة ومقترف معصية الا وهو يهابهم - فى نفسه - ويقرأ حسابهم حتى لو سطا بهم وأوقع فانه لا يستقر على حال ، وربما توقع انتقاما من الله ويوشك ان يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

واننا لنجد الخلفاء والملوك والأمراء يهابون الصدام بينهم وبين القائمين بالمعروف الناهين عن المنكر وخصوصا اذا كانوا من العلماء الربانيين ، والصلحاء المتقين ، الذين تجردوا من أغراض دنيوية وأخلصوا عملهم لله ، فانه لا ينفع معهم ترغيب ولا يهابون ترهيبا ، وقد كانت كلمة العالم (اتق الله) تدوى فى آذانهم وتترك الصدى العميق فى نفوسهم .

اما المتصوفة فاهل السنة منهم معدودون فى العلماء الفقهاء الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، اما اذا لزموا صوامعهم واعتزلوا الناس يعبدون ربهم فمن يخالفهم حتى يظهروا عليه ؟

وبالاجماع من الفقهاء والمتصوفة انه لا يكون فى هذه الطائفة صاحب بدعة
يضاهى بها الشريعة ويريد ان يصرفهم عنها ببدعته الى ضلال مبين .

أرجو ان تكون هذه الطائفة التى أعلنت هذه الحركة الإصلاحية فى الجزائر
وقادتها حتى بلغت بامتنا - ان شاء الله - شاطئ السلامة ، وايقظت فيها
العزة والكرامة، وتحملت فى سبيل ذلك ما كتب الله على المؤمنين من فتنة، ليعلم
الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين - من هذه الطائفة الظاهرة الى يوم القيامة ،
ابن باديس سالت دماؤه ، والتبسي واحمد بوشمال وإخوانهم نالوا الشهادة،
والابراهيمى ذاق عذاب السجون والهوان والغربة والشتم والترهب والعزلة .

وإخوان لهم ذاقوا مثلهم فى سبيل الله ورضوا بقضاء الله غير منتظرين
الجزاء الأوفى إلا منه .

نسأل الله الكريم ان يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة،
ويلحقنا بالصالحين غير مبديلين ولا مغيرين .



الدعوة الإصلاحية وزعيمها ابن باديس

منذ أن عاد عبد الحميد ابن باديس الى الجزائر من رحلة الحج 1332 هـ 1914 م - موطننا العزم على خدمة بلاده وأمته - شرع في عمله الذي قصد اليه بإيمان متين ، وعزم صادق ، وإرادة صلبة ، وحزم وتصميم ، مع آمال فسيحة ، ومقاصد نبيلة كبيرة :

ان يسترجع دينه قوته ونفوذه على النفوس نقيا كما بلغه الرسول الأمين عليه الصلاة والتسليم . وان يعود لأمته ما قد ذهب من عز ومجد أثيل، ودولة موحدة، وسيادة كاملة ، وأن يكون وطنه حرا مستقلا كما كان ، وكما هو حق كل وطن وأمة في الحرية والوجود .

ولم يكن يجهل ما يعترض طريقه من مصاعب جمة يجب التغلب عليها ، ومن عقبات كاداء عليه تذليلها وتعبيدها ، ومن أشواك وأخزة لابد من تطهير المسالك منها .

كان يدرك أن أمامه « الحالة التعيسة التي بلغنا إليها . . . من جهل وفقر وسقم وظلم وإذلال » (1) وكان في الجزائر « شباب أنساء التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده وقبح له دينه وقومه ، وقطع له من كل شيء - الا منه - أمله ، وحقره في نفسه تحقيرا . . . شباب جاهل أكلته الحانات والمقاهي والشوارع ، ومن وجد العمل منه لا يرى نفسه الا آلة متحركة في ذلك العمل لاهم له من ورائه في نفسه فضلا عن شعوره بأمر عام (2) ، ومن حفظه الله

(1) ابن باديس - الشهاب ، صفر 1356 هـ - أبريل 1937 م .

(2) ابن باديس - الشهاب ، محرم 1357 هـ - مارس 1938 م .

للاسلام والعروبة من هؤلاء الشباب أقبل على تعلمها لكنه تعلم سطحي لفظي خال من الروح لا يعتز بماض ولا يآلم بحاضر ولا يطمح لمستقبل ، اللهم الا افراد قلائل » (3) .

أما الأمة الجزائرية فقد كانت فيها أصول الحيوية القومية والعزة الدينية والكرامة الانسانية ، ولكن لشدة ما « عركتها الهلايا والمحن ... استخذت وذلت وسكتت على الضيم ورثمت للنوام (4) » وبرغم ما بينها من روابط الوحدة المتينة - فقد عملت فيها يسد الطريقة المحركة تفريقا وتشتيتا حتى تركتها أشلاء لا شعور لها ببعضها ولا نفع ، تتخطفها وحوش البشرية من هنا ومن هناك بسلطان القوة على الأبدان ، أو سلطان الدجل على العقول والقلوب » (5) .

كل ذلك عليه ان يفكر فيه وان يعمل لانقاذ شعبه ووطنه من شروره ، كما يفكر المؤمن القوي الذي لا يدخل اليأس قلبه ، والوطني المخلص الذي باع حياته بحياة وطنه .

وقد خطط لعمله ، وهو مدرك لخطورة ما هو مقدم عليه ، ومقدر كل التدبير لما سيصادفه من عراقيل ، لقد قرر - بحكمة وحزم - ان يأتي شعبه من اقرب الطرق للنجاح ، وأبعدها تأثيرا في النفوس ، وأضمنها في الوصول الى الغاية ، هذه الطريقة هي بث التعليم السليم النافع المفيد لاصلاح العقائد وتقويم السلوك ، وقبل اعلان الدعوة العامة ، لذلك يجب اعداد الاعوان والدعاة ، كانت هذه خطة قد رسمها كما كتب بخط يده .

انها خطة بطيئة حقا ولكنها مضمونة النتيجة . قال :

« مضينا على ما رسمنا من خطة وصمدنا الى ما قصدنا من غاية وقضيناها عشر سنوات في الدرس لتكوين نشء علمي لم نخلط به غيره من عمل آخر فلما كملت العشر وظهرت - بحمد الله - نتيجتها رأينا واجبا علينا ان نقوم

(3) المصدر المذكور .

(4) رثمت ألفت وعطفت .

(5) المصدر السابق : شهاب ، محرم 1357 هـ .

بالدعوة العامة الى الاسلام الخالص والعلم الصحيح : الى الكتاب والسنة
وهدي صالح سلف الأمة ، وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات (6) .
اذا ، فقد كان الطور الاول المرسوم فى الخطة هو تكوين نشء علمي ،
يعني جنودا للدعوة العامة ، ولما آن أوان بدء الطور الثاني حاول ان يكون
جمعية للعلماء عام 1924 م ، ثم أنشأ لهذا الطور الصحافة الاسلامية ، والطباعة
الوطنية لضمان استمرارها واستقلالها ، فأنشأ جريدة (المنتقد) وبرز العدد
الأول منها يوم عيد النحر 1343 هـ 11 جويلية 1925 م معلنا هذه الدعوة ،
فعطلتها السلطة الاستعمارية بعد بروز 18 عددا منها فقط ، فأخرج (الشهاب)
لتؤدي نفس مهمتها . وقد استمرت تصدر حتى قيام الحرب العالمية الثانية .
عام 1939 .

وقد أعلن فى صدرها « الحق فوق كل أحد ، والوطن قبل كل شئ »
واتخذ شعاره فى الإصلاح الديني قول إمام اهل السنة مالك بن أنس :
« لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » .

كما اتخذ - شعارا له فى الإصلاح الدنيوي - يعني السياسي - كلمة منه
يوارى به غرضه النهائي - هى « الحق والعدل والمؤاخاة فى إعطاء جميع
الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات » .

وقد شرح المبدأين بنفسه اذ قال : عن المبدأ الثانى ما نصه : « إن المبدأ
الذى أسست عليه هذه الصحيفة هو **وجوب إعطاء جميع الحقوق لمن يقوم
بجميع الواجبات** . ومن حقوق الجزائريين تمثيلهم فى البرلمان مثل إخوانهم
الاوروبيين . **فالتمثيل البرلماني واحد من الحقوق الكثيرة الداخلة تحت ذلك**
المبدأ العام » ، نشر ذلك فى الشهاب 108 الصادر فى 5 صفر 1346 هـ - 14
أوت 1927 م وضح به قول من قال : انه أسس لمبدأ التمثيل البرلماني ، ولم
يكن ابن باديس ليقتنع لأئمة بمثله . وما كان يؤمن بإمكان التحصيل عليه ،
وانما كان يريد إقامة الحجة على الخصم .

(6) عن جريدة السنة من مقال « عبداويون ثم وهابيون ... » نقله الدكتور
طالبى فى كتابه عن ابن باديس .

وقال عن المبدأ الأول :

« وكما أسست هذه الصحيفة لخدمة المبدأ السياسي المتقدم أسست لخدمة مبدأ ديني : وهو الرجوع بالمسلمين الى جوهر دينهم الأصلي البريء من جميع الضلالات والخرافات والتعصبات ، المحرر للعقول ، المهذب للنفوس ، والساعي بالانسانية الى الصراط المستقيم ، الى سعادة الدارين ، ولما كانت الطرق في معظم أمرها منبعاً لكثير من هذه المهلكات ، وقف الشهاب لها وقفاته المعروفة لنقدها ومحاولة إصلاحها » اهـ .

هذا المبدأ الديني يقتضى تطهير النفوس ، من كل كدر، وتحرير العقول ، وتصحيح العقائد، ومحاربة كل تأخر ، ومن ذلك محاربة الضلالات والخرافات والتعصب المقوت ، وقد حكم بأن الطرق الصوفية ومشائخها « منبع لكثير من هذه المهلكات » . ولكنه لم يشأ ان يفاجئهم بالإعلان العام لهذا أثناء الطور الأول ، واضطر أن يصانعهم - ليتمكن منهم - بما لا يضر المبدأ ، وان يدخل في « قطعانهم » فظن بعض « السذج » أنه كان منهم ! وتجراً صاحب « حياة كفاح » فزعم أنه السبب في « هدي » ابن باديس ! وانقاذه من الطريقة !

واذا أردنا شهادة صحيحة في الموضوع فلنعد الى ما كتبه بقلمه - وهو كثير ، والى ما كتبه تلاميذه عنه مثل الأستاذ محمد الهادي السنوسي رحمه الله الذي ارتحل الى قسنطينة في بداية الطور الأول عام 1916 - وما بعدها الى نحو 8 سنوات ، فقد شهد أنه طهر عقله من الخرافات والضلالات الطرقية ، وسجل ذلك في ترجمته لنفسه في كتابه (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) ومثله ما كتبه في نفس الكتاب الأستاذ محمد سعيد الزاهري رحمه الله وما تركه من طابع قوي في نفسه ، من تربية دينية ووطنية صحيحة . ويجب ان نتذكر أن الشيخ السعيد الزاهري من تلاميذ الشيخ ابن باديس هو أول من جعل جريدته « الجزائر » تضع في صدرها - شعاراً لها - « الجزائر للجزائريين » .

أول صدام عنيف بين الإصلاح والحلول

أول من اصطلم به ابن باديس - من (الصوفية) ومشائخها - الطريقة العليوية وشيخها أحمد بن عليوة المستغامي .

ويتبين للدارس المتمعن أن هذا الصدام : دواعيه شاملة للهدفين اللذين أعلن ابن باديس أنه يعمل لهما في الميدانين الديني والدنيوي ، وقد تيقن بخطورة هذه الطريقة فيهما .

أما الهدف الديني فقد تيقن الخطورة مما تروجه الطريقة من مبادئ الباطنية والدعوة الى مذهب الحلول ووحدة الوجود .

وأما الهدف السياسي فهو اتصالها بالقوى الاستعمارية والتحالف معها ، والتعاون بينهما على العمل المنسق للنجاح المزدوج .

وقد بينا هذا في قسم « اتصالات مربية » من هذا الكتاب وسقنا عليه الأدلة والشواهد ، ولكننا في هذا الفصل نعجل بنقل اعتراف منشور في كتابهم « الشواهد والفتاوى » يدل على مدى ما بلغ اليه التعاون والتناصر والتلاحم .

قال صاحب هذا الكتاب في ترجمته للشيخ عده بن تونس - وهو العضد الأيمن للشيخ ابن عليوة في حياته ، وخليفته بعد مماته .

« انه انخرط في سلك العسكرية الفرنسية - على ما يقتضيه القانون الجبري - ، وصار مقره القشلة بدل المسجد، فعكف على عمله الذي هو من عادته ، وكان يستعطف من حوله من أفراد الجند ليستميلهم الى العمل بالدين ويحبب لهم الذكر والذاكرين ، الى ان صارت كلمة الإخلاص - يعني بها كلمة (الله) - تذكر ليلا نهارا داخل القشلة بأصوات مرتفعة ، ثم اشتدت الرغبة في الذكر على الأسلوب المعتاد عند الفقراء الى ان استحسن رؤساء الجند من الفرنسيين تلك الأنغام فالزموا الجند ان يكرر كلمة الإخلاص بتلك الصيغة في حال مشيهم النظامي ورجوعهم من التعاليم الرسمية اليومية ، يدخل المدينة بكلمة الاخلاص يتقدمهم فضيلة السيد عدة مع من كان معه من الفقراء ، وبلغني انه لما انتقل الى مدينة رأس الماء من حدود الصحراء فعل ما يقرب من ذلك من جهة تصيير من حوله من العساكر في صفة الذاكرين، فكان مكثهم بالمسجد أكثر من مكثهم في غيره » (7) .

(7) الشواهد والفتاوى ، ص 169 .

وبينما كان يصنع مع هؤلاء القوم مثل هذا فى صميم القشلات العسكرية والقلاع كان العلماء يطاردون من المساحد ، ويحذر من الرحمانية وإخوانها، وخصوصا فى بلاد القبائل، لأنها اخرجت الشيخ ابن الحداد ، وولده الشيخ عزيز ، فالقوم كانوا يعدون « العليوية » لخلافتهم ويصدرون أوامرهم للجنود ليلتزموا « ذكرهم » وطقوسهم ، ويعلنون ذلك فى المدن والشوارع .

ان هذه « المناورات » لم تكن لتخفى على مثل ابن باديس ممن نذروا أنفسهم لخدمة الأمة والسعي فى اصلاح أمورها الدينية والدنيوية ، ولم يكن من الهين مهاجمة العليويين مباشرة وبكل صراحة فى مثل هذا الميدان الحرج ، فان الظروف كانت شديدة ، والاستعمار كان فى أوج طغيانه وعتوه ، وكانت فرنسا تتبجح - انها خرجت من الحرب العالمية الكبرى بأكبر وأقوى جيش يرى فى العالم .

لهذا رأينا ان ابن باديس ركز هجومه الساحق على الجانب الديني . واستطاع ان يضرب هو وحزبه الضربات الماحقة ، وقد مكنهم « العليويون » من ذلك .

فقد كان ابن عليوة قد آلت اليه مشيخة زاوية (درقاوة) بمستغانم بوصية من شيخه محمد بن الحبيب البوزيدي المتوفى عام 1909 م ، ولكن الشيخ ابن عليوة كان طموحا جدا ، فجدد الطريقة ، وأدخل على نظامها وطقوسها وعلى دعايتها تغييرا شاملا مما جعلها تنسب اليه بدلا من نسبها الى الدرقاوي أو الشاذلي ، وخرج بها من مستغانم لتنتشر فى الآفاق .

وقد نشطت على يده نشاطا هائلا وامتدت دعوتها باسمها الجديد فى أنحاء الوطن الجزائرى وحتى خارج الجزائر ، كالمغرب، ونونس، والشام، واليمن، وبريطانيا ، وفرنسا ، وبعض أوطان أوروبا .

وفى داخل الوطن كادت تبتلع الطرق الصوفية وخططت - أو خطط لها - ان تزاحم فى بلاد القبائل - الطريقة الرحمانية ، وت خلفها فى اتباعها ، لأنه تبين للمستعمرين ان (الرحمانية) لا يؤمن جانبها فى القبائل .

ومن بين التجديدات التى اعلنها الشيخ ابن عليوة اعتناقه لمبدأ الحلول ، ووحدة الوجود ، وزعمه فى اشعاره العامة انه (هو الله) وانه (ليس سواه) وأثر عنه بيته الشهير :

فتشت عليك يا الله لقيت روعي .انا الله !

وفى عام 1920 م نشر ديوانه المطبوع فى تونس - وأعلن فيه بمذهبه هذا وكرر هذا المعنى فى كثير من اشعاره ، كما جاء فيه أقوال مما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما سئل عنها ابن عليوة اعتذر عنها بأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى (سكرة) من سكراته ، وتقدم منه فى ذلة وخضوع فوجد منه ترفعا وتدلا فقال فيه تلك الآبيات وفيها يتهدد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتوعده انه ان مات بالشوق اليه فلا عذر له ينجيه ! وانه سيحاكمه الى الله وينتصر عليه ، وفى عبس التى تهدده - صلى الله عليه وسلم - ما يساعد عليه . وزعم انها « شطحة » من شطحاته !!

ورفعت هذه الأبيات الى الشيخ عبد الحميد ، سئل عن حكم من يقولها ، وهل يصح ان يوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلها ؟

فتردد فى الجواب أولا ثم استخار الله وكتب فى الرد على صاحبها رسالة علمية صغيرة الحجم غزيرة العلم عنوانها : « **جواب سؤال عن سوء مقال** » . وقد انتهى من تحرير الجواب فى شهر ذى الحجة 1340 هـ (1922 م) وارسل بها الى كبار علماء تونس والجزائر والمغرب فاطلعوا عليها ووافقوا على ما جاء فيها ، وضللوا من فاه بمثل هذا الكلام ، ومن هؤلاء العلماء من تونس : الشيخ محمد النخلي ، والشيخ بلحسن النجار ، والشيخ الطاهر ابن عاشور ، والشيخ محمد الصادق النيفر ، والشيخ معاوية التميمي ؛ ومن الجزائر الشيخ شعيب بن علي التلمساني ، والشيخ مولود بن الموهوب القسنطيني ؛ ومن علماء المغرب الشيخ العابد بن أحمد بن سودة ، والشيخ محمد بن العربي ، والشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر . كما قرظها غير هؤلاء فى الصحف والمجلات كمجلة الفتح القاهرية .

وكانت صدمة عنيفة أصابت طريقة العليوية وشيخها ، وشككت فى عقيدته ، ونبهت جمهور الأمة الى ما يبثه حتى اضطروا الى تأليف كتاب جمعوا فيه الشهادات من العلماء والقضاة والمفاتي والنواب والمجالس والاعيان بصحة إسلام الشيخ وسلامة عقيدته . ولكنه مع ذلك لم يسحب ديوانه من الرواج ، وتركه فى السوق وفيه - من الضلال والقول بالحلول ووحدانية الوجود ومن

سوء القول - أضعاف أضعاف ما جاء في حق الرسول صلى الله عليه وسلم .
وما زال به ذلك حتى الآن .

وتأسست الصحافة الوطنية ، فتوالى الحملات على الخرافات والباطيل ،
وعلى رواج الدعوة الى مذهب الباطنية وما فيها من القول بالحلول ووحدانية
الوجود ، واشترك في الكتابة فحول العلماء والكتاب والمفكرين من الجزائر
وتونس والمغرب . وكان من أشد الكتاب عنفا على القوم « بيضاوى » فحاولوا
أن يعرفوا من هو ؟ فابت إدارة الشهاب أن تكشف للعلويين اسمه ، فقرروا
أن ينفذوا وعيدهم فى زعيم المصلحين وامامهم الشيخ عبد الحميد بن باديس .

السطو بالأستاذ ابن باديس

وهكذا عقدوا اجتماعا لهم بمستغانم ، وقرروا ان يغتالوا الشيخ بن باديس
وارسلوا اليه فدائيا منهم يدعى ممين - أو ميمان - محمد الشريف من دوار
الجعافرة بلدية مجانة دائرة برج بوعريريج ولاية سطيف اليوم ، فسافر لأداء
مهمته الكريهة من مستغانم على بعد نحو 300 كلم غربي العاصمة ، وركب
القطار من الجزائر بتذكرة ذهاب وإياب ، فوصل الى قسنطينة ، وشرع - مع
اثنين آخرين أو ثلاثة من أعرانه - بترصد الشيخ والتحقق فى معرفة مسكنه
وتحركاته وأوقاته . ثم أقسم مساء 9 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 14
ديسمبر 1926 م على محاولته الآثمة . فاصابه بضربتين على رأسه وصدغه
من هراوة وأدماه ، وحاول أن يسلم موسى من نوع « بوسعادي » ليجهز عليه
ولكن الله سبحانه نجاه منه ، وأبطل كيده .

لقد هزت هذه المحاولة جميع الأوساط ، وفضحت مدبريها فضيحة لا مثيل
لها ، وكانت بحق بداية فصل جديد فى انتصار الإصلاح والسنة ، وانهازم
التعصب والبدعة والباطنية .

والحق ان هذه الحادثة أثمرت ثروة أدبية من النشر الفنى ومن الشعر :
مباحث علمية وأدبية ودينية راقية ، وقصائد شعرية رائقة . ورغم التأثير
الذى أحدثته فى زمنها هذه الحادثة وما قيل فيها من النشر ومن الشعر - لا فى
الجزائر فحسب ، ولكن فى المغرب وتونس أيضا - فقد بقيت مغمورة ، مطوية
بين صفحات الصحف والمجلات ، وما قد مر على حدوثها ما يقرب من ستين

عاما ولا يكاد يعرف عن تفاصيلها أحد من المهتمين بتاريخ نهضتنا الثقافية والوطنية شيئا .

ومن حق جيلنا الحاضر ، واجيالنا المقبلة وكل باحث عن الحقيقة أن يطلعوا على أحداث تاريخهم بالتدقيق، ويعرفوا ما بذله أسلافهم من جهد وبلاء وعرق ودماء حتى وصلنا الى ما نحن عليه اليوم .

ان جريدة « الشهاب » الأسبوعية الصادرة في السنوات 45 - 46 1347 هـ (26 - 27 - 1928 م) تحتوي على صفحات رائعة في موضوع الصراع الفكري العنيف وابطاله : صراع ديني بين السنة والبدعة، وبين العقل والخرافات ، وبين التقدم والانحطاط ، وصراع قومه سياسى بين الاندماج وأعدائه والدعاة اليه ، وبين الوطنيين المخلصين الذين يحكمون عليه بأنه الموت الحقيقي للأمة ، ويفضلون البقاء فى الانحطاط والخرافات والتأخر على تقدم مع الاندماج اذا كان لابد من الاختيار !

وقد عدنا الى هذه الأعداد الصادرة فى ذلك الزمن ، ومنها نقلنا صفحات نثرية وشعرية مما حف بهذه الحادثة ، ودعمناها بفصول جديدة ، وتعاليق مفيدة ، تشتمل على إيضاحات وشروح ضرورية ، تزيد النصوص والأحداث بيانا حتى لا تقتصر قراءتها على مجرد الاطلاع والمتعة ، ولكن تتجاوز ذلك الى الاستفادة واثراء المعلومات بالنسبة للطلبة .

هل الصراع مستمر ؟ وهل من المعقول تأليه البشر ؟

قد يخطر ببال بعض الناس أن هذه صفحات ينبغي أن تطوى، ومن الغلط نبشها واعادتها الى الحياة .

والجواب ان هذه الضلالة قد رفعت رأسها من جديد وانتهزت الصحوة الاسلامية فى شبابنا ، وعودتهم الى حظيرة المساجد يعمرونها ، والى حلقات الدراسات الاسلامية يعقدونها ، والى المكتبات ينقبون فيها عن الكتاب الاسلامي يلتهمون به ، فأخذت تزرع فى السوق الكتب التى تنشر هذا الضلال ، وتروجه بين الغافلين أو الجاهل . فقد نشر فى ديوان الشيخ ابن عليوة - بصورة كبيرة له - نصوص خطيرة وبخطوط كبيرة مشكولة وكتب عنه :

أنه عارف بالله ، وملقن لاسمه الاعظم . وفى اشعاره أنه الله ، وليس سواه
وان الوجود كله هو الله . ويقول :

تبهتني فى ذاتك - وغبت فيك يا لله - ظهرت صفاتك - منك وفيك يا لله
دخلت للمعنى - منك وفيك يا لله - ناديت من أنا ؟ - لست سواك يا الله
أفى هذا العصر ، ومع كل هذه الاضواء يقول (عبد) عاجز أنه هو الله ،
وليس سواه ، ثم يجد من يعتقد صحة قوله ويسميه العارف بالله : الملحق
لاسمة الاعظم ، مع أنه قد مات كمثّل أستاذه ولحق به تلميذه وخليفته من
بعده ، وكلاهما ادعى مثل مدعاه - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وفى كتاب منسوب اليه وان كان تحريره وأسلوبه يعلو عن تعبيراته ،
ولكن ما فيه من الضلالات يشبه شعره - واسمه « البحر المسجور فى تفسير
القرآن بمحض النور » يقول عن القرآن الكريم :

« من المؤمنين من فتح الله بصيرته يراه الآن يتنزل به الروح الامين . واذا
قرأه يقرأه من امام مبين ، واعظهم درجة من يتلقاه من ارحم الراحمين
وقليل ما هم » اهـ

وهذه جراءة لم يتح لاحد - فيما مضى - ان يعلن بمثلها فى قوم من
المسلمين فتروى عنه وتطبع وتروج .

انها تؤدى بقائلها والمصدق به الى الاستغناء عن رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم ، اذا كان (المؤمن) يأخذ القرآن من الامام المبين . - اللوح
المحفوظ هو الامام المبين « قال تعالى : « وكل شيء احصيناه فى امام مبين » ،
قال قتادة ومجاهد وابن زيد « أراد اللوح المحفوظ (8) او يأخذ مباشرة من
أرحم الراحمين ، فانه ليس من أمة محمد ، لان أمة محمد أخذت القرآن منه
عليه الصلاة والسلام ، اخذه الصحابة مباشرة وكتبوه ورووه ، وبلغ الى من
لم يكن حاضرا نزوله ومن جاء بعده برواية بلغت حد التواتر فى كل كلمة منه
وكل حرف ، وهو عليه الصلاة والسلام لم يأخذ القرآن - مباشرة - من اللوح
المحفوظ ولا تلقاه مباشرة من الله ، وانما تلقاه من لدن حكيم عليم بواسطة

(8) تفسير الشوكانى لسورة يس .

أمين الوحي جبريل عليه السلام ، كما انبأنا علام الغيوب « وانه لَنَنْزِيلُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ » .

ان هذه الدعوى خطيرة جدا لأنها تؤدي الى ان الوحي لم ينقطع بختتم
الرسالة ، فمن يقرأ اللوح المحفوظ ، ومن يتلقى عن الله فهو يوحى اليه
« وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يُرسل رسولا
فيوحي بإذنه ما يشاء » . ونحن المسلمين نعتقد ان الوحي قد انتهى بختتم
الرسالة ، ولكن (القاديانية) تزعم غير ذلك وتدعي ان الوحي نزل على غلام
أحمد ميزا القادياني ، وانه رسول ، وان الوحي لم ينقطع ولا ينقطع . وبهذا
كفرهم العلماء ، وأخرجوهم من حظيرة الاسلام وجماعة المسلمين لقوله تعالى :
« ما كان محمد أباً أحداً من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » .
وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا نبي بعدي » وهذا مما هو معلوم من الدين
بالضرورة ، وجاحده كافر بلا شك ، ولو قال صراحة لإخوانه « أنا نبي » أو
يمكن أن يوجد نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما بقي معه احد من
الاتباع ، أما ان يقول فيهم : « ان في المؤمنين من يتلقى القرآن من ارحم
الراحمين » فانه عمى عليهم ، ولم يصارحهم .

ان ادعاء استمرار الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مذهب
(القاديانية) وكانت جريدة الشهاب قد أثبتت الصلة الموجودة بين العليويين
والقاديانية باعتراف جريدتهم البلاغ ونشرها رسالة من احد دعائهم ، وهاجمت
الشهاب الطائفتين معا ، فسكتت العليوية ، ولم يتبرأوا من التهمة . وهذه
الدعوى من شيخهم تثبت اتهام الشهاب (9) ، ولم ينشر هذا الكتاب في حياة
ابن باديس ، ولو نشر لما احتاج الى دليل آخر ليبرهن على ان مذهب القاديانية
يتلاقى مع مذهبهم في هذه النقطة .

وفي نفس هذا الكتاب يقول ايضا :

« هكذا الواحد منا مهما تقوى يقينه وانشرح باطنه فيما يسمعه من الفاظ
القرآن فلا يراه الا كلاما يكلمه الله به في ذلك الحال . وقد كان لي نصيب من

(9) انظر فصل « اتصالات مربية » من هذا الكتاب .

ذلك والحمد لله - فكنت مهما يطرق سمعى كلام الله فترتعد بوادرى عن
الفحص حتى كأنى أسمع حسيسا من بقية صلصلة الجرس - ثم يقول :
« وبهذه الخاصية اطلعنى الله على البعض من جواهره » (10) وهذه الجواهر
فى زعمه هى التى نشرها فى كتابه .

إذا ، فالوحي عنده لم ينقطع ، والقرآن الذى يتلوه ليس هو الذى بلغه
محمدا ووصل الينا بطريق التواتر ، وانما يقرأه من اللوح المحفوظ مباشرة
أو يتلقاه - كما تلقاه محمد - من أرحم الراحمين، بل مقامه فى زعمه أعلى لأن
محمدا أنزله على قلبه الروح الأمين .

وكما كان رسول الله قد يأتية الوحي كصلصلة الجرس يأتية هو كذلك !
وان الله أطلعه على البعض من جواهره .

ان هذا الضلال والفساد مما ينسبه الباطنية لائمتهم المعصومين ، فهؤلاء،
القوم - اذا - ظنوا أن الجو قد خلا لهم من العلماء الذين عليهم ان يردوا
باطلهم ، وظنوا أن لهم ان يبيضوا ويفرخوا ، وينقروا ما شاءوا ان ينقروا ،
فقد خاب ظنهم ، وساء فالهم، وأقل ما يفعل أن ترسل عليهم صواعق احرقت
سلفهم .

ان فى هذا الكتاب كثيرا مما يبين حالهم ، ويكشف ضلالهم ويحذر المؤمنين
من أقوالهم وأفعالهم ، ويبين رأى كبار العلماء . فيهم وفيما حاولوا ترويجه
بالامس واستعملوا فى سبيل بلوغ أهدافهم - لا اللهي والشطحات والحضرات
فقط ولكن حتى المدى والدبابيس فلم يفلحوا ولن يفلحوا؛ فالسنة منصورة
والبدعة مقهورة .

ولعلنا بهذا نلفت اليهم انظار علمائنا لينتبهوا الى خطر ما يريدون ان
يبثوه فى شبيبتنا وعامتنا . وعلى كل منا أن يؤدي ما يجب عليه كما أداه
اسلافنا .

وقد آن لنا ان نترك القارىء يتابع القصة فى فصولها والله الهادى الى
سواء السبيل وعليه اتكالنا .

(10) انظر مقدمة كتابه « التفسير المسجور » .

رسالة جواب سؤال

بهذه الرسالة نشبت المعركة الدينية القومية بين الاصلاح والسلفية من جهة وبين الطرقية والبدعة والجمود من جهة أخرى وكان من أطوارها محاولة السطو بالشيخ ابن باديس رحمه الله .
وهذه فصولها :

رسالة جواب سؤال عن سوء مقال

للعامة السلفي الاستاذ عبد الحميد بن باديس حفظه الله

عقائد نقية ، أدلة جلية ، كلمات نيرة ، نقول جلية بيان لعظيم مقام النبوة والرسالة ، ولضلال من خاطب ذلك المقام بخطاب الجهالة ، قرظها عشرة من كبار العلماء بتونس والجزائر والمغرب الأقصى ، وعلق على مواضع منها العلامة الجليل القاضي الشيخ شعيب التلمساني .

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

السؤال :

ما قول ساداتنا العلماء - رضى الله عنهم - وأدام النفع بهم فى رجل يزعم أنه قطب الزمان الفرد ، وان الكل دونه ، وانه العارف المسلك ، الى غير ذلك من أعلى صفات العارفين ، وأسمى درجات الكاملين . ثم يقول مخاطبا للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بما نصه :

ان مت بالشوق منكـد	ما عـذر ينـجيك
ان تبـق فى مجرى زائـد	للمـولى ندعـيك
من هو بالملك مـوحد	ينظـر فى أمـرك
عبس بالقول تساعـد	ما نـرجوه فيـسـك

ولما قيل له فى هذه الأبيات قال : ألسن المحبين اعجمية . فهل يعد خطابه هذا سوء أدب ؟ وهل تجوز مخاطبة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بمثله ؟ وهل صدور مثله من شأن العارفين الكاملين ؟ وهل يقبل منه ما اعتذر به من عجمة ألسن المحبين ؟ أفيدونا مأجورين ان شاء الله تعالى من رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . انتهى

الجواب :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وصلى الله على

سيدنا محمد الذي أدبه الله فأحسن تأديبه ، ووفر من كل خير وكمال على جميع العالمين نصيبه ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الهادين والمهتدين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد - فقد وفقت على سؤالكم وتأملت من جميع فصوله ، وأحطت خبرا ان شاء الله - تعالى - بلفظه ومدلوله ، ومهمت أن لا أجيبكم عنه بحرف واحد لما أعلم من تصميم أكثر العامة على العناد فيما اعتقدوه من الباطل ، وسكوت أكثر الخاصة من التصريح بالانكار عليهم ، والأرشاد لهم ، وتهافت بعض الطلبة القاصرين ، على تسويد صحفهم وصحائفهم بشبهات يسمونها بأفواههم دلائل وأجوبة عن متبوعهم من الجاهلين ، يحشونها بالاحاديث الضعيفة والموضوعة والتأويلات الباطلة الممنوعة ، والروايات المدخولة عن ليس قوله حجة على الناس في الدين وانما غايته - اذا ثبت عنه ذلك وحسن به الظن - أن يؤول على وجه صحيح يقبله الشرع - ثم يردون بمثل هذا على الآيات البينة والاحاديث الثابتة وعمل السلف الصالح المشهود لهم بالخيرة على لسان المعصوم . أفمع هؤلاء ينفع الكلام أو يحسن الجواب ؟ لكنني تذكرت ما جاء في وعيد الكاتمين ، وفي وعد من بذل الجهد في نصيح إخوانه المسلمين ، ورجوت أن لا أعدم أنصارا على الحق ، وإخوانا متكاتفين في نصرة الدين ، من عدول حملة العلم الذين ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، فاستخرت الله - تعالى - وحررت لكم هذا الجواب في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، غير قاصد - علم الله - شخص أحد بالنقص ، ولا خارج بعون الله - تعالى - عن جادة الفهم من دلالة الظاهر والنص ، والله أسأل أن ينفع به المسترشدين ويهدي به غير المعاندين ، ويفت به أعضاء المفسدين ، آمين .

المقدمة :

في وجوب الأدب مع النبي - صلى الله عليه وسلم

أجماعا وأبدا وعلى كل حال

أجمع علماء الأمة من جميع الفرق على وجوب الادب مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حيا وميتا كما يجب الايمان به حيا وميتا للنصوص القطعية

ففى ذلك كقوله تعالى : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه » الآية . وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تَقْدِمُوا بن يدي الله ورسوله » . وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم » الآية . وعلى هذا كانت سيرة السلف الصالح معه - عليه الصلاة والسلام - فى الحياة وبعد الممات ، روى الترمذى عن انس - رضى الله تعالى عنه - كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما ، فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا أبو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما ، وجاء من غير وجه ان أصحابه كانوا حوله كأنما على رؤوسهم الطير حتى كانوا من تعظيمه وتوقيره يهابونه فلا يسألونه ، فيحبون ان يأتى الاعرابي الجاهل فيسأله ، ولما ناظر أبو جعفر المنصور مالكا فى المسجد النبوي ورفع صوته ، قال له مالك : لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال : « لا ترفعوا أصواتكم ... » الآية . ومدح قوما فقال : « ان الذين يغضون أصواتهم ... » الآية . وذم قوما فقال : « ان الذين يُنادُونَكَ مِنْ وراءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ » (1) . وان حرمة ميتا كحرمة حيا ، فاستكان لهما أبو جعفر (2) . وقد كان مالك - رحمه الله تعالى - اذ ذكر النبى - صلى الله عليه وسلم - يتغير وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه .

(1) أى فيما يعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم ، الجلال المحلى ، ومعنى الرفيع : العلى القدر والمحموظ من اساءة الادب ، اهـ . صاوى ، نعم اذا كان من يقول لشيخه لم لا يفلح فكيف بالتجاسر على خير الخلق على الاطلاق بالاطباق صلى الله عليه وآله وسلم .

(2) وقال تعالى : « لا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ بَعْضاً » ، بان تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله فى لين وتواضع وخفض صوت ، اهـ . محلى قوله : لا تجعلوا دعاء الرسول أي ندائه بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بان تقولوا يا رسول الله يا نبي يا امام المرسلين يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين . واستفيد من الآية انه لا يجوز نداء النبى بغير ما يفيد التعظيم لا فى حياته ولا بعد وفاته ، فبهذا يعلم ان من استخف بجنابه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة . قوله : ونخفض الصوت أى لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق »

وكان جعفر الصادق كثير الدعاية والتبسم ، واذا ذكر عنده النبي - صلى الله عليه وسلم - اصفر ، والواقف على سير السلف الماضيين والعلماء المتقدمين يجد فيها كثيرا من هذا في مراعاة حرمة - صلى الله عليه وسلم - وشدة التأدب مع جنابه الشريف ، ومن أكثر الناس محافظة على الادب وتحريضا عليه ووصاية به شيوخ الزهد والعلم من أئمة التصوف العارفين كرجال الرسالة القشيرية الذين ابقى الله بعظيم فضله على الاسلام وجميل صنعه لنصرة الدين كلامهم حجة على كل من ينتسب الى طريقتهم في مثل هاته الازمان ، قال في الرسالة عن عبد الله بن المبارك : نحن الى قليل من الادب احوج منا الى كثير من العلم ، وعن أبي علي الدقاق : من صاحب الملوك بغير أدب اسلمه الجهل الى القتل ، وقال أبو حفص الحداد : التصوف كله أدب لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن لازم الأدب بلغ مبلغ الرجال، ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو الوصال. وقال : حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن (3) .

الفصل الاول :

في بيان خروج كلامه عن دائرة الأدب المرعية، وتهجمه على الحضرة النبوية قال :

ان مت بالشوق منكبد ما عذر ينجسك

أي حق للعبد الحقير ، على السيد الجليل الكبير ، حتى يطالعه بالإعذار اليه اذا لم يأت به ، أم كيف ساغ لهذا المسكين ان يقول له لا عذر بنحبتك ، ممن ينجيهِ هذا العذر ان لو كان ينجيهِ ، امن اللوم في سبائك والعتاب

صوت النبي ولا تجهرُوا له بالقول كجهر بعضهم لبعض ان تحبَط أعمالكم وانتم لا تشعرون » . صاوى محشى الجلالين بالحرف . وفي التسا ما نصه قال : قال ابراهيم التيمي : واجب على كل مؤمن متى ذكره صلى الله عليه وسلم أو ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيئته وفي جلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ويتأدب بما أدبه الله ، مثل قوله تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم ... الخ ، ولا ترفعوا أصواتكم ... » وغيره كما تقدم . اع

(3) وقيل : من يتأدب ساد ومن لم يتأدب طرد عن الباب .

لاجلك ؟ من انت يا هذا حتى يعتذر سيد الاولين والآخرين لك ، ثم لا ينجبه من التقصير في حقك عذر عندك ، لقد وضعت نفسك والله في غير محلها وجهلت مقام النبوة وجلالة منصبها .

قال :

ان تبس في هجري زائد للمولى ندعيك
من هو بالملك موحده ينظر في أمسرك

أي حق لك على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى صرت تخوفه بانك تدعوه وتشكو به الى الله - تعالى - لينظر في أمره ، وهل يتصور منه - صلى الله عليه وآله وسلم - تقصير في حق أحد حتى يشكو به الى الله - تعالى - حاشا ذلك الجنب الكريم ، والنبي الرؤوف الرحيم (4) . ان يقصر في خير لأحد في حال حياته وبعد مماته وكيف ذلك وهو الذي قال له الله تعالى : « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » (5) ، وهو الذي لما تعرض عليه في قبره اعمال أمته يستغفر للمذنبين ، لكنك يا مسكين توهمته كعظماء الدول الذين يقصرون مع من دونهم فيخوفون بمن فوقهم ، على انه لم يكن من أدب العبيد ان يهددوا الوزير بسلطة الأمير فاین انت يا هذا حتى من آداب الوزراء والسلاطين بله الأنبياء والمرسلين .

قال :

عبس بالقول تساعد ما نرجوه فيسك

هذا تعريض للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بما خاطبه الله تعالى في سورة ابن أم مكتوم ، وتخويف له بما يلحقه ان قصر مع هذا المسكين من العتاب واللوم ، واحتجاج عليه بالقرآن ، والزام له بالقبول والاتیان ، وهذا تهجم عظيم ، وتجاسر شديد ، لا يقدم عليه عامة المؤمنين ، فكيف بمن يزعم انه خاصة العارفين .

(4) القائل انما أنا قاسم والله يعطى ... الخ
(5) وقال تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

الفصل الثانى

فى بيان حرمة مخاطبة النبى - صلى الله عليه وسلم - بمثل هذا الخطاب

قد اشتمل صدر هذا الكلام على نفي قبول العذر من النبى - صلى الله عليه وسلم - وذلك يستلزم أن له عليه حقا أن وقع فيه تقصير احتيج معه الى العذر ثم لا يقبل منه . وعلى أنه يرفع دعوى لينظر فى أمره ، وهذه التهجمات القبيحة التى لا تصدر من العبيد الى السادة هى لا شك أقوى فى سوء الادب من مجرد رفع الصوت الذى نهى الله تعالى عنه وجعله سببا فى حبوط الاعمال فتكون قطعاً أحق بالمنع والتحريم ، وما أشبه طلب هذا الرجل القبول والائتمان بهذا الخطاب المزعج الغليظ : بأولئك الذين نادوه من وراء الحجرات ولم يصبروا حتى يخرج اليهم ، بل هو أشد ، لان القوم كانوا حديث عهد بجاهلية لم يخالطوا المسلمين ولا تأدبوا بأداب الاسلام . وهذا يدعى منزلة الاولياء والصالحين ، ثم يأتى بما لا يصدر من العامة الجاهلين ، فيا ليتة تأدب فى الخطاب ، خير شفيع لوصل سببه ، لكن الغرور والغفلة ، أعظم أسباب المحنة عياذا بالله . واما آخر كلامه فقد اشتمل على طامة عظيمة وجرأة كبرى بتعريضه للنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - فى سورة عبس على ما تقدم بيانه فى آخر الفصل الأول ، وهذا فى سوء الأدب ادخل ، وفى الحرمة أشد لان صاحبه قد اعتقد تقصيرا من النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - فعرض له هو به وخوفه من أن يقصر معه مثل ذلك التقصير فيلام عليه مثل ذلك اللوم كبرت كلمة والله خرجت من فى هذا المغرور المسكين ، ولا حول ولا قوة الا بالله، ولا توفيق الا به . فان قلت هذه قصة جاءت فى القرآن وخبر ذكره الله تعالى . قلنا فالجواب عن ذلك ما قاله الامام الحافظ خزانة العلم وقطب المغرب ابو بكر بن العربى فى سورة (ص) من كتاب الاحكام . قال : للمولى أن يذكر ما شاء من أخبار عبيده ويستتر ويفضح ويعفو ويأخذ ، وليس للعبد أن ينهز فى مولاه بما يوجب عليه اللوم ، فكيف بما عليه فى الادب والحد ، وان الله تعالى قد قال فى كتابه لعباده فى بر الوالدين « **فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ** » فكيف بما زاد عليه ، فما ظنك بالأنبياء وحققهم أعظم ، وحرمتهم أكد ، وأنتم تغمسون السنتكم فى اعراضهم ، ولو قررتم فى أنفسكم حرمتهم لما ذكرتم فضتهم اه . وما بعد هذا البيان بيان ، وان هذا الكلام لكاف وحده عند اللبيب المنصف فى

جواب ما تقدم من السؤال • ومن عقائد الايمان مما يجب علينا فى حق الانبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - ان لا نخاطبهم بما خاطبهم الله تعالى به ولا نذكر فى كلامنا شيئا مما عوتبوا عليه لا بالتلويح ولا بالتصريح الا بحكاية لفظ القرآن والحديث ، واما الله تعالى فانه يخاطبهم بما شاء ، لانهم عباده وصفوته من خلقه ، لهم من كمال المعرفة به ما ليس لغيرهم ، وله عليهم من الفضل العظيم ما لا مطمع فيه لسواهم ، واما نحن فموقفنا معهم موقف العبيد مع السادة ، فيجب علينا معهم اعتقاد الحرمة واكبار الجانب ، ولزوم الادب ، فى الاقوال والافعال ، وجميع الاحوال ، ولا يجوز لنا ونحن خدامهم واتباعهم ان نذكرهم او نخاطبهم بما خاطبهم بهم ربهم ومالكهم ، فما أبعدنا والله عن ذلك المقام ، وقد ذكر هذه العقيدة الامام الحافظ أبو بكر بن العربي فى كتبه منها قوله فى سورة (الاحزاب) من كتاب الاحكام : « وعهدنا اليكم عهدا لن تجدوا له ردا ، ان أحدا لا ينبغى أن يذكر نبيا الا بما ذكره الله لا يزيد على ذلك » اهـ • وقال الامام الصوفي أبو عبد الله بن الحاج فى كلامه على المواسم من كتاب المدخل : وقد قال علماؤنا - رحمة الله عليهم - وان من قال عن نبي من الأنبياء فى غير التلاوة والحديث أنه عصى أو خالف فقد كفر، فعوذ بالله من ذلك (اهـ • ونقل هذا الكلام عنه الشيخ محمد الزرقاني فى قسم الخصائص من شرحه للمواهب وسلمه : ولا يخفى ان حكم التعريض فى هذا المقام حكم التصريح • فعوذ بالله - بالدين وتوقع فى سوء الأدب مع سيد المرسلين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم •

الفصل الثالث

اعلم ان السادة العارفين هم ارسخ الناس قدما فى محبة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وتعظيم حرمة ، ومراعاة شريف جانبه ، وتعزيره وتوقيره وبره ، تجد ذلك فى صلواتهم عليه ، وفى ادعيتهم لله تعالى عند ذكره والتوسل به ، وفى مناجاتهم له عند الشوق اليه ، وفى تأليفهم عند الكلام فى حقه ، وهذه أشياء مروية عنهم ، معروفة منهم ، لا تحتاج الى شاهد ولا تخفى على طالب ، بل هم أكثر الناس أدبا مع شيوخهم ومربيهم ومريديهم ، بل هم آدب الناس من جميع الناس ، قال قائلهم : من لا ادب له لا شريعة له ولا ايمان له ولا توحيد له ، وكتبهم بهذا طافحة ، وسيرهم أصدق شاهد عليه ، فمعاذ الله

ان يكون مرتكب ما تقدم مع الاصرار عليه من عامة عامتهم فضلا عن ان يكون ممن فوق ذلك اذ لا نشك ان ذلك الخطاب الغليظ الجافى لا يقوله المؤمن العامى الباقي على فطرة الإيمان ، فضلا عن أهل الخصوصية والعرفان ، ومن لا يراعى الادب فى خطاب سيد المرسلين ، كيف يصلح ان يكون من العارفين المسلكتين ؟ اذ من لا يؤدب نفسه كيف يؤدب غيره ؟ ومن لم يؤمن على آداب الخطاب كيف يؤمن على ما يدعيه من مقامات الكاملين ؟ قال أبو يزيد البسطامى - رحمه الله تعالى - لبعض أصحابه : قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية وكان رجلا مقصودا مشهورا بالزهد ، قمضينا اليه فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقة تجاه القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه ، وقال : هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه ؟ اهـ . فانظر يا أخى رحمك الله بانصاف الى هذا العارف الكبير كيف وزن الرجل بميزان الشرع فطرحة لاخلاله بأدب واحد من الآداب - كيف بنا لا نطرح هذا المتهجم على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بقبيح التعريض وسوء الخطاب ؟! قال أبو اسحاق الشاطبى فى كتاب الاعتصام اثر كلام أبى يزيد المتقدم : هذا أصل ، أصله أبو يزيد - رحمه الله تعالى - للقوم ، وهو ان الولاية لا تحصل لتارك السنة ، وان كان ذلك جهلا منه (6) فما ظنك به اذ كان عاملا بالبدعة كفاحا ! اهـ . ونقول : فما ظنك به اذا كان يتهم على الحضرة النبوية بمثل ذلك الخطاب الذى لا نظير له فى كلام صغار المنتسبين ، وعامة المداحين الجاهلين فضلا عن كلام العارفين ؟ وقال الشيخ عبد الغنى النابلسي فى شرحه لكتاب الطريقة المحمدية ، عند كلام أبى يزيد المتقدم : ان الله - تعالى - لا يؤمن على أسرارهِ وأنواره الا من أمنهُ أولا على الأخلاق المرضية ، والآداب المحمدية - **« اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ وَسَالَتُهُ »** - والحكمة وضع الشئ فى موضعه ، وهى ملازمة لأفعال الله - تعالى - لا ينفك عنها فعل من أفعاله تعالى ألبتة ، وليس من الحكمة وضع الولاية والكمال فى المنتهك للحرمة والتارك للآداب ، بسل الحكمة تقتضى عقابه لا ثوابه أو العفو عنه لا المدح منه اهـ . فلا نشك بعد هذا فى بطلان دعواه الواسعة المضادة لتهجمه واصراره على سوء الادب مع رسول

(6) يعنى ان الولي من لا يكون للشرع عليه اعتراض .

الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولا دليل على حال المرء مثل كلامه ولا
أصدق على قلبه من ترجمان لسانه (7) .

الفصل الرابع

فى بطلان عذره بعجمة السن المحبين

اعلموا ان خير هذه الامة هم أحبها فى نبيها وهم أهل القرون الثلاثة
المشهود لهم بالخيرية على لسان المعصوم وعلى قدر حبهم فيه كان تعظيمهم له
وأدبهم معه .

لما نزل قوله تعالى : « لا ترفعوا اصواتكم ... » الآية ، قال أبو بكر - رضى
الله تعالى عنه : - والله لا اكلمك بعدها الا كاخى السرار ، وصار عمر - رضى
الله تعالى عنه - لا يسمعه حتى يستفهمه ، ولزم ثابت بن قيس - رضى الله
تعالى عنه بيته وكان جهير الصوت مخافة ان يحبط عمله ، حتى اعتذر للنبي
- صلى الله عليه وآله وسلم - فعذره وبشره بالجنة فانزل فيهم وفي أمثالهم
« ان الذين يغضون اصواتهم ... » الآية . هؤلاء هم الحجة على الخلق ، وهم
الذين لا يبلغ من جاء بعدهم مدا أحدهم ولا نصيفه ، وهذا أدبهم وهم سادات
المحبين ، وقد كانت أسنتهم - والله - فصيحة فى العلم والآداب منزهة عن
كل ما بعاب ، فما بال هذا المسكين يركب ذلك الركب الصعب ويخرق سياج
الادب ، ويعتذر بعجمة ألسن أهل الحب ، كلا والله ، لقد تجاسر على أهل
المحبة الحقيقيين وافترى عليهم ، وادعى عليهم ما ليس فيهم ثم لا يجد أبدا
نظيرا لكلامه عند واحد منهم ، وان اقتدى ببعض المفرورين المتعجرفين ممن لم
نعلمهم حتى الآن ، فالحجة من الكتاب والسنة وسيرة السالف الصالح وشيوخ
الطريقة المتقدمين قاطعة به وبأمثاله اجمعين، والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة فى نصيحة نافعة ووصية جاهمة

اعلموا جعلكم الله من وعاء العلم ، ورزقكم حلاوة الادراك والفهم ، وجعلكم
بعزة الاتباع ، وجنبكم ذلة الابتداع ، ان الواجب على كل مسلم فى كل مكان
وزمان ان يعتقد عقدا يتشربه قلبه ، وتسكن له نفسه ، وينشرح له صدره ،

(7) ما فيك يظهر على فيك - وكل اناء بالذى فيه يرشح .

ويلهج به لسانه ، وتنبئ عليه أعماله ، ان دين الله تعالى من عقائد الايمان ، وقواعد الاسلام ، وطرائق الاحسان انما هو فى القرآن والسنة الثابتة الصحيحة وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ، وان كل ما خرج عن هذه الأصول ولم يحظ لديها بالقبول - قولاً كان أو عملاً أو عقداً أو احتمالاً فانه باطل من أصله - مردود على صاحبه - كائناً من كان فى كل زمان ومكان - فاحفظوها واعملوا بها تهتدوا وترشدوا ان شاء الله تعالى ، فقد تضافرت عليها الأدلة - من الكتاب والسنة - وأقوال أساطين الملة - من علماء الأمصار - وائمة الأقطار - وشيوخ الزهد الأخيار - وهى لعمر الحق لا يقبلها الا أهل الدين والإيمان - ولا يردّها الا أهل الزيغ والبهتان . والله اسأل التوفيق لى ولكم ولجميع المسلمين، والخاتمة الحسنة، والمنزلة الكريمة فى يوم الدين، آمين، والحمد لله رب العالمين .

قال مؤلفه عبد الحميد بن باديس عفا الله عنه : فرغت من تحريره بين عشية يوم الاثنين وصبيحة يوم الثلاثاء السادس والعشرين والسابع والعشرين من ذى الحجة الحرام عام 1340 هـ .

التقاريف

نُبتها هنا على حسب ورودها فى التاريخ

تقريظ محمد النخلى :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ، اما بعد : فاني اطلعت على الرسالة التى حررها الفاضل العالم ابننا الشيخ عبد الحميد ابن باديس احد المتطوعين بجامع الزيتونة (عمره الله) جواباً عن سؤال فى حق من خاطب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - خطاب جفاء وغلظة، فوجدتها رسالة حافلة بالنصوص الصحيحة المطابقة لما سئل عنه مطابقة العام لبعض أفراد ، ايده الله بروح منه، وأعانه على القيام بوظيفة الإرشاد فى تلك البلاد المتعطشة لكثير من نظرائه الناسجين على منواله .

ولنا مقالة فيما وقفنا عليه من تأليف هذا الرجل الذى ظهر بتلك الناحية، والله المسؤول أن يجعلنا من الفرقة الناجية . وكتبه فقير ربه محمد النخلى خادم العلم الشريف لطف الله به فى 5 صفر الخير عام 1341 هـ .

تقريظ بلحسن النجار :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين ، هذا وقد وقفت على الجواب الذي حرره العلامة الفاضل السرى الكامل ابننا الشيخ عبد الحميد بن باديس فى شأن الأبيات التى سئل عنها ، فاذا هو لباب الحق الذى لا يرهقه نزاع ، وما على الشمس غطاء ، ولا على الصبح قناع ، كثر الله من أمثاله فى العلماء العاملين ، وألهم ذلك المتعجرف رشده كي يستبين سبيل المهتدين ، والى الله المشتكى من أناس يتنكبون الواضحة السمحاء ويتتبعون بنيات الطريق ويتطرفون فى مجاهل السبل بغير علم ، ويتدهورون فى مهواة الضلال . فان أولئك من الذين غيرهم الله بقوله : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » . والله المسؤول ان يوفقنا لصالح الاعمال . حرره فقير ربه بلحسن النجار فى 6 ربيع الانوار سنة 1341 هـ .

تقريظ محمد الطاهر بن عاشور :

الحمد لله مؤيد الحق بالحجج الساطعة ، ومزهق روح الباطل بالصوارم القاطعة ، والمضى بشمس العلم مهامه الجهالة الشاسعة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل بالدعوة النافعة ، والواجب تعظيمه على كل من آمن به وتابعه ، وعلى آله وصحبه وكل من ذاد صاحب بدعة ودافعه ، اما بعد فانى طالعت هاته الرسالة الحافلة التى ألفها العالم الفاضل نبعة العلم والمجادة ، وقريع التحرير والاجادة ابننا الذى افتخر ببنوته الينا ، واتمثل فيها بقول الساعة (. . . ولا هو بالابناء يشرينا) الشيخ سيدي عبد الحميد بن باديس فى تقويم من جراه جهله على خطاب الحضرة النبوية ، بما تجاوز حدود الآداب الدينية واخطأ الباب الذى رام التطفل عليه من أبواب الصوفية ، فوجدتها رسالة قد أودعها مؤلفها صريح الحق ومحضه ، واكثر فيها من المعانى ما أوجز لفظه ، أكثر الله أمثاله فى المسلمين ، من العلماء المرشدين ، وكتب فى 17 صفر سنة 1341 هـ محمد الطاهر بن عاشور قاضي تونس لطف الله به .

تقريظ محمد الصادق النيفر :

الحمد لله ملهم الحق من اجتنابه من المرشدين ، ومدحض الباطل بهديه المستبين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد روح العالمين ، ومحور

دائرة عباد الله المخلصين ، وباب الله الموصل لجميع السالكين ، القائل :
لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، وعلى آله واصحابه والتابعين ،
أما بعد ، وفي كل حي بنو سعد فقد اتحفني الابن الروحي ، والأخ النصوحي
العلامة المدقق ، ومن هو بكل فضيلة متصف ومتعلق ، عمدة المغرب الأوسط
والصاعقة على الدجاجة الطراريس ، الأستاذ سيدي عبد الحميد بن باديس ،
اتحفه الله بكل فضيلة ، وازاح بعلمه وتحريراته كل رذيلة ، بالاطلاع على
هاته الرسالة الحافلة ، التي هي بتحقيق جواب ذلك السؤال الكافلة ،
ولا يخامر عقل مسلم فضلا عن عالم أو سائل ان ينال قيد انملة من ولاية
أو سعادة دون ترام على الاعتبار النبوية ، وتقاذ بأدب في حب الطلعة المحمدية
ولكنها الاهواء اعمت ، وتفنن في الارجيف والتدجيل أصمت ، أهكذا تكون
الشطحات ان كان لك ذوق يا صاحب الأبيات الباردات ، وأما انا وان كنت
لست مطلعا على حالك ولا ما أنت فيه ، ولكن كلام الشخص عنوان على
ما انطوى عليه فارجع لرشدك وافق من حال سكرك ، واسلك طريق سادات
مضوا ، واقبل نصيحة الشيخ عبد الحميد ، فما لك والله عنها محيد ، وانت
أيها المجيب كثر الله من نصراء الحق امثالك واحسن عقبى حالنا وحالك
بحوله وطوله لا رب غيره .

حرره : خادم العلم محمد الصادق النيفر في اشرف الربيعين سنة 1341 هـ

تقريظ معاوية التميمي :

اطلعت رعاك الله أيها الأخ الغيور على ما سأل به يراعكم ، ذائدا عن الملة
الحنيفية ، وعلى ما نسجته ألمعيتكم الصائبة العبقريّة ، في الرد على من وجه
الخطاب للطلعة المحمدية ، بتلك الأبيات ، وماخوته من الترهات ، فتعتصم به
سبحانه من الوقوع في الزلات ، وجدته من العمل المبرور ، والصنيع المشكور .
ناهيك به صنيع يذب عن حمى المصطفى ، ويزيد الذين امتدوا هدى ، فله
أنت من عالم تحرير ، ومحام خير ، ولكن عذيري يا أخى من أهل هذا الزمان
فانه ما جراً هؤلاء الناس على التفوه بمثل هذه الاباطيل بكل قحة ودعارة
الا رؤيتك السواد الأعظم من الأمة الاسلامية المسكينة في انقياد تام لهم -
واظنها دسياسة قديمة تمكنت حلقاتها - يتحرون خطاهم ، ويرون رضا الخالق

مقرونا برضاهم ، فيزيدون في الاستغراق ، ويخلقون من ضروب الدجل والنفاق ، ما تهتز له السبع الطباق .

ويقدر انقيادهم لهؤلاء القوم تراهم يبتعدون من أولى العلم ابتعاد السليم من ذى العاهة ، أو الخطيب من القهاة ، ويستنهض بعضهم بعضا في الابتعاد وزد على ذلك ما استفحل من الداء الدفين في أهل العلم من الولوع بالتشاكس وهو الانتقاد ، في كل عمل ما كانت صبغته وبهذا ومثله تسنى لأولئك الانتصار وراجب بضاعة القوم .

فقلت ادعوك للجلى لتنصرنى وانت تخذلنى فى الحادث الجلل
كتبه معاوية التميمي تحريرا في ربيع الثانى عام 1341 هـ .

تقريف شعيب بن علي بن عبد الله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما ، الحمد لله على جميل التوفيق والشكر لله على الهداية لاقوم طريق ، والصلاة والسلام على أشرف من وحده وعنده القائل من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وعلى آله واصحابه أولى العناية بدين الله وتابعيهم من العلماء العاملين وكمل العارفين المؤيدين بتأييد الله ، اما بعد :
فقد اطلعنى الجهابذ الامام ، واحد الائمة الاعلام ، المحرر المجيد ، ذى الخلق السنى الحميد ، انيس كل جليس ، الشيخ سيدى الحاج عبد الحميد ابن باديس ، على ما علقه على أبيات من خاطب - النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

ان مت بالشوق منكسدا ما عذر ينجيك

فالفتيه الحق الذى فيه لا يستراب ، والمنهج الاقوم الذى لا شك فيه ولا ارتياب فحمدت الله على ان وفقه لذلك وأرشده لسلوك تلك المسالك فانه مشى على أصول سليمة وقواعد مستقيمة يجب الرجوع اليها والاعتماد عليها ، فمن حاد عنها ضل وهلك وخرج عن نهج السلف الصالح ، وغير سبيلهم سلك ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا ووقاه والمحبين وأنصار الدين سوءا وضيرا

بحرمة اكمل المرسلين سيدنا ومولانا محمد عليه وعلى آله افضل الصلوات
واذكى التسلمات الى يوم الدين آمين والحمد لله رب العالمين .

عبد ربه شعيب بن علي بن عبد الله وفقه الله .

تقريظ محمد المولود بن الموهوب :

الحمد لله الذي جعل الادب الصادق مع سيدنا المصطفى دليل على الحب
- وجعل حبه الكامل علامة على رسوخ الايمان والقرب - والصلاة والسلام
التامان عليه كما يليق به من الله - ما تلى ويتلى : « قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » وعلى آله وأصحابه الذين حازوا به عظيم الجاه - .
اما بعد، فقد اطلعني الأخ في الله العلامة فرع الكمال وزبدة الأصول ذو الانس
والتائيس السيد عبد الحميد بن باديس على جوابه الشافي ونقله الصافي
وكيله الوافي ، بل ونعم الحسام الكافي لقطع رقبة ذلك الذي قاده الخناس
بزمام الوسواس حتى نطق بتلك العبارة المحزنة الدالة على انه ذو إفلاس -
وزين له ان اقبال الجهال عليه لا يكمل الا بتلك الجسارة العظمى على الجنب
الاحمى - وافضل المخلوقات قدما - فوجدته سلسبيلا معينا - كالعسل المصفي
للعلماء العاملين - من بحر شريعة الأمين يجرى - فله در الباديسى المؤيد بما
قاله الكل كالامام الأخضرى .

وقال بعض السادة الصوفية	مقالة جليلة صفيه
اذا رأيت رجلا يطير	أو فوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف عند حدود الشرع	فانه مستدرج وبدعي
واعلم بان الخارق الروحاني	لتابع السنة والقرآن
والفرق بين الإفك والصواب	يعرف بالسنة والكتاب
والشرع ميزان الأمور كلها	وشاهد بفرعها وأصلها
والشرع نور الحق منه قد بدا	وأنفجرت منه ينابيع الهدى
وقال بعض أولياء الله	السالكين لطريق الله
من ادعى مراتب الجمال	ولم يقم بأدب الجلال
فأرفضه انه الفتى الدجال	ليس له التحقيق والكمال

ومن تحلى بحلى المعالي ولحدود الله لم يبال
ففر منه انه شيطان مخادع ملبس خسوان

قال البيهقي فى مناقب الشافعي - رضى الله عنه - المحدثات ضربان :
ما أحدث مخالفا كتابا أو سنة أو اثرا أو اجماعا فهذه بدعة وضلالة ، وما
أحدث من الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة ، وقال الاستاذ
البكرى - رضى الله عنه - فى الوصية الجليلة ان أهل الطريق يجب عليهم
ان لا يخطوا خطوة ينكرها الشرع عليهم ، فان من خالف الشريعة المحمدية
تاه وضل عن الطريقة المرضية ، فالشريعة أصل والحقيقة فرعها ، فمن لم
يحكم الأصل لا ينتفع بالفرع ، اهـ . قال سيدى عبد القادر الجيلالى - رضى
الله عنه - : كل حقيقة ردت شريعة فهى زندقة وكل ظاهر يخالف باطنا
فهو باطل ، اهـ . وقال سيدى ابراهيم الدسوقي - رضى الله عنه - : طريقنا
هذا مضبوط بالكتاب والسنة ، فمن أحدث فيه ما ليس فى الكتاب والسنة
فليس هو منا ولا من اخواننا ونحن يريئون منه فى الدنيا والآخرة ولو انتسب
الىنا بدعواه ، اهـ . وقال أبو زيد - رضى الله عنه - : لو ان رجلا يبسط
مصلا على الماء وترجع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند
الأمر والنهي ، اهـ . وفى مناهج السعادات : قيل للرسول - صلى الله عليه
 وآله وسلم - متى أكون مؤمنا ، وفى لفظ آخر : مؤمنا صادقا ، قال : اذا
أحببت الله ، قيل : ومتى أحب الله ، قال اذا حببت رسوله ، فقيل : ومتى
أحب رسوله ، قال : اذا اتبعت طريقته ، واستعملت سنته ، وأحببت بحبه ،
وابغضت ببغضه ، وواليت بولايته ، وعاديت بعداوته . وقال سهل التستري :
عليكم بالاعتداء بالآثر والسنة فانى أخاف انه سيأتى عن قليل زمان اذا ذكر
انسان النبى - صلى الله عليه وسلم - فى جميع أحواله ذموا ونفروا عنه
وتبرأوا منه وأذلوه وأهانوه ، اهـ . فاين هذا مما نحن فيه من إساءة الأدب مع
سيد الكائنات ! اللهم لا حول ولا قوة الا بك ، فبشراك يا أيها الباديسى لقد
أسعدك الله بالدفاع عن حرمة الرسول كسيدنا حسان بن ثابت وغيره من
الفحول ، وبعدا لمن تشبه بالسالكين كذبا ، وما قرع الباب بيد آداب مع سيد
الاحباب .

هيهات ان تدرك المنى بشقشقة طورا اليك وطورا طوع تلقين
ان السيوف سيوف الله قاطعة والمصطفى حبه فرض من الدين
الا انثدوا عرف المركوب معتبرا لدى السباق حفائر الميادين

نسأله تعالى ان يحفظنا من دسائس الدجالين في حسن سنة سيد المرسلين
صلى الله عليهم اجمعين آمين ، حرره الفقير الى رحمة علام الغيوب محمد المولود
ابن الموهوب المفتى المالكي والمدرس بقسنطينة في الخامس عشر من شعبان
1341 هـ .

تقريظ العابد بن أحمد بن سودة :

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد؛ فقد طالعت
السؤال والجواب فنعم الجواب وبئس السؤال ، لان التعظيم والمحبة الكاملة
كلها في اتباع سنة مولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :
« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ » . وقال :
- صلى الله عليه وآله وسلم - : « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها
لا يزيغ عنها الا هالك » ولما طالعت رسالة الشيخ الإمام فخر الاقران رئيس
علماء قسنطينة العلامة الجامع مولانا السيد عبد الحميد بن باديس القسنطيني
أفيتها البحر الزاخر ، وثقلها كالانجم الزواهر ، والله يديم حفظه وارتقاءه .
وعليه يوافق عبد ربه سبحانه العابد بن أحمد بن سودة القرشي لطف الله
به .

تقريظ محمد بن العربي :

حمدا لمن جعل الحق مع أهل التحقيق ، ومن على من شاء بالتوفيق ،
والصلاة والسلام على سيد الانبياء والرسل والملائكة ، القائل تركتكم على
المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك ، وعلى آله وأصحابه
الاعلام ، ما قال قائل ربى الله ثم استقام ، أما بعد؛ فالذى أدين الله به واعتقده
هو ما سطره سيدنا العلامة المشارك الدر النفيس السيد عبد الحميد بن باديس
لانه مؤسس المبنى صحيح اللفظ والمعنى لم يبق فيه قول لقائل ، ولا تشوف
لمراجعة مجيب أو سائل .

وعليه يوافق عبد ربه محمد بن العربي لطف الله به .

تقريب عبد القادر بن محمد بن عبد القادر :

حمدا لمن جعل البيان سحيرا ، ورفع بالفصاحة أقواما فكان لهم بين الناس قدرا ، نحمده سبحانه على ان ارسل الينا رسوله تترأ ، ونصلي على سيدنا محمد بحر البحور الزواجر ، وعلى آله وأصحابه وعترته وحزبه أهل النصوص الزواجر - أما بعد - فقد أوقفني خلنا الحميم الصادق ، الخل الموافق المنور العالم جميل الاخلاق والاصناف ، سيدي عبد الحق بن وطاف ، على رسالة الشيخ الامام الهمام عالم الديار القسنطينية الايوان النفيس ، السيد عبد الحميد بن باديس ، فالفيتها فريدة في بابها جمعت النقول الصحيحة والاستدلالات اللطيفة :

العلم قال الله قال رسوله قال الائمة من ذوي العرفان
فما العلم الا الكتاب والسنة ، لا الشطحات الكاذبة والادعاءات الفاسدة :
والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها ادعياء
فما لنا الا اتباع سنة مولانا الرسول ومن خالف سنة مولانا الرسول ،
فالسيف مسلول (فما لنا الا اتباع أحدا) وغاية القول فيها :
ذو المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا والا فللا
ولما فاح مسك الختام قلت بلفظ قريب شامل من بحر مجزوء الكامل :
جاءت السي رسالة عنى بها الكدر انتفى
جمعت أمورا جملة قلبي اليها قد هفا
ألفاظها دريسة سمعي بها قد شنفا
ولها معان أصبحت بالفعل تحكي القرقفا
من قاسها بالبسدر شمس الضحى ما أنصفا
شكرا لخضرة سيدي عبد الحميد المقتفا
علامة الدنيا الذي أضحى شريفا مشرفا
وله علي الشكر فر ض عنه لن أتخلفا

قاله وكتبه خديم الحديث الاستاذ عبد القادر بن محمد بن محمد بن عبد القادر السودى القرشى الله وليه ومولاه ، حرره بفاس حامدا ومصليا .

المقرظون ، أسماؤهم ووظائفهم وبلدانهم :

1 - العلامة النظار المفكر المستقل زعيم النهضة الفكرية لجامع الزيتونة الشيخ محمد النخلي رحمه الله .

2 - العلامة الاصولى البحات الجامع الشيخ النجار المفتي المالكي حفظه الله

3 - العلامة المحقق الفواص النقاد الشيخ الطاهر بن عاشور عميد مجلس الشورى المالكي بتونس وقاضى الجماعة بها سابقا حفظه الله .

4 - العلامة المحقق الفقيه النوازلي المتفنن الشيخ الصادق النيفر قاضى الجماعة بتونس حفظه الله .

5 - العلامة المشارك الأديب البارع الشيخ معاوية التميمي المدرس بالزيتونة حفظه الله .

6 - العلامة الفقيه المشارك الشيخ شعيب بن عبد الله القاضى سابقا بتلمسان والمتقاعد الآن ، حفظه الله .

7 - العلامة المتفنن الالمعى المفكر الشيخ المولود بن الموهوب المفتي المالكي بقسنطينة والمدرس بمدرستها ، حفظه الله .

8 - العلامة الكبير المؤلف الشيخ العابد بن أحمد بن سودة القرشى خطيب المسجد الادريسي بفاس وقاضى الجديدة سابقا ، حفظه الله .

9 - العلامة المشارك الشيخ محمد العربي المدرس بالقرويين ، حفظه الله .

10 - العلامة المحدث المسند الرحالة الشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر السودى القرشى المدرس بالقرويين بفاس ، حفظه الله .

تبيان :

هذه الابيات المسؤول عنها لم تزل الى اليوم فى ديوان ناطقها شيخ الطريقة العليوية بين أتباعه بعلمه ورضاه وتقريره مع ما فيه مما هو مثلها أو أشد فى معاني أخرى . والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (1) .

(1) قد اختفت هذه الابيات اليوم ولكن القصيدة التى جاءت فيها ما زالت بآخر طبعة من الديوان وفيها ما يؤاخذ عليه .

رد الفعل :

لا بد من رد الفعل من القوم ، فكان قولاً وعملاً ، وهو ما نقصه :

كان أول رد فعل لهذه اللهجة المحكمة والدعوة الموفقة ، المدعمة بالأدلة الشرعية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، وبتأييد أعظم علماء الزيتونية التونسيين ، وعلماء المغرب القرويين ، وعلماء الجزائر المصلحين والرسميين - ان ألفوا كتاباً سموه (الشهادت والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوى) . والكتاب - يبرهن كما يدل عليه اسمه - على مقدار ما أصابهم من الفزع والرعب لأن أمر شيخهم قد أصبح فى شك وبلبلة ، ويحتاج الى من يشهد له بالإيمان والصلاح .

ومؤلف هذا الكتاب هو السيد محمد بن عبد الباري التونسي ، وقد طبعوه بمدينة تونس فى (المطبعة التونسية) الكائنة فى زقاق البلاط ، حيث كانت تطبع جريدة (الزهرة) اليومية . اما المؤلف فقد كان مجهولاً فى الاوساط العلمية الزيتونية .

ومثله كثير ، ممن يسخر فيتسخر، ويستأجر فلا يأبى أن يجيب .

اشتمل كتابه - الذى بلغت صفحاته 256 - على شهادت - كما يقول - صادرة « من أكابر العلماء من نحو القضاة والمفتائى وأكابر المدرسين ، ومنها من نحو المتطوعين والمرشحين ، ومنها من أعضاء المجالس البلدية وأعيان البلدان، ومنها ما هو من أعيان الاتباع من الفقهاء والفضلاء ! » (1) .

واذا كانت شهادت العلماء أو المحاكم يستأنس بها فما دخل المجالس البلدية التى تتركب من العامة وممن لا صلة له بالشرعية فى الموضوع ؟

على ان هذه « الشهادت » لا تخرج عن تمجيد الشيخ واطرائه ، والاشادة بسيرته وفضله وتدينه وتقواه واثره فى اتباعه « الطيبين » . فالشيخ ذو مكانة سامية وسيرة مرضية يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (2) . وهو كما

(1) كتاب الشهادت والفتاوى صفحة 7 الطبعة الاولى .

(2) المصدر المذكور ، الشهادة الاولى من محكمة مستغانم ، ص 10

جاء فى الشهادة الثانية من مفتى مستغانم « مالكي المذهب ، أشعري العقيدة ، شاذلي الطريقة يحضر الجماعة والجمعة ويرغب فى الخير » (3) .

وهكذا تستمر هذه الشهادات من أولها الى آخرها على ونيرة واحدة مع الهجوم أحيانا على (خصومه) ونعتهم بأقبح النعوت .

وفى الشهادة الأخيرة يذكر صاحبها أن الشيخ يستحق الشكر والتناء من كل مسلم لما قام به :

« من جلائل الأعمال خصوصا إحياء السنة وإماتة البدعة ، وارشاد الأمة لعمل الصالحات ، وفعل الخيرات ... مزاياكم ظهرت كالشمس فى (رابعة) - كذا - النهار الا على من على بصره غشاوة » (4) .

والملاحظه أن هذه الشهادة الأخيرة صادرة من الحاج محمود ابن الحاج مصطفى التبسي « وقد كان زاول معلوماته بمدينة مصر ، وكفيه منقبة تجوله فى طلب العلم » (5) .

فكل ما حواه الكتاب لا يكاد يخرج عن مل ما ذكرناه ، وقد طبع الكتاب واخرج للناس فى أوائل سنة 1343 هـ .

ولكن يظهر أنه .. يغن انقوم شيئا لما فيه من باطل وزور ، ففى بعض الشهادات ما نسب البدعة وينوه بها ويحتج لشرعيتها كالخلوة ، والحضرة، وشهد الرحال لغير المساجد الثلاثة ، وانظر الى الشهادة الأخيرة التى تشيد بإحيائه السنة وإماتته البدعة ، وهذا ما لا يدعيه العليوية لأنهم يتمسكون بالانتساب الى « المتصوفة » . ولهم طريقة خاصة بهم غير طريقة السلفيين .

ولأن حجة ابن باديس وحزبه كانت واضحة مدعومة بنصوص نطق بها الشيخ ونشرها ، وروجها ، وأنه ما لم يتب منها ، أو يتبرأ من قولها ،

(3) المصدر المذكور ، ص 13 .

(4) المصدر المذكور ، ص 237 .

(5) المصدر المذكور ، ص 237 من الهامش .

ويسحبها من السوق فهي لازمة له ، عليه تبعتها ، ويتحمل أمام الله والناس وزرها . ولا يسلم من هجمات الدعاة الى الحق حماة السنة ؛ وخصوم البدعة .

فى اواخر 1343 هـ - 1925 م برزت صحافة الاصلاح ، كما برزت نسخ طبق الأصل من «ابن باديس»، وقد تكون لهجتها أشد وأقسى، ومنها «بيضاوى» المحرر فى المنتقد وفى « الشهاب » فقررروا أن يتجاوزوا الرد الكتابي الى الرد العملي ، وبحثوا عن شخصية « بيضاوى » فلم يعرفوه فصمموا على أن يكون الضحية ابن باديس نفسه ، وهكذا دبرت مكيدة السطو بابن باديس ونفذت .



السطو بالشيخ عبد الحميد بن باديس

كاد الاستاذ الامام الرئيس عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - يدفع حياته الغالية ثمنا لصدعه بالحق ، وقيامه بالواجب . وشجاعته في الدفاع عن آيات الله . وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومقامه . فقد دبرت مكيدة شنيعة ضد حياته ، وشرع المعتدون فعلا في اقتراف جريمتهم لولا ان حماه الله وانقذه . ومع ذلك فقد شج وجهه ، وسالت دماؤه وذلك مساء يوم 9 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 14 ديسمبر 1926 م . وقد طلع العدد 75 من الشهاب ، الذي صدر يوم 11 جمادى الآخرة - 16 ديسمبر ، وفيه صفحة كاملة تعلن بحروف غليظة :

توحش عليوي ...

انتظروا ...

في العدد المقبل

السطو الذي وقع على الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس في طريق داره بعد خروجه من درس التفسير من أحد المربين في الخلوة العليوية . ما لهم لا يفقهون ؟

أيحسب الطريقون العليويون أن يذهب الشهاب بذهب أستاذنا ؟

وفي العدد الموالي - عدد 76 من الشهاب الصادر يوم الخميس 18 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 21 ديسمبر 1926 م ذكرت تفاصيل عن هذه الجريمة البشعة ، وهذا نص ما نشر :

بيان

فاجعة الفتك بالأستاذ

فى ليلة الاربعاء 9 جمادى الثانية الساعة السابعة مساء ، كمن احد الأوباش للاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس فى طريق داره بعد خروجه من درس القرآن العزيز ، وفاجاه بضربتين بدبوسة ، الاولى على الرأس والثانية تحت العين ، وكانت الأولى قوية للغاية أراد بها الجاني اسقاط الأستاذ للقضاء عليه .

ولكن اللطاف الربانية ساعدت الأستاذ ، أمسك له اليد التى فيها الدبوسة ، واليد التى يسلم فى موسى بهاء وبقياء يتدافعان فى وسط الدرج المؤدية هبوطا لداره فى مكان خال من المارة ، وصعدوا للنهج العام الذى تكثر فيه المارة إلى أن انتصر الأستاذ وصعد به وهو يستغيث حتى ان صار الجاني يحاول الهروب بعد أن كان يحاول القتل ، ولقوة الضربتين فشل الأستاذ ، وهرب له داخل الزنقة وكانت ذات مخرجين ، فأمر الأستاذ الفازعين ان يسدوا عليه المخرجين لئلا يهرب ، ثم شرع الأستاذ فى البحث مع آخرين فوجده أحد الباحثين فى دهليز فى الدار التى بها مسكن الاسماذ وشاهد الموسى بيده فألقى القبض عليه ، بعد إمساك يده التى بها الموسى .

وتناولوه كل أحد من الحاضرين وأرادوا الفتك به لرؤيتهم الأستاذ فى ذلك الحال مخضبا بالدماء ، لكن الأستاذ منعهم من ذلك .

ثم أتى البوليس وأمسك الجاني وسار الجميع إلى كوميسارية القسم الثانى ، وبعد سؤاله عن اسمه أجاب : ممين محمد الشريف بن محمد من أهالي جعافرة خوز مجانة دائرة برج بوعريريج ، وبعد تفتيشه وفحصه وجدوا تحته ورقة الرجوع فى السكة الحديدية للجزائر ، وسبحة عليوية ، وبوجود ذلك تحته مع هيئة لحيته ، الهيئة المخصوصة لإخوان ابن عليوة ، تبين أنه من أتباعه وأنه سخر منه أو ممن يقوم مقامه للفتك بالأستاذ والقضاء على حياته .

ووقتئذ زج فى السجن ، وسير بالأستاذ فى العربة التى أتى بها من موقع القضية إلى الطبيب الجراحي فضمده له الجرح ورجع إلى داره فى مظاهرة كبيرة من جميع الطبقات .

وتحقق أن الجاني من أتباع ابن عليوة الصوفي العصري ٠٠٠ كما أننا تحققنا أن مع الجاني ثلاثة أو أربعة من أتباع الشيخ المربي ٠٠٠ وكلهم أتوا للفتك بالأستاذ حسبما تلقيناه من بعض جيرانه، لأنه قبل وقوع ما ذكر بيومين - كثر تردددهم على هذا الجار وسؤالهم له عن سكن الشيخ وأوقات رواجه ليعرفوا الزمان والمكان المناسب للفتك .

وبالفعل وقع ما ذكر ، ولما وقع البحث من إدارة الكوميسارية أدى ذلك الجار شهادته وعرف الجاني أنه من أولئك السائلين الذين ترددوا على محله لأخذ الارشادات عن محل سكن الشيخ وعن أوقات غدوه ورواحه .

والحمد لله أن سلم الله الأستاذ وفضح كيد الخائنين ، وللناس أن يحكموا على هاته الطريقة - بعد صدور هذا من أهلها - بما يشاءون « اهـ » .

هذا ما نشرته جريدة الشهاب اثر الفاجعة ، في بساطة الاسلوب الصحفي الوافي بالغرض البعيد عن التأنق وأظنه من انشاء السيد أحمد بوشمال رحمه الله تلميذ الأستاذ وشريكه في أعماله ومدير مجلة الشهاب وأحد مؤسسي المطبعة الاسلامية الجزائرية ، ثم خليفة الأستاذ - من بعد وفاته - في رئاسة جمعية التربية والتعليم الاسلامية وفروعها بولاية قسنطينة ، وفي مشاريع النهضة بها .

شجاعة وقوة بدنية وروحية :

نرى فيما جاء في الخبر ان الأستاذ ابن باديس أمسك بيدي الجاني ، اليد التي تمسك بالهراوية ، واليد التي تمسك بالموسى ، وتدافع معه في الدرج هبوطا وصعودا ، واستطاع أن يصعد به الى الشارع العام، وحينئذ افلت منه ، ومع ضعفه من أثر الضربتين وافلات الجاني بقى فى يقظة يبحث عن عدوه مع الباحثين حتى وجدوه ، وما زالت الموسى بيده ولم يخش أن يعود الى محاولته .
والذى يعرف المكان - جيدا - يعرف مقدار الخطر الذى كان يهدد الشيخ ، والخرج الذى تعرض له ، فان السلم صعب المرتقى جدا ، وربما كان ضيقه مما سبب نجاة الأستاذ لأن الجاني قد يعوق حركته بالهراوة ذلك الضيق ، ثم ان الأستاذ كان نحيف الجسم لا يقوى - عادة - على دفع صائل مهاجم ضخيم الجثة - فيما يروى - مفاجيء بضرباته .

عزيمة وتصميم : حياة الفرد لأجل مواطنيه

ولا شك أن هذه القوة البدنية التي منحها في تلك اللحظة - رغم نحافة جسمه - مع شجاعة أدبية روحية مما نجاه من هذا الخطر الذي هدد حياته ، ووصل الى درجة محاولة الفتك به ، وكل ذلك لم ينل من أقدامه وعزمه وتصميمه على المضي في طريقه .

ففي عدد الشهاب نفسه 76 الذي ذكر فيه نبأ العدوان ، والذي صدر بعد أسبوع واحد من محاولة الفتك - 18 جمادى الآخرة 1345 هـ - 23 ديسمبر 1926 م نجد افتتاحية العدد عبارة عن كلمة معبرة منقولة عن الشاعر الهندي العالمي طاغور ، نشرت بحروف غليظة واستوعبت الصفحة الأولى ، وهذا نصها :

كلمات العظماء :

« للحياة معنى فسيح نبيل لذلك الرجل الذي يحيا من أجل فكرة أو مبدأ وان الألم ليتضاءل بقدر اتساع ذلك المعنى . . . والحياة النبيلة الطيبة هي التي يحيا الفرد فيها لأجل مواطنيه ، لأجل المجتمع ، لأجل الناس جميعا » .

الأخطار التي تهدد خادم الأمة

ثم في العدد الموالي وهو عدد 77 الذي صدر في 25 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 30 من ديسمبر 1926 م نجد افتتاحية العدد كلمة أخرى منقولة عن مجلة الهلال لرؤسها السياسي الفرنسي هو السيد كايو من رؤساء الحكومة الفرنسية السابقين ، وقد نشرت أيضا بحروف غليظة وهذا نصها :

كلمات العظماء :

« ان من يريد أن يخدم الأمة ويقودها يجب ان يكون متقدما عنها ، وقد عرفنا بالتجربة أن الجلادين (المكلفون بقتل المجرمين) يقفون على الدوام ينتظرون مثل هذا الخادم المتقدم ، ولكن هذا الحظ السيء يجب الا يمنع أحدا من اظهار الناس على أخطائهم وانذارهم بالأخطار التي تتهددهم » .

(الهلال) م . جوزيف كايو رئيس وزراء فرنسا سابقا

وقد كان ابن باديس حقا يحيا من أجل ذلك المعنى الفسيح النبيل ، الحياة الطيبة النبيلة من أجل مواطنيه ومجتمعه والناس جميعا .

وكان لا يجهل الأخطار التي يتعرض له المتقدم على جماعته ، ولا تمنعه هذه الأخطار من صدعه بما أمره به دينه ، وعمله وخلقه .

هذا ما قاله بلسان حاله ، فى نقله لهاتين الكلمتين عن بعض عظماء عصره وقال بلسان قلمه - وقد نشر عقب الخبر الذى روى فاجعته فى عدد 76 من الشهاب بعد تمهيد من الجريدة وهذا نص ذلك :

شكر عام للإحساس العام

تهاطلت على الادارة البرقيات والكتب من جميع جهات القطر ومن تونس الشقيقة بالتهنئة بسلامة الاستاذ والاستياء من توحش الجاني العليوي ، مثلما تواردت وفود القسنطينيين من جميع طبقاتهم على داره فجاءنا من جنابه ما يلى :

« انني أشكر - الشكر الجهم - الأمة الجزائرية جمعا، على ما أظهرته من العطف والشعور نحو شخصي الضعيف بما رأيت من القسنطينيين كلهم ، وما تلقيته من الكتب والبرقيات من جميع الجهات ، وأشكر كذلك الأمة التونسية العزيزة التي لا يفصلنا عنها غير الاعتبار السياسية ، من فاصل الحدود .

« انني وايم الله لأرى نفسى أحقر وأقل من هذا الاعتناء ، ولكنني أسر وأبتهج عندما أعلم ان هذا الشعور العام دليل على ما فى قلوب المسلمين من المكانة العظيمة لكلمة الحق ، وسمعة الدين اللذين ما أوذيت الا فى سبيلها من طائفة تدعى الخصوصية فى الاسلام وتبعث أتباعها يسطون على الأبرياء بالظلم والعدوان .

« فهذا العاجز يكرر شكره - بلسان الحق والدين لأهل هذا الشعور الطاهر الشريف، سائلا من الله تعالى أن يزيده رسوخا فى قلوبهم على مدى الأيام » .

عبد الحميد بن باديس

فحتى - فى تلك الحالة المؤلمة كان انما يفكر فى المبدأ الذى يعيش من أجله : الصدع بالحق ، وخدمة الدين ، ويأسف جد الأسف الا يفهم الدين من يدعي فيه الاختصاص .

شاهد عيان يروى الحادث

حينما وقع الحادث - منذ ما يزيد على خمسين عاما - كان الشيخ ابن باديس رحمه الله - محاطا - فى معهده العلمى - بأسود الشرى من أبناء الجزائر انحدروا اليه - والتفوا حوله - من جبال الجزائر المنيعه وسهولها الخصبة ، وهضابها المرتفعة ، وصحاريها الفسيحة ، وما منهم الا من يفديه بالنفس والنفيس ، ويخاطر من أجله أشد المخاطر ، ولكنهم فوجئوا بما أصابه .

وكانوا يتلقون عنه الدين الصحيح ، والتربية السليمة ، والوطنية الصادقة وفنون العلم ، والادب الجم ، كان يستقبلهم أو يستجلبهم ويرعاهم ، ويسهر على راحتهم ، وكانوا عنده أغلى من كل غال فى الحياة ، يكادون يكونون على فطرتهم (البدوية) لم يتصنعوا ولم تفسدهم (نظرية) الحضارة .

فلما سمعوا بما وقع له دهشوا ثم اسرعوا اليه مختارين وجلين ومشفقين متسائلين ، ورغم ما كان فيه - تلك الليلة من ألم جسمى ونفسى فقد اذن لهم وتحدث معهم ، وانبسط اليهم ، وأشرق وجهه بابتسامات .

وقد فكرت أن انقل صورة حية عن هذه الحادثة فالتجأت الى الاستاذ العلامة الشيخ محمد الصالح بن عتيق فوجدت عنده الخبر اليقين ، وكان يتكلم عن هذه الحادثة وكأنها وقعت بالأمس القريب مع ألم وحسرة فطلبت منه ان يقصها بقلمه فاستخرج نصها من ذكريات حياته وهذا ما جاء فيها .

محاولة اغتيال الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس (مأخوذ من ذكريات حياة)

في الرابع عشر من شهر ديسمبر 1926م (9 جمادى الآخرة 1345هـ) وقعت محاولة اغتيال شنيعة كادت تؤدى بحياة الأستاذ الإمام من طرف أحد المجرمين المنتسبين لإحدى الطرق الصوفية الغلاة بالجزائر ، بإيعاز من الإدارة الاستعمارية التى ضاقت ذرعاً بنشاط الأستاذ فى الميدان الإصلاحى والوطنى، وكانت تعتمد بالدرجة الأولى على بعض هذه الطرق والزوايا ، وتحرص على هؤلاء الأنصار و (الأحاب) فى دعم نفوذها ، والحفاظ على سمعتها وتحميهم من حركة الإصلاح التى كانت تحارب البدع والخرافات التى ألصقوها بالاسلام، وجعلوا منها طقوساً جافة ميتة ، كما جعلت منهم أداة طيعة فى يد أعداء الوطن والاسلام الصحيح ، فاتفقت مصلحة هؤلاء وأولئك على التخلص من هذه الحركة الجادة وذلك بالقضاء على قائدها ورائدة الأستاذ الإمام ، فتآمروا على اغتياله ، وكلفوا أحد أولئك المخدرين من حثالة الزاوية وزودوه بالمال و (البركة) ودعوه الخير (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

جاء هذا المجرم من مدينة مستغانم وركب من الجزائر - كما دلت عليه بطاقة السفر - وترصد - ليلاً - الشيخ - فى التاريخ المذكور - فى طريقه الى منزله بعد درس التفسير ، وبينما كان الشيخ يسير فى غفلة متلفعاً ببرنوسه فى طريق ضيق ودروج وعرة اذا به يفاجأ بهراوة تقع على رأسه ثم على صدغه ، وهنا تتداركه الألطاف الإلهية وتنتشله من براثن هذا الوحش الهائج وتبعث فى الأستاذ قوة خارقة للعادة فينبى للدفاع عن نفسه فى شجاعة وإيمان ، ويمسك بصاحبه الضخم وكأنه عصفور صغير ويصعد به عدة درجات بمكان ضيق حتى أوصله للطريق العام ، ويصيح مستنجداً فيبلغ صوته الى جماعة كانت جالسة بمكان قريب منه فيهرعون اليه مستصرخين : نحن هنا ، نحن معك يا شيخ !

أما المجرم فقد استطاع ان ينفلت ويلوذ بالفرار ! والى أين ؟ الى سقيفة منزل الشيخ ، ولعله كان ينوى الاجهاز عليه بطعنة من سكين كانت معه، ولكن

خاب ظنه وخذلته (بركة) الزاوية فعثروا عليه هناك ، وكادوا يفتكون به لولا تدخل الشيخ الذى قال لهم دعوه لا تمسوه بسوء، فليس الذنب ذنبه، فما هو الا صخرة مرسله ، وآلة مستعملة . وقد شاع الخبر بسرعة فى البلد فجاءت الجموع تستطلع الخبر وتتأكد من حياة الأستاذ ، وطلبوا رؤيته ، ولكن الأهل المشفقين منعوهم من الدخول حسب أوامر الطبيب، وحرصا على راحة الأستاذ الذى كان فى شبه اغماء متأثرا بما أصابه .

« لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ » .

وبلغ الخبر الى طلبته فجاءوا وجلين مسرعين ، منتعلا وحافيا ، وقد أصابهم الهلع والحزن، حتى بلغوا منزل الشيخ وطلبوا رؤيته فمنعوا من ذلك ولكنهم أصرروا على ضرورة رؤيته ، وقد علا نحيبهم ، فوصل ضجيجهم الى مسمع الأستاذ فأذن لهم بالدخول وكنت فيهم .

دخلنا فقابلنا بابتسامة لطيفة وقال : أتذكرون درسنا الليلة فى تفسير قوله تعالى : « لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ؟ فقلنا : نعم والحمد لله على سلامتك ، والله ولينا ووليك ، وانه لنعم المولى ونعم النصير .

كنا ننظر اليه والدم يضرج جبهته وهم يمسحونه ، وهنا نطق أحد تلاميذه وهو السيد مبروك بن القداري من فرجية (فسج مزالة) ولاية جيجل الآن فقال : بلغنا - يا سيدي - انك منعت الناس من ضرب المجرم ؟ فقال : نعم لأنه لم يكن الذنب ذنبه ، فقال المبروك : والله العظيم لو كنت حاضرا ورأيت لقتلته ، ولما سمعت لنهيك ، فضحك الأستاذ . « وكان هذا التلميذ نفسه من أبناء الزوايا ... »

وسألناه كيف وقعت الحادثة ؟ فأخبرنا أنه اشتبك معه فى الدرج بعد ما أصابته ضربة الهراوة ، واستطاع ان يحمله ويصعد به الدرج الضيق الى الطريق العام .

ثم قال : أتدرون كيف تغلبت عليه ؟ فقلنا : هى أعجوبة ، قال : الأمر هين ! ان الرجل بدوى لا يعرف المشي على الدرج خصوصا الضيق منها ، أما

أنا فاني متعود عليه ، فهذا هو السر كما ترون . لكنه فى الحقيقة لم يكن كل السر ، وانما هى عناية الله وحفظه لأوليائه كما نطقت الآية « وَهُوَ وَلِيُّهُمْ » . ثم خرجنا مودعين من طرفه سائلين له الشفاء والعافية ، وأعيننا دامعة ، وقلوبنا دامية . وأذكر انه لم ينم أحد منا فى تلك الليلة بل قضينا ليلتنا فى الكلام على الحادثة والتعليق عليها .

(نقلا عن مذكرات حياة) محمد الصالح بن عتيق

من هو الاستاذ ابن عتيق ؟

والاستاذ محمد الصالح بن عتيق - راوي الحادثة - من ألمع تلاميذ ابن باديس ومدرسته ، وهو من عائلة شهيرة بجبال الميلية الشامخة المخضرة ، نزح منها الى ميلة فحفظ القرآن وتلقى المبادئ الاولى على الشيخ محمد ابن معنصر الميلي ، وعلى الشيخ مبارك رحمهما الله ، ثم التحق بدروس الشيخ ابن باديس فكان أثرا عنده يصحبه أحيانا ويعتمد عليه فى تنفيذ بعض مآربه، ثم انتقل الى تونس حيث أكمل دراسته العليا بتحصيله على شهادة (العالمية) وكانت تدعى (التطويع) عام 1932 م ، ثم انتصب بمدينة الميلية فأسس بها مدرسة وعمت بوجوده الحركة فى الجبال ، ثم نقله الأستاذ ابن باديس الى (قلعة بنى عباس) القريبة من (برج مجانة) موطن المعتدي،فانتعشت تلك الجهات كلها وطمست كثيرا من آثار الفساد الديني والاجتماعي، ووجد من أبناء القلعة جنودا صادقين وجعل منهم - جيشا كانوا - خير أعوان على النهضة الاسلامية العربية .

ولما فتحت أبواب فرنسا للعمال الجزائريين - بعد انتصار الواجهة الشعبية وبعد ان كانت مغلقة على مر السنين ، ولما اغترب آلاف منهم طلبا للمعاش تبين لابن باديس واخوانه من العلماء مقدار الخطر الذى يهددهم فى دينهم وقوميتهم ، فأرسل اليهم طائفة من خيرة طلابه وأعوانه فأسسوا مدارس ونوادي لهم فى باريس ، وليون ، وسانت ايتيان ، وليل ، وغيرها من أهم المدن الصناعية فى فرنسا ، وكان على رأس البعثة المرحوم الشيخ فضيل الورتلاني ، ومن أعضائها الشيخ صالح بن عتيق ، والشيخ سعيد صالحى ، والشيخ حمزة بوكوشة ، والشهيد الشيخ محمد الزاهي ، والشيخ الهادي



الشيخ محمد الصالح بن عبيد

السنوسي وغيرهم ، فازدهرت الحركة وأدت ثمارها اليانعة ، ولكن عطلتها الحرب العالمية الثانية ، ثم استؤنفت بعدها بقيادة الشهيد الأستاذ الربيع بوشامة ، والأستاذ سعيد البيباني - بوتقجرت - والأستاذ عبد الرحمن اليعلاوي رحمهم الله، وأدت خدمات جليلة للثورة داخل الجزائر وخارجها ، وكان العقيد عمر عميروش رحمه الله من رجالها اذ كان هو رئيس جامعة الشعب التابعة للجمعية .

رجع الشيخ ابن عتيق الى الوطن واستأنف نشاطه، وروى لنا ان الشيخ ابن باديس كان - بعد اعلان الحرب - يتهيأ للثورة، وانه زاره سرا الى الميلية ، وسأله عن مدى استعداد الشعب لها هناك فأجابه : (ان رجالنا رجال بارود) فأمره بالاستعداد والكتمان ، ولكن عاجلته المنية بعد قليل .

وقبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية استأنف نشاطه عام 1944 م فانتقل بأمر من الرئيس الشيخ البشير الابراهيمى الى مدينة تيارت، فأسس بها مدرسة كبرى وحركة ناشطة، وبقي فيها الى عام 1950 م، فانتقل الى مدينة سكيكدة فافتح فيها مدرسة كبرى وعمت حركته كل الشمال .

ولما تأسس أول فرع ثانوي لمعهد ابن باديس في الوطن ، وذلك بالميلية (معهد خطاب) نقل لإدارته وبقي يشرف عليه حتى عام 1954 فانتقل الى (البلدية) وأشرف على الأعمال الإصلاحية والتعليمية هنالك ، وكان على اتصال دقيق بكبار رجال الثورة وجنودها وهم الذين كانوا يعمرن المساجد في دروس الوعظ ، والنشاط أثناء تنفيذ الأعمال ، ومن هؤلاء الذين كانوا يتصلون به الشائر البطل والشهيد الكبير سويداني بوجمعة رحمه الله، كما حدثني، وكذلك كثير من الجنود والفدائيين، واستمر الأمر كذلك الى يناير 1956 م وأخذ بعض الغلاة من الفرنسيين يدبرون لاغتياله ، ولكن السلطة الفرنسية عاجلت باعتقاله وتوجيهه نحو (البرواقية) . وكان ذلك اثر رحلة (في مولي) الى الجزائر، وتغلب غلاة أعداء الجزائر على أمره وخضوعه لشروطهم ، فاعتقل كثير من العلماء ومن لهم كلمة مسموعة في الاوساط الشعبية ، وكانت للشيخ رحلة طويلة في المعتقلات ابتدأت في البرواقية ومرت بآفلو ، واركو ، وبوسوي ، والدويرة وأخيرا سيد الشحمي أو الشامي بقرب مدينة وهران ، وممن صاحبه وصادقوه في بعض هذه المعتقلات الشهيد عيسات ايدير مؤسس اتحاد العمال

الجزائريين ومن العلماء المشائخ سعيد صالحى ، ومحمد الشبوكي صاحب نشيد (جزائرنا يا بلاد الجدد ، نهضنا نحطم عنك القيود) وعمر شكري ، واحمد بن سحنون؛ ومن المثقفين الثوريين الدكاترة : بوعياد ، وجناس ، وعروة وابن عربية، والاستاذان : زرتال وزعبيك ، وهؤلاء كلهم كانوا يؤدون واجبهم فى إلقاء الدروس والمواعظ والمحاضرات، ويحولون المعتقلات الى مدارس تهذيبية تثقيفية تحفظ فى المسجونين روحهم الاسلامية الوطنية، وتبث فيهم الثقافة الحققة، وتدفع عنهم الروح الانهازامية الاستسلامية، وتقاوم تعاليم المستعمرين ومكائدهم لتحطيم روح المقاومة ، وكانت هذه مهمة هؤلاء الوطنيين فى المعتقلات هى نفس المهمة التى قام بها اخوانهم فى السجون كالحراش، والبراونية، وتازولت ، وقسنطينة ، ووهران ، وهم الذين كانوا يشرفون على تنظيم صفوف المسجونين وإضراباتهم ، وهذا ما يجعلها تنتقل بهم من معتقل الى آخر ، ومن سجن الى مثله ، وما زال الامر هكذا الى انبلج فجر الاستقلال وأشرقت شمسهُ .

واثناء هذه المدة فى المعتقلات ضعف بصر الشيخ ابن عتيق حتى آل الى فقدته تماما ، وبعد الاستقلال أجريت له عملية القرنية فارتد بصيرا ، والحمد لله، فاستأنف نشاطه وتولى مناصب دينية وتعليمية ، وقام بمسؤوليات سياسية فى الحزب ذات أهمية .

وهو اليوم عضو بالمجلس الاسلامى الأعلى يوالى نشاطه فى إلقاء الدروس والمواعظ ، وخطب الجمعة ، ويعقد الرحلات الى أقصى الشرق والغرب والجنوب، فيؤدى مهمته على أحسن ما يرام وبفعالية ابن العشرين، مع انه - والسر بيننا ؟ - تجاوز السبعين .

ان الشيخ صالحا خير مثال لطلبة ومدرسة ابن باديس : ايمان قوي ، ودين صحيح ، وخلق متين ، وعلم غزير ، ووطنية صادقة ، وكفاءة نادرة، وعمل دائم مستمر مع تواضع جم ، وانكار للذات ، ووفاء للأصدقاء والإخوان، واخلاص فى العمل ، حفظه الله وأمد فى عمره .

الصحافة العربية وحادثة الاعتداء :

كانت - وما تزال - حوادث العدوان مثار اهتمام الرأي العام، فما بالك ان كان هذا فى رجل ينتسب الى الدين ويعتبر من أفذاذ علماء المسلمين ، ولعل

الله سبحانه قدر أن يكون ما سال من دم ابن باديس سببا في رفعة شأنه وانتشار دعوته وانتصار حزبه .

من جملة المهتمين بالحادث الصحف العربية ولم تكن كثيرة بالجزائر وكانت معدومة بالمغرب ، ولكنها كانت في تونس أوفر وأكثر .

وقد كتبت الشهاب في عددها 78 الصادر في رجب 1345 هـ ، الموافق 6 جانفي 1827 م ، تحت العنوان أعلاه ما نصه :

(قد اتحدت كلمة الصحافة العربية الجزائرية والتونسية على استنكار واستفظاع ما أتاه الجاني العليوي بإيعاز من رجال طريقته وعدوه جانبا على العلم والصحافة والحرية وكلهم لفتوا نظر الحكومة الجزائرية الى ما يجب عليها من تتبع أصول الجناية وإنزال صارم العقاب بكل متسبب فيها وتشديد المراقبة على هاته الطائفة التي تعتمد في نشر مبادئها الباطلة على القتل وسفك الدماء .

ونحن نشكر لهؤلاء الرصفاء الكرام قيامهم بواجبهم وإحساسهم نحو الأستاذ المعتدى عليه ، ونرجو ان تقوم الحكومة بواجبها مثل ما قامت الصحافة بواجبها . هذا ، وسننشر في اعداد آتية ملخص أقوال رصفائنا الكرام) اهـ .

وهذه الكلمة نشرت والاستاذ ما زال طريق الفراش لم يعد الى نشاطه ، وفي آخرها ما لم يكن ليكتبه بقلمه ، وكيف يرجو من الحكومة ان تقسم بواجبها في حفظ الأمن - وان عنى بها السلطة القضائية وشرطتها - والادارة الفرنسية هي الساهرة على بث الفزع والقلق والرعب والفتنة بين المسلمين ! ومع ذلك فيصح كتابة مثل هذا كما اجمعت عليه الصحافة إقامة للحجة عليها وتشريكا لها في المسؤولية .

كما ان متابعة نشر خلاصة عن أقوال الصحافة لم يقع الوفاء به ، لأن فيه تنويها بالمعتدى عليه ، واشهارا مجددا ، ولم ينشر الشهاب الا ما فيه نقاش علمي وثروة ثقافية أو أدبية ، أو ما فيه فائدة في تسجيل الأحداث والأخبار في الموضوع .

حول حادثة الفتك العلوية :

نتابع فيما يلي - من الكتاب - ما كتب عن الحادثة ونشرته (الشهاب) بالأصالة أو بالنقل ؛ ففي باب الأخبار كتبت (الشهاب) في عددها 78 الصادر في رجب 1345 هـ - جانفي 1927 م ، تحت العنوان أعلاه ما نصه :

وردت على الادارة كتب عديدة في السؤال عن صحة الأستاذ وسير النازلة أما سير النازلة فان الجاني اعترف بان السبحة والدبوس والموسى له ، وانه أحد العلويين وأنكر جميع ما نسب اليه .

وقد أدى الأشخاص الأربعة الذين كانوا أول من قبض عليه في سقيفة دار الأستاذ شهادتهم ، وكذلك جار الأستاذ الذي جاءه الجاني واثنان معه يسألون عن محل سكنى الأستاذ ، ولما واجهه الأستاذ عرفه بشخصه، والبحث لا يزال جاريا .

وأما صحة الأستاذ فقد تماثل للشفاء والحمد لله ، وأخبرنا انه سيفتح دروسه يوم السبت أو الأحد القابل ان شاء الله ، اهـ .

ويستفاد من هذا انه رحمه الله لازم الفراش ما يقرب من أربعة أسابيع (14 ديسمبر - 9 جانفي) ونحن نعلم - بما نعرفه عنه - انه لا يكاد يصبر على فراق دروسه والاتصال بتلاميذه حرصا عليهم وعلى إفادتهم ، وهكذا نراه بمجرد أن تماثل للشفاء عزم على استئناف درسه .

البلاغ الجزائري وحادثة الاعتداء :

لا شك أن القارئ مشوق الى معرفة موقف العلويين - الرسمي - من حادثة الاعتداء ، وخاصة بعد أن اتجهت أصابع الاتهام اليهم، بل والى شيخهم نفسه، وقامت دلائل تدعم هذا الاتهام .

والجواب انهم يوم وقوع الاعتداء لم تكن لهم صحيفة رسمية ولكنهم كانوا يصدد الإعداد لها ، وقد أصدروا بعد بضعة أيام فقط جريدتهم الناطقة باسمهم وعنوانها (البلاغ الجزائري) .

وفي العدد الأول لم تذكر شيئا عنها ، ولكنها في العدد الثاني ذكرت أشياء ووقعت في تناقضات عجيبة، وتبرأت من الحادثة، وبرأت شيخهم، وروت

على لسانه أسفه وحزنه لما وقع ، ولكنها لم تذكر شيئاً عن الجاني ، واستمر هذا موقفها منه حتى بعد صدور الحكم ضده وثبوت إدانته ، وهذا ما لاحظته عليها جريدة الشهاب من بعد وسجلته عليها .

وقد نشرت الشهاب مقالا باسم (الادارة) تعرف بالبلاغ وتنتقد موقفها وتعجب من اضطرابها، وذلك فى عددها 80 الصادر فى 16 رجب 1345 هـ ، الموافق 20 جانفى 1927 م ، وهذا نصه :

« البلاغ الجزائرى :

حمل إلينا البريد بهذا الاسم الكبير العدد الأول والثاني معا من صحيفة ذات ورقة واحدة صدرت بالعاصمة بتاريخ 24 ديسمبر 1926 م ، قال عنها أصحابها انها جريدة علمية ، إرشادية ، دفاعية .

وقالوا : انها تصدر يوم الجمعة من كل أسبوع ، قرأناها ففهمنا معنى علمية إرشادية ولم نستطع فهم معنى دفاعية لأول مرة - لذهاب الذهن فى ذلك مذاهب شتى غير أننا - بعد مطالعتنا للعدد الثاني منها - أدركنا الغرض الذى من أجله أسست هذه الجريدة وفهمنا جيدا معنى (دفاعية) .

وأكد لنا ما فهمناه - وقد يفهمه كل الناس معنا - ان صدور هذه الورقة جاء بعد حادثة السطو على أستاذنا الباديسى بتسعة أيام فقط ! وهى لعمري عجلة يحمد عليها رجال هذه الجريدة ويشكرون، وما رجالها إلا العليويون (بالفعل) أو (بالنسبة الصحيحة) والجريدة بأفرادها - فى الحالىن - وجموعها (تكسيرا وسلامة) عليوية لا غير ! !

تصدر الجريدة كما قالوا وتطبع بالمطبعة العليوية ببليدة مستغانم، ومما استلفت أنظارنا عند مطالعة العدد الأول منها وجعلنا نتعجب كثيرا من حسن الصدف اذ رأينا كلمات لكتابها فى مدحها وتزكيتها جاءت فى نفس هذا العدد من هؤلاء الكتاب الذين هم مختلفون مسكنا وبلادا ! فلم ندر اطلع القوم عليها فى عالم الغيب قبل بروزها فقرظوها بعد أن راقت لديهم، أم كانوا جميعا مع مصدري هذه الجريدة على ميعاد واتصال تام (كما هو شأنهم فى كل أمر هم عليه متفقون)، فكان العدد الأول منها كاملا حتى فيما يلزمه من تقريظ من

يشهد له من أهله ! وكم تكون هذه الشهادة نافعة وصالحة سيما اذا كان الشاهد والمشهود له ولدي بطن واحدة فى يوم واحد !

اما نحن فلا بسعنا الا ان نتقدم بواجب التهاني والتبريك لكل من تهمه مثل هذه الجريدة الدفاعية، ونتمنى لها ان يتحقق معنى اسمها فيها ! ولانناقشها فى شىء من برنامجها الذى ظاهر ألفاظه الرحمة وباطنها عند علام الغيوب ...

وبودنا أن تكون كل دفاعات (طريقة العليويين) من قبيل ما جاء فى جريدتهم لا تتجاوز حد الحاجة بالكلام والقول الى ازعاج من يتفاهم معها (بالعصا والموسى !) .

نعم أهمنا - بادىء بدء - موقفنا مع هذه الرصيفة الجديدة أول هجوم تقرر فى خارطتها - باسم الدفاع - فقد كتبت فى العدد الثانى منها تحت عنوان (الشهاب ...) ما لا نقول فيه وعنه ، الا انه كلام مركب يشبه كلام المحامي الكبير (1) ... وهو ان كانت عليه مسحة من أسرار الغوثانية والقبطانية مقبول من هذه الجريدة ومعول عليه فى الجملة .

قالت فى ابتداء هذا الفصل المعنون عليه بهذا العنوان : (كنا اعربنا فى عددنا الفارط عن استيائنا عما لحقنا من الاسف من أجل السطو الواقع على الشيخ عبد الحميد بن باديس وما كان بودنا ان يؤذى مثله » .

ورغما عن دلالة هذه الجمل على المعنى المسوقة له وعما اخطرت به بالنا من قولهم (كاد المريب أن يقول خذون) راجعنا العدد الاول كلمة كلمة وحرفا حرفا ، فلم نجد به لا تصريحاً ولا تلويحاً ولا رمزا ولا اشارة (ولو على مذهب الصوفية) شيئا مما قالت ودل عليه منطوق هذه الجمل ومفهومها ، فعلمنا أن هذا الفصل المضحك قد بدىء - قبل كل شىء - بالكذب الخبريت تضليلا للأفكار واحتجاجا بخلاف الواقع ، وان فى صدور مثل هذا فى جريدة كهذه فى أول هجوم أو دفاع من دفاعاتها لعجيب غريب .

(1) يشير بهذا الى كلمة وردت فى مقال للأستاذ ابى يعلى الزواوي ينوه فيها بالشيخ العليوى ويزعم انه خير من يمكن ان يدافع عن الأمة مسموع الكلمة لدى الحكام ، ويمكن ان يقنع حتى رئيس الجمهورية ! ...

وقالت : (أما ما لحق الاستاذ العليوى من الاستياء - وتالله - لكان ابلغ ما ينبغى أن يلحق المؤمن على المؤمن ، وما كان قولنا هذا عن مداهنة أو نفاق) هنا تذكرنا قول المثل (صاحبنا يقرئك السلام) وشكرنا الرصيفة المؤمنة . . . على شهادتها لاستاذنا عبد الحميد بانه مؤمن ، وقرأنا قوله عز وجل : « ومن يَقْتُلْ مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضبُ اللهُ عليه ولعنه وأعدَّ له عذاباً عظيماً » .

وكما شكرنا شيخ هذه الجريدة على ما ابداه أو لحقه من الاستياء الذى تجلت لنا أهميته فى هذا التصريح النفيس . . . أما بقية ما اشتمل عليه هذا الفصل المختوم بتوقيع (البلاغ) فكله هجوم على الشهاب ومحاولة لتبرئة طريقة هذه الجريدة وشيخها من تبعة الاعتداء على الاستاذ عبد الحميد بن باديس بجمل وكلم هى من جنس ما تقدم ، وحيثيات وتوجيهات واحتمالات ونظريات يقدر ان يحتاج بها كل مجرم فى تبرئة نفسه ، ولكن الحقيقة التى يتوجه اليها البحث (الحقيقى) غير ما يقوله المجرمون ، وقد كانت آخر حجة اختتمت بها الجريدة فصلها هذا كأول ما افتتحت به من الكذب الصريح (المكرر) حيث قالت :

(وقد كنا نبهناها (أى الشهاب) على انه لحقنا من الأسف من أجل هاته الواقعة بقدر ما لحقها وان أبت الا سلوكها فان لكل وجهة هو موليها) كذا قالت هذه الجريدة ولم تستح ولم تخجل من ذكرها غير الواقع مرتين ، ومن راجع عددها الاول لا يجد به أثرا لهذا التنبيه أو ما لحق المنبه من الاسف !

وكفى فى الحكم على هذه الورقة - أن يرى مبصر ويسمع واع - كيف ابتدأت واختتمت فصل دفاعها بالكذب المحض وغير الواقع فى كل ما قالوه وما اعتقدوه بازاء هذا العمل الذى اجترحوه ؟ والى الله تصير الأمور .

« الادارة »

صحيفة الشورى والاعتداء :

من الصحف العربية التى اهتمت بالحادث ونشرت عنه الصحيفة العربية الكبرى (الشورى) .

وكانت جريدة العالم العربى بحق يصدرها الكاتب الكبير ، والصحفي الخطير الأستاذ (محمد علي الطاهر) الفلسطينى فى القاهرة، وقد امتاز بوطنيته

الملتبهة وقلمه السيال ، ولهجته الصريحة ، وأسلوبه الناري ، وقسوته على المستعمرين ، وعلى العملاء والخونة والمنافقين .

ولما بلغه نبأ الاعتداء الاثيم كتب عنه في جريدته ، ونقلت جريدة الشهاب ما كتب تحت عنوان (صدى الاعتداء) في عدد 87 الصادر في 6 رمضان 1345 هـ - الموافق 10 مارس 1927 م ، وهذا نص ما قالت الشهاب :

الجزائر - الاعتداء على رجل كبير :

تحت هذا العنوان نشرت رصيفتنا (الشورى) ما يلي :

(اعتدى أحد الأشرار على الأستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس زعيم شبان الجزائر ونهضتها الأدبية ، وقد هجم الشقي الذي اتضح انه من أرباب الطرق المشعوذة على الأستاذ بنبوت كبير وضربه به عدة ضربات فتمكن الأستاذ من القبض على سلاحه والاستغاثة بالناس ثم سيق المجرم الى مركز الشرطة حيث بدى التحقيق .

فنحن نهنيء الأستاذ بالسلامة من شر هذا المجرم ، ونرجو ان تجعله العدالة عبرة لكل من تحدثه نفسه بارتكاب الاعتداء على الناس) .

مجلة الفتح والاعتداء :

كما نشرت عنه مجلة (الفتح) التي كانت تصدر بالقاهرة ويشرف عليها المفكر الكبير والكاتب العظيم الاستاذ محب الدين الخطيب ، وكانت حاملة لواء السلفية بالشرق مع اختها مجلة (المنار) لمجتهد العصر العلامة السيد محمد رشيد رضا وقد مهدت للخبر بكتابتها تقريرًا لرسالة الاستاذ ابن باديس ونشرت كل ذلك مجلة الشهاب في عدد 87 بتاريخ 6 رمضان 1345 هـ - الموافق 10 مارس 1927 م ، فقالت ما يأتي :

رسالة جواب سؤال عن سوء مقال :

تحت هذا العنوان نشرت رصيفنا مجلة الفتح وهي لسان العلماء الأزهريين ما يلي :

(جاءتنا من المغرب الأوسط (الجزائر) رسالة نافعة - ان شاء الله - ألفها العلامة السلفي الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس من كبار العلماء

المصلحين فى الديار المغربية ، أجب فيها على سؤال قدم اليه من أحد الغيورين على صفاء الدين الاسلامي وجلال الدين المحمدي يستفتيه فى حكم أبيات عامية يتغنى بها بعض المنتسبين الى الطرق الصوفية زاعما فيها انه مغرم بحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وانه يطلب اليه عليه السلام الا يهجره والا فانه يحاكمه الى الله تعالى ، وهو معنى سخيف وهذر لا يليق بمقام النبوة ولا يتفق مع دعوى الحب المزعوم .

فكتب الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس جوابا على ذلك يتألف من مقدمة فى وجوب الأدب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كل حال ، وفصل أول فى بيان خروج صاحب الابيات العامية عن دائرة الادب المرعية ، وفصل ثان فى بيان حرمة مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك الخطاب ، وفصل ثالث فى ان هذا المقال لا يصدر من العارفين ، وفصل رابع فى بطلان ما اعتذر به صاحب الابيات وهو أن « السنة المحبين اعجمية » وخاتمة تتضمن نصيحة نافعة ووصية جامعة .

وقد كتب كبار علماء المغرب تقارير لهذه الرسالة تؤيد ما أجب به الاستاذ المؤلف الذى ما برح يجاهد فى مقاومة خرافات البسبها الجاهلون لباس الدين وليست منه حتى أودى فى هذا السبيل على جلاله قدره ، واعتدى عليه فى الشهر الماضى بعض المنتسبين الى الطرق ممن عجزوا عن الحجبة فلجأوا الى وسائل الاجرام . هدى الله المسلمين الى فطرة دينهم الذى لا حياة لهم الا به .



سطو جديد بالسيد احمد بوشمال
- اعتداء جديد على اصحاب الشهاب -
عجز عن القول فاضطر الى الضرب - شأن الاوباش

بعد العدوان على الامام عبد الحميد بن باديس باشهر وقع الاعتداء على السيد احمد بن اسماعيل بوشمال مدير الشهاب وشريك ابن باديس في عمله، وعرضه الأيمن، وأمين سره منذ ابتداء حركته، وخصوصا حركه الصحافة والتعليم .

ولد السيد احمد بن اسماعيل بوشمال بمدينة قسنطينة عام 1899 م . فهو اقل من الإمام ابن باديس بعشرة أعوام - ونشأ بها وحفظ القرآن في جامع سيدي ياسمين - بين سيدي جليس ورحبة الصوف ... ولما شرع الأستاذ ابن باديس في القاء دروس العربية والدين كان من تلاميذه الأولين واشتغل - في صغره بصناعة الأحذية الأهلية - شأن أمثاله من أبناء البلد في تعلم صناعة ، ثم مارس التجارة ولازم دروس الأستاذ الامام .

ولما عزم الشيخ على إنشاء الصحافة الوطنية الصادقة واعداد مطبعة لضمان سيرها المنتظم قدم له بوشمال خدمة جليلة حيث تبرع أن يكون محله التجاري مكانا للمطبعة الاسلامية الجزائرية وهو الكائن اليوم بنهج عبد الحميد بن باديس بحي الاربعين شريفا وكان يدعى من قبل نهج (أليكسيس لامبير) .

وقد حدثني مدير المطبعة الاخ خليل (الزواوي) بن القشي عن السبب في تأسيس المطبعة والصحافة قال : كنت أعمل بمطبعة (النجاح) وبينني وبين اسماعيل مامي رئيس التحرير النجاح صلة قرابة - وأتقنت فن الطباعة، وكان الشيخ يكتب في (النجاح) فصولا تحت إمضاء مستعار، وقد يتحاشى



و امراء الخطبة عراقية الاسلامه :

في امام الامام شيخ عبد الحميد بن باديس

وحقه من بين ابي اسحاق السناد

حينئذ يروى في ٢ تلقى = عبد بن سمائل اسما غس صمغ اوى

الاعلان عن اسمه، ولكن انباء هذه المقالات كانت تصل الى الادارة الاستعمارية فتعرف أسرارها وأحيانا قبل ان تنشر ، فكان الشيخ يتألم ، وذات يوم قلت له : لماذا لا تنشئ لنفسك صحيفة تكون لسان حال حركتك، وتنشئ مطبعة لها ؟ اننى أعدك ان أترك عملي بمطبعة (النجاس) وأتعاون معك . قال : فأجابنى انه سيفكر فى الأمر ويتخذ قراره بعد الاستشارة ، ثم أعلن قبوله واختيار الذين يعملون معه ومنهم تلميذه الكبير الشيخ مبارك الميلي رحمه الميلي وتأسست عصابة (المطبعة الاسلامية الجزائرية) أول أمرها من السادة : 1 - عبد الحميد بن باديس ، 2 - أحمد بوشمال ، 3 - اسماعيل صحراوي ، 4 - عبد الحفيظ صويلح (الجنان) ، 5 - خليل (الزواوي) بن القشى ، وهذا الأخير هو مديرها وهو الوحيد الباقي بالحياة - أمد الله فيها - ولظروف مالية قاهرة انسحب من الجماعة الشيخ عبد الحفيظ الجنان بعد حين لوفاة والده المرحوم الشيخ صالح الجنان معلم القرآن فى سيدي فتح الله برحبة الصوف وهو أول من اعطى كتابه وصغاره للشيخ لالقاء دروسه الدينية العربية ، وكان من تلاميذه الشيخ عبد الحفيظ نفسه . وكان يقوم بالعمل فى المطبعة السيد الصحراوي والسيد ابن القشى .

وقد اصدر الشيخ من بعد تأسيس الطباعة جريدته الأولى (المنتقد) صدر منها 18 عددا ثم عطلت فاصدر اثرها جريدة (الشهاب) ثم تحولت مجلة وبقيت تصدر من عام 1925 حتى كان آخر عدد برز منها فى أوت 1939م وقد حجزته السلطة الفرنسية لأنه نشر مقالا للمرحوم المازني عنوانه (العرب ثمانون مليون ولكنهم لا يريدون أن يخيفوا أحدا) .

وكان هؤلاء النخبة من الشبان أطوع للشيخ عبد الحميد بن باديس من أبنائه وبنائه وعلى رأسهم الشهيد أحمد بوشمال ينوب عنه فى كل المشاكل التى تعرض له ويقدم نحره دون نحره ، وصدره دون صدره ، فلما أسس الجريدة كان هو المدير ، ولما أسس من بعد (جمعية التربية والتعليم) كان بوشمال رئيس قسم الشبان ، فلما توفى عبد الحميد بن باديس تولى رئاسة الجمعية، وبقي يتحمل هذه المسؤولية حتى أوقفت فرنسا نشاطها عام 1957 قبل استشهاد بسنة واحدة ، وكما كان محل ثقة ابن باديس فى حياته كان كذلك من بعده محل الثقة لخليفته الشيخ محمد البشير الابراهيمي واخوانه

الشيخ مبارك الملي ، والشيخ العربي التبسي ، والشيخ محمد خير الدين ، وغيرهم ، عليه اعتمادهم في كثير من شؤون الحركة ، والى رأيه مرجعهم في الاستشارة وفي تأسيس الجمعيات والمدارس بسائر أنحاء القطر ، ولهذا انتخب عضوا في المجلس الاداري لجمعية العلماء عام 1946 م ، وقام بتنظيم شؤونها المالية مع الشيخ خير الدين ، ثم مع الشيخ عبد اللطيف سلطاني ، وعندما أسس معهد عبد الحميد بن باديس عام 1947 م ، لعب الدور الأكبر في تحقيق مشروعه ، ثم في تأسيس دار الطلبة التي دشنت عام 1953 م ، وكانت - من بعد قيام الثورة - مقرا من مقرات قيادة أعمالها في المدينة ، وقد تحمل مسؤولية المقتصد في معهد ابن باديس ، وفي أيام الإضراب الذي أعلنته الجبهة في أواخر يناير 1957 م ، بقى في دار الطلبة مع التلاميذ للإشراف على (حياتهم) المادية والمعنوية الى نهايته ، وترك عائلته من النساء والعجائز ورضيع عمره بضعة أشهر هو وحيد .

كما انه سخر المطبعة لخدمة الثورة ، وقد سمعته يحمد الله ويشكره على ان أمد في حياته حتى رأى مطبعة الشيخ ابن باديس تقوم بخدمة الثورة الجزائرية المسلمة وتحقق غرضا من أغراض الشيخ ، وبقي يمارس أعماله السرية في خدمة الثورة وخصوصا مع الشهيد صالح بوذراع أحد أساتذة مدرسة التربية ، والشهيد مسعود بوجريو المتعاون معه في مدرسة سيدي مبروك ومسؤول الكشافة الاسلامية ، وكلاهما كان على رأس الحركة الفدائية بقسنطينة وضواحيها . ثم اعتقل لأول مرة في 17 من شهر أوت 1957 م ، فلم ينطق بحرف يفيد العدو ولا شهد عليه أحد بشيء فأطلق سراحه ، ثم اعتقل من جديد في ربيع عام 1958 م ، وأطلق سراحه ، ثم اعتقل للمرة الأخيرة في 13 سبتمبر 1958 م ، وكان ذلك آخر العهد به ، وقد بلغنا انه عذب عذابا ألما حتى بلغ به الأمر الى تمنى الموت والى دفع الجلادين الى اغتياله ، كان يحقرهم ويشتم دولتهم أمامهم ويستفزهم ويبصق عليهم مما يدفعهم الى قتله وهذا ما فعلوه ، فانه لم يظهر له اثر منذ اعتقاله ، وكان مصيره كمصير صديقه العلامة الشهيد الشيخ العربي التبسي الرئيس الثاني لجمعية العلماء ومدير المعهد رحمه الله ، وكمصير الشيخ محمد العدوي المدرس بالمعهد ، وكمصير الشيخ أحمد حوحو الامين العام للمعهد ، كلهم اختطف ، وعذب ، وأعدم ،

وقد قدم المعهد أبطالا للشهادة منهم هؤلاء وكثير غيرهم ، كما قدم أبطالا للفتاء وللجندية بلغوا مناصب عظمى فى القيادة وما زال بعضهم بالحياة ، ولا نتبجح بعمل من مات أو بقى بالحياة ، ولكن نذكر هذا من باب ذكر النعمة التى أمر الله بالتحدث بها « **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** » وأى نعمة أعظم من أن يؤدى الانسان واجباته فى خدمة دينه وأمتة ووطنه ، ويدفع حياته ثمنا لذلك ، ثم يتحقق له ما اراده .

وهذا المقال عن هذا الاعتداء الجديد نشر بالشهاب 6 رمضان 1345 هـ - الموافق 10 مارس 1927 م . فلم يمر سوى نحو 3 أشهر على الاعتداء الاول الذى كان هدفه صاحب الشهاب حتى عقبه الاعتداء الثانى على مديره .

وقد كتب المقال تحت عنوان (عجز عن القول ٠٠٠) وهو بقلم الشهيد بوشمال نفسه :

قال رحمه الله : (**عجز عن القول فاضطر الى الضرب شان الأوباش**) .

من الافاضل الذين اجتمعت بهم فى بلدة الجلفة الشيخ بن عبد السلام الباش آغة ، فكان منه اعتراض ، ومنى دفاع عن خطتنا الدينية فى هدوء . وإذا برجل طويل القامة اسمر اللون ، اعتلى المشيب لحيته بوسام العلم (1) ونشان الافتخار جلس يبخلق (2) فى بعينه بدون سلام ! وولج فى الحديث معنا بدون نظام ، ففهمت من لهجته وابعاده شقة الخلاف بيننا ، وان المفاهمة مع الذى لا يرى الحق الا لجانبه - عنادا وتكبرا وخصوصا مع شاب - عسيرة النوال .

(1) كانت الادارة الاستعمارية سخية جدا بالأوسمة توزعها على عملائها وتعمر بشاراتهما - صدورهم ، ومن سخريتها بهم أنها تعطى وسام الشرف لمن لا شرف له ، ووسام العلم لمن لا علم عنده !

ونیشان الافتخار يعطيه باي تونس لكل من زاره من الخارج بترشيح من وزير خارجيته ، وهو المقيم الفرنسى ، الذى بيده كل شىء فيها، وكثيرا من الموسمين يزعمون على بني قومهم بهذه الأوسمة ، ويعلقونها على صدورهم .

(2) كلمة « يبخلق » كلمة قسنطينية معناها ينظر بأعين مفتوحة بدهشة وتثبت وفضول .

سألني الباش آغة ما قولكم في مسألة تجديد العهد (3) ! فقلت - تباعدا عن النزاع - ان وظيفتي - الآن - هي تجديد اشتراككم ، واعمدة الشهاب تتشرف بنشر سؤالكم ، وهي رحبة لردود الرادين .

ثم التفت للموصوف المزين الصدر بالاوسمة ورغبت منه تشريفنا باسمه (4) فاجابني بعنف : لا اعطى اسمي للمتعجرفين . قلت : لماذا متعجرفين ؟

فنطق واحد - دخيل أيضا - بأبيات معناها أن كل من أتى بفكرة جديدة فهو يدعى زنديق !

فأجبت : لا مذهبا جديدا نريد نشره ، ولا غاية للشبيبة الا اصلاح الامة ، وجمع كلمتها على الصالح العام وإنقاذ هذا النشء من براثن الجهل والجوع والأوساخ .

وأشرت الى ولد واقف امامنا يطلب قوتا ، ومثله كثير اذ لا مؤسسة خيرية بهاته البلدة

ثم هممت بكتابة وصل السيد الباش آغة وفي ذمته أربعة شهور فقال : هاته الجريدة (انتاعكم) ياخذها

فاجابه صاحب الدكان الذي نحن جالسون فيه :

امالا . . . على ضلال ؟ ؟

قال : هذا هو مذهبكم .

ولم يبق لي الا ختم هذا المجلس بهاته الكلمة (5) :

(3) المسلم منذ ينطق بالشهادتين يأخذ على نفسه عهدا وميثاقا ألا يعبد إلا الله ولا يشرك به شيئا ، وأن يقيم أركان الاسلام ، ويتقي الله في السر والإعلان، ولكن مشائخ الطرق لا يكتفون بهذا حتى يأخذوا على كل (خوني) من إخوانهم عهد الطريق ، ولعل هذا المراد في السؤال .

(4) حق له ان يسأله لانه تدخل في الكلام وشارك فيه .

(5) يفهم من هذا أن الباش آغة امتنع من دفع ما عليه من دين للشهاب، ويعلن معارضته لخطته ليبرر شحه وأكله أموال الناس بالباطل ، وموقفه هذا هو الذي شجع رفيقه على الاعتداء بالضرب .

لا مذهب لنا جديدا ، وخلاف المذاهب رحمة للمسلمين في الفروع ، ولم يجلب على الامة ما جلبه عليها الا هذا الافتراق الطرقي الذي نحن بصدد ازالته ، وولجنا لاجله هذا الطريق الصعب وقلنا الحق الذي أغضب كثيرا من الناس

أفلا يكون المسلم مسلما الا اذا جدد العهد وصار تابعا أو خادما لاحد الاشياخ ؟

ايه ! انا نرى ونسمع - وقد رأينا وسمعنا - أعمال وأقوال الذين جددوا هذا العهد . . . !

فما سمع هذا الكلام - المخلوق الذي ستعرفه حتى قام ووجه الى ضربتين لولا تباعدي منهما لوقعتا عليّ ، وأخذ يقول : لا تستحي ، تسب الأولياء وتقول هذا الكلام أمام الباش آغة (6) ، وشرع في سرد ألفاظ السب والبذاءة في ملا من الناس مجتمعين أمام الدكان .

خلته في تلك الساعة - مع هيئته ووساماته - من أخس الاوباش (7) الذين لم يعرفوا للتربية معنى ، ولا للآداب اسما .

وتعوذت بالله من الحمق والتكبر والطفیان والافتراء وتلطيف اعراض الابرياء لتضليل البسطاء ليقبوا عبيدا أشقياء .

لم يكفه ذلك ، بل احب ان يفرى بي الحاضرين بقوله :

« لو أحببت لسلطت عليك عشرة من هؤلاء ليفتكوا بك » يعني دونكم ، فيه - ولكنهم كانوا أعقل منه ، فوقفوا بيني وبينه ، فانصرفت. وانا أقول : لا أحب ان أكون مجنونا مثلك فأساني أحدهم بقوله : هذا هو صاحبكم الذي قلتم له : « حشلف يا حشلاف » .

(6) يقول هذا لارضاء سيده الباشاغة حتى ترضى عنه فرنسا !

(7) الأوباش جمع الوبش ، وهم سفلة الناس واخلاطهم .

عجبت من قوله وأخذتني الريبة حيث كنت أظن ان هذا المخلوق صبايحي (8) قديم ، أو دائرة (9) متقاعد مغرور فاذا هو قاضى يحكم بين الناس ، ويصلح بين المتخاصمين . . . ! ومؤلف أيضا . . . !

ما الحامل له على هذا الجرم ؟ لقد ألقى بنفسه فى صف الجناة الأوباش ! قال صاحبي : لا غرابة ، وقص علي من حديث (القلاقيسة) ما ازال عجبي واستسمح قرائي فى عدم ذكره .

وقد بلغني ان السيد الباش آغة ابنه على فعلته المخالفة للآداب وازرائه بوظيفته (10) .

أحمد بوشمال

اثر الحادثة وسببه :

تركت هذه الحادثة اثرا اليما فى احساس الشيخ عبد الحميد لما اصاب مدير مجلته ولكون المعتدى يحتل منصبا دينيا خطيرا فى مجتمع المسلمين ولهذا علق عليها بقوله :

(الشهاب) يسؤنا - والله - ان يكون فى هيئة القضاء المحترمة من تنحط تربيته الى هذا المقدار ، وإن كنا نعلم شذوذ هذا الرجل فيها بهذه

(8) كان فى الجيش الفرنسى فرقة (الصبايحية) أو (السباييس) يمتازون بضخامة الاجسام ، ويركبون الخيول - فهم فرقة من الخيالة . ولا شك ان اسمهم من غارات الصباح ، لانهم يصبحون العدو . هذه الفرقة تتكون من المتطوعين فى الجيش الفرنسى ويكثر هذا النوع فى ناحية الجلفة وفى ناحية عين البيضاء وفى الجريد التونسى لان القوم فى هذه الجهات كلها فرسان .

(9) دائرة يطلق على اعوان الحكام فى البلديات الممتزجة ينفذون تعليمات المتصرف وأصل الكلمة أن قبيلتين من قبائل وهران كانوا تعاونوا مع الفرنسيين وتجنّدوا لخدمتهم وهما الزمالة والدوائر . وكانت لهم سمعة سيئة جدا ، وفى الامثال العامية : (صاحب الكلب وما تصاحب الدائرة . وخذ بنت عمك ولو كان حائرة) .

(10) لابد من مثل هذه الكلمة لفصل الباشاغا عن مسؤولية الاعتداء ، حتى لا ينضم الى المعتدى ويقف الى جانبه ويقدم تقريره « الرسمي » فتسوء العاقبة أكثر .

الاخلاق ، وما كنا لنشرفه بالمقالة والملامة كالأحرار ، وهو من أهل الضرب والعصا لولا انه رجل دفعته غيرته المرابطية وهمته الطرقية فدخل ميدان الكتابة والتأليف أيضا فتمسك به أولئك الفرقى الذين يتمسكون حتى بخيوط الخيال ، وتبجحت به تلك الفئة التى ترى فخرها وانتصارها فى كل كويتب ونويظم يضرب على نظميتها ويكثر سوادها ، فرفعت أصواتها منومة به وبكتابات الخرافية التى وجدت فيها الضالة التى كانت تنشدتها ، حتى رجا صاحب الضالة (هداه الله) ان تحى طريقة الجنيد السالك بخرافات حشلاف

فوجب علينا بعد هذا كله ان نذكر هذه الواقعة ليعلم من ينظر الامور بعقل وانصاف مقدار من تنتصر به تلك الفئة ومقدار تحرى كاتبها فى مقالاته وان القوم يلتجئون لأيديهم عندما تقطع سنتهم من جانبيهم العليوي الى قاضبهم حشلاف .

الى الأمام :

كل هذه الآلام ، والمحن الجسام ، لم تكن عزم ابن باديس وصحبه الكرام ولم تزدهم الا اندفاعا الى الأمام .

فبعد أشهر قليلة كملت لهم السنة الثانية فى ميدان إعلان الدعوة بالصحافة الوطنية ، ودخلوا فى السنة الثالثة بالعدد الـ : 100 من الشهاب ، وفى صدره بشرى بالعيد السعيد - عيد النحر - وتقديم « خالص التهنة والتبريك لأبناء الاسلام عموما ولقرائه وأنصاره وحزب الاصلاح الدينى فى شمال افريقيا خصوصا . . . داعيا الله تعالى أن يعيده على الجميع بالهناء والسعادة والمجد والسيادة » هذا ما جاء فى التهنة .

وقد جعل افتتاحيته فى الحديث عن ختام السنة الثانية من عمر الشهاب واستقبال السنة الثالثة منوها بالماضى وما كان من أحداثه ، متطلعا نحو المستقبل فى ثقة وثبات . وهذا نص ما قال :

« الشهاب » بعد عامين

الى الخطوة الثالثة :

مضت على الشهاب سنته الثانية ، وكانت سنة ابتلى فيها أصحابه وزلزلوا زلزالا شديدا .

أصيبوا فى أبدانهم ، وفى أموالهم ، وفى أعراضهم . فما ضعفوا
وما استكانوا وصبروا صبرا جميلا .

تنمر لهم قوم لدعوتهم السياسية - وما هى الا وجوب تسوية الجزائريين
بساائر « أبناء » فرنسا فى الحقوق كما سوا بهم فى الواجبات - فرموهم
بالفكرة الشرقية بالتعصب للجامعة الاسلامية ، وبالعلاقات الاجنبية - رميا
ليس معه ما يشبه البرهان ، ولقد كادوا ان ينالوهم بسوء لولا سعي صادق
تؤيده الحجة ويحوطه الاخلاص من جهة « الشهاب » وعقول كبيرة تهديها
الحكمة ويقودها الانصاف من جهة من بأيديهم أزمة الامور هنا وهناك .

وتنكر لهم قوم لدعوتهم الدينية ، وما هى الا لزوم الرجوع الى الكتاب
والسنة بالاهتداء بهما فى جميع الاعمال ، والتحاكم اليهما عند كل نزاع
- فرموهم بالافك ، وحاولوا - لو استطاعوا - بهم الفتك ، وخرجوا معهم عن
دائرة العلم التى تضيق عن غير أهله الى دائرة أخرى تسع كل قوال . . .

ولو كانوا فى جموعهم الكثيفة ، وأموالهم الكثيرة ومنزلتهم عند العامة
منذ قرون - على شئ من الحق لقضوا على هاته الجماعة فى أمد قريب - لكن
الله - وله الحمد - يحق الحق ويبطل الباطل ، ويدافع عن الذين ، آمنوا
وينصر من نصره ، ان الله قوى عزيز . فذهب افك الافاكين هراء فى الهواء ،
وآب جميع الفتاكين بالخيبة والعناء ، وثبت الشهاب نجما ساطعا يزيده
قراؤه ومشتركوه ولا ينقصون .

صحيفة أمستها فئة قليلة ، بمالية ضئيلة لتخدم مبادئ عظيمين وثبتت
أمام القوة والمال والكثرة ، فقضت عامين من حياتها ، ماضية على خطتها ، غير
خاضعة ولا متملقة ولا مستعينة بزيارات ولا مديا . . . ولا اكتتاب ،
ولا إعانات . . . هذه - والكلمة (بشهادة الله) للحقيقة والتاريخ - هى
صحيفة (الشهاب) .

واذا كان لذلك من سبب فهو صدق الدعوة واحقيتها والاخلاص فيها
والثقة بالله ، ثم باهل الفطر السليمة ، والافكار المستنيرة فى تأييدها . واذا
كان لذلك من فضل فهو لكتاب هذه الصحيفة بتونس والجزائر ، والمغرب
الاقصى ، والازهر الشريف ، ولانصارها بهاته الاقطار .

واليوم - ان شاء الله تعالى بتلك الدعوة الحققة الصادقة ، وبذلك الاخلاص التام ، وبتلك الثقة الكاملة ، يدخل الشهاب سنته الثالثة ، راجيا للامة الجزائرية كلها فى وجهتها السياسية ان تنال جميع حقوقها حتى تكون عضوا حيا عاملا فى الجسد الفرنسى العظيم ، وفى وجهتها الدينية ان تفقه دينها بفقه الكتاب والسنة ، وان تهتدى بهما اهتداء سلف الامة لا غلو ولا تقصير ، وان تسلك الى ذلك طريق التفاهم بأدب وتعقل ، والتناصح بحب وشفقة واخلاص » .

الادارة

حركاتنا ذاتية :

كذلك كانت اتهامات أعداء النهضة القومية آنذاك سواء من الجانب الاستعماري وعملائه وسدنته ، أو من الجانب الخرافى المستغل للغفلة والجمود . فكل من يتحرك يتهم بان حركته ليست ذاتية وانما هو (عميل) للجامعة الاسلامية ، أو الدول الشرقية - وكانت الوهابية هى التى خرجت منتصرة فى العشرينات ، فلما هاجمت الصحف المغربية الفرنسية اللسان (الشهاب) و (البرق) زعمت انهما تعملان بايعاز من (السعودية) ثم تحولت النهضة من الشرق الاسلامى الى الشرق الاوروبى ، فكان من التهم العمل للشيوعية .

واتضح لكل الناس ان (تحريك) الجزائريين (ذاتى) وانهم كسائر الشعوب يعملون للنهوض والتخلص من العبودية الاستعمارية ، الا بالنسبة للفرنسيين فانهم - حتى آخر لحظات حرب التحرير - كانوا يتهمون المحاربين بـ : (العمالة) لغيرهم .

لقد أشار الشهاب الى ما أصاب جماعته فى ابدانهم ، وأموالهم وأعراضهم ، فاما فى ابدانهم فقد سالت دماؤهم - بالفعل - وكاد يقضى على زعيمهم . وروعوا ترويعا يكفى ان يصد غيرهم عن متابعة الطريق . وأصيبوا فى أموالهم بالنفقات الباهضة - لمثل من كان فى وضعيتهم - على مشاريعهم، وكانت المداخل لا تغطى النفقات ، وليس لهم موارد أخرى . وحتى بعد انتصار الفكرة ونجاحها فى الثلاثينات كان الشيخ عبد الحميد يتناول مرتبا

أسبوعيا من المطبعة والشهاب - مائة فرنك فقط - وحتى بعد موته رحمه الله
بقى هذا المرتب يخرج من الميزانية ويدفع كصدقة عنه ، هذه حقيقة ربما
تذكر لأول مرة .

وأما ما أصابهم في اعراضهم فقد كانت جرائم خصومهم مليئة بسوء
القول وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، وإشاعة الفاحشة في الذين
آمنوا ، كانت البلاغ الجزائري ثم المعيار وغيرها تتبولى كبر ذلك
وتروجه .

و (الشهاب) - وكتابتها - تتصامم عنه ولا تبيع ان تنشر مثله . فلما
بلغ السيل الزبي أسس بعض كتاب الإصلاح جريدة (سفيهة) مثل جريدة
(المعيار) فكالوا لها بصاعها وخاطبوها بلهجتها ، وجروا معها في ميدانها
فظفروا بها وانتصروا عليها ، واحرقت (الجحيم) المعيار وأصحابه
« ولما انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عندهم من سبيل » .

ومن عجيب الامر ان ما روجته (المعيار) و (البلاغ) واصحابهما في الوسط
وراج في السنة السفهاء ، حتى وقع فيه بعض ذوى الغفلات ، ورمزوا اليه في
(المؤلفات) . . . واذوا به الأحياء والأموات ، ولو التفتوا حولهم لكان في
(وضعيتهم) عبرة رادعة لهم عن مثله ، ولو اتقوا الله وتادبوا بآداب الاسلام
الحقة لكان لهم غنى عن الاشارة اليه ولو رمزا ، حفظا لكرامة صديق عزيز
يدعون الوفاء له ، قال تعالى يؤدب المؤمنين ويعلمهم :

« لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ فَقُلُّوا الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ
مُبِينٌ لَوْ لَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَلْبِتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ
هُمُ الْكَاذِبُونَ »

ونحب ان نلفت نظر النبهاء ان المقال صدر في ظروف عسيرة كشف عن
بعضها، وقد ورد فيه تعبيرات تقتضيها تلك الظروف الحرجة ، وهي تدفع
شرا وتلقم الدسائس حجرا ، ولا تلحق بالمبدأ ضرا .

منها قول الشهاب (تسوية الجزائريين بسائر أبناء فرنسا) . فليس في
ذلك اعتراف بان الجزائريين من (أبناء) فرنسا بدليل أنهم غير (أبناء) فرنسا
ولكن ولما كلفوا بالقيام بجميع الواجبات فانهم استحقوا جميع الحقوق ، وهذا

منطق قانوني لا يدفع ، ودفعه من خصومهم يكذب (دعوى) هي قائمة منهم
باصرار ، ويثير حفيظة (المظلومين) ، ويهيجهم ، ويبعثهم على الحركة والمقاومة .
وفي مقال آخر وضع الشهاب غرضه بآبين من هذا منشدا عليه قول الشاعر
العربي القديم يعلن رفضه للضميم :

واذا تكون كريهة أدعى لها واذا يحاس الحيس يدعى جندب

فالنتيجة التي كان ابن باديس يسعى اليها - بمثل هذا - هي ان يثور
الشعب على هذا الوضع الفاسد لدفع الضيم ويعلن بلسان حاله وفعله ومقاله
ما أعلنه نفس هذا الشاعر في قصيدته تلك :

هذا - وجدكم - الصغار بعينه لا أم لي ان كان ذاك ولا أب

وهذا ما كان بالفعل ابتداء من عام 1945 م ، غداة انتهاء الحرب العالمية
الثانية ، واستمر حتى عام 1962 م ، فقضى الأمر، وتم النصر، والحمد لله .

وكذلك القول في عبارة (لتكون عضوا حيا في الجسد الفرنسي !) فما كان
الشهاب وأصحابه يسلمون بأن الجزائر عضو في هذا الجسد ، وقد أعلن لما
حان الوقت بان (الجزائر ليست فرنسا ، ولا تريد ان تكون فرنسا، ولا تستطيع
ان تصير فرنسا ولو أرادت) . وليس هذا قول صحفي فقط في مقال ، ولكن
هذا ما أكدته ابن باديس أمام لجنة رسمية برلمانية جاءت للبحث والتقصي عن
الحالة في الجزائر، فأبرز أحد اعضائها عددا من مجلة الشهاب وسأل ابن باديس
بما فحواه - وهو يريد توريطة ، وإقامة الدليل على انفصاليته .

هل تقولون وتعتقدون أنه يوجد في الجزائر شعبان اثنان مختلفان
جزائري وفرنسي ؟

فأجاب نعم ، هو الواقع ، هذا مبدأ جريدتي . وقد أيده في قوله هذا بقية
أعضاء العلماء في حضرة الوفد .

وكان الغرض من السؤال إثبات تهمة (الانفصالية) المتهمة بها ! فهذه
الكلمات الموهمة التي وردت في هذه الافتتاحية جاءت في مقال كتب عام 1927م
في ظروف أعرب عنها المقال نفسه ، فلا بد منها لإحباط مكائد من أشار اليهم
وأشتكى من دسائسهم ؟

ما مع مثلك يتكلم يا جودي ... !

لم يكتف حشلاف باستعمال يده ولسانه فى الاعتداء على السيد أحمد بوشمال مدير الشهاب ، ولكن رفع قلمه وراسل جريدة النجاح لسان حال القياد والباشغوات والقضاة ! يزييف الحقائق ، ويتمادى فى الشتم ، فكتبت ادارة الشهاب كلمة فى عددها 88 الصادر يوم الخميس 14 رمضان 1345 هـ ، الموافق 17 مارس 1927 م ، تحت العنوان أعلاه تقول :

(نشر الشهاب (الحادثة الحشلافية) كما وقعت بالصدق والصراحة المعروفين فيه فنشر (النجاح) مقالا من الجزائر تحت عنوان (تزييف دعوى) بامضاء هذا المذكور . خرج فيها من التزييف الى السب والقذع والافتراء مما تنتزه الأقلام عن رقمه ، والصحف الراقية عن نشره . تأخر العدد الماضى من الشهاب فما وصل الجزائر الا عشية الجمعة ، وقد علمنا بوجود المقال فى إدارة جريدته يوم السبت فهل أتى فى طيارة خاصة أم هى من قبل ، أم خلق بنهج القسبة (1) ؟

(1) القسبة مكان بقسنطينة فيه كانت مطبعة وإدارة (النجاح) واذا كانت مجلة الشهاب - التى بها ذكر خبر الحادثة - وصلت الى الجزائر مساء يوم الجمعة فلا يمكن ان يصل الرد عليه الى قسنطينة - بعد قرائته فى الجزائر - يوم السبت الا اذا حمل فى طائرة خاصة ، وكان البريد لا يحمل فى الطائرة لقلة استعمالها . فلا بد اذا - - اذا - صحت نسبته الى كاتبه الحشلافى ان يكون هى من قبل ، أو يكون قد هى بجريدة النجاح نفسها فى نهج القسبة بقسنطينة . وهو أقرب ، وكان مامي اسماعيل ومحرروه مستعدين للكتابة ضد أنفسهم اذا قبضوا الشمن ، وبهذا صارحني اسماعيل ذات يوم لما ملته على نشر مقال ضدي وليس بينى وبينه سوء فقال : « عفا الله عنه ، الفلوس ! هات مائة فرنك وأكتب الرد علي وفى مجوي ما شئت انشره لك ! قلت اتفعل هذا ؟ قال : أى والله !

اما ما لا شك فيه فهو دخول أصبح الادارة بالتحليل والتتبع الذي لا يخفى على من يفرق بين أساليب الكتابة ولهجات الكلام ، فهنيئاً بهذا الكاتب البديع الجديد فلتوسع أعمدها لسببه وقذعه وما وعد أو توعد بنشره عن زعماء حزب الإصلاح الديني ورجاله (جماعة الملاحدة أعداء الملة والدين وخصوم أولياء الله الصالحين) (2) كما يقول المذكرون .

ولتتحمل باكتافها العريضة مسؤولية ذلك أمام الشرع والقانون والادب العام كما تحملت مسؤولية ما زفر به كاتب من كتابها في شأن تونس الخضراء مستهزئاً فقال :

خدعوها بقولهم حسناء - وهي خلو من الجمال بلراء (3)
هذا ومديرها (4) حسنة من حسنات تونس وعلمائها ، وجنابه لا ينكر ذلك . وما عندنا شيء من بضاعة القذف والسفّه فنكيل منها لهذا المذكور

(2) هذا ما كان يتهم به الخرافيون حزب الإصلاح . فاذا انكروا ان (الأولياء) يتصرفون في الكون وينفعون ويضرون ، ويعطون ويمنعون قيل لهم : انكم تنكرون الأولياء وينشدون عليهم قول الجوهرة :

وأثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه !
(3) صدر البيت لشوقي رحمه الله يقول :

خدعوها بقولهم حسناء والفراوان يفرهن الثناء
ويقول بعده :

أتراها تناسث اسمي لما كثر في غرامها الأسماء
وأما الكاتب المستهزئ بتونس فأظنه الكاتب الشاعر القسنطيني محمد الصالح خبشاش وكان محرراً بإدارة النجاح ومترجماً لها الأخبار وأديباً كاتباً شاعراً ، ولكنه ابتلى بالكحول فاضطر الى أن يسخر قلمه فيما لا يؤمن به ، ولم يكفه النجاح حتى نشر مقالات في جريدة (النهضة) بتونس ، وكان لها مشرب النجاح ، وقد كتب عنها ذات يوم كاتب جزائري - عباسية في صحيفته مقالا تحت عنوان : مسيلمة وسجاح أو النهضة والنجاح (4) ومدير النجاح هو الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي من مشائخ زاوية طولقة وهو عالم متخرج من الزيتونة تولى الافتاء ، وكان يجالس الشيخ عبد الحميد بن باديس ولا يؤمن بالخرافات ولكنه كان - في النجاح - مفلوبا على أمره لان الادارة الفرنسية سخرته ووجدت في اسماعيل مامي طلبتها .

وأمثاله بصاعهم فاننا - علم الله - فقراء من هذه المزية ٠٠ أو الرزية ٠٠ من حيث كانوا منها أغنياء فلتخب ادارتهم وكتابها واذنابها ومن دارت بهم ٠٠ وداروا بها ٠٠ فى هذا الميدان - ان شاء - وتضع ، فليس عندنا لمن هانت عليه نفسه واستطابت هذا المرتع الا قوله الشاعر لآخى أبى مسمع ٠٠٠ ادارة الشهاب - بلسان حزب الاصلاح الدينى



تكرر الاعتداء على أصحاب الشهاب

وسوء سلوك أصحاب (النجاح) و (البلاغ الجزائري)

هذا أبو يعلى الزواوي ينحي بالملائمة على جريدتين هجيراهما آنذاك المهر بالسوء من القول ، ومحاربة حركة النهضة القومية ، والاصلاح الديني بالجزائر، وفى التعريف بهما نقول :

أما جريدة (النجاح) فانها من أوائل الجرائد العربية بروزا إثر الحرب العالمية الاولى . أسست عام 1337 هـ (1919 م) بمدينة قسنطينة، وكانت أول أمرها مشروعا وطنيا يشمل مطبعة عربية ، ومكتبة وجريدة عربيتين . والمؤسس هو السيد عبد الحفيظ بن الهاشمى من آل زاوية (سيدي علي ابن عمر) بطولقة ، الرحمانية وقد ولد عام 1310 هـ ، وبعد حفظه القرآن هاجر الى تونس ثم رجع بشهادة التطويق (العالمية) . ولما أسس جريدته أسند رئاسة تحريرها الى السيد إسماعيل مامي - ويعرف أيضا بابن عدي - من عائلة شهيرة بمدينة قسنطينة . وكانت النجاح أول أمرها مؤسسة وطنية استبشر بها العلماء والأدباء والمفكرون وشاركوا فى تحريرها وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ، كان يكتب فيها باسمه الصريح أو بامضاء مستعار « العبسي » اقتباسا من اسمه ولقبه ، أو انتحالا للقب عنتره الذى كان من الشعراء الاثريين عنده ، وقد أقرأنا معلقته وختمها لنا شرحا وتحليلا عام 1933 - 1934 ، وكتب فى (النجاح) أيضا الشيخ العربي التبسي، والاديب محمد النجار الحركاتى، والشيخ أبو يعلى الزواوي وغيرهم، وازدهرت حركتها حتى أصبحت أول يومية عربية جزائرية . ولكن الادارة الفرنسية لا تستطيع أن تبقى مثل هذا المشروع مستقلا ، وما كان لأصحابه من قوة الإيمان والصبر

والاحتمال ما يقدرون به على الثبات والتضحية فسقطوا في حبائلها وقبلوا ان يتعاونوا معها وأن ينالوا حظهم من «الصندوق الأسود» في مقابلة مقاومة الحركة الوطنية ، ومهاجمتها ، ومن ذلك أن الشيخ ابن باديس الذي كان ياتمنهم على سره في مقالاته أصبح معلوما عند الادارة الاستعمارية، معروفة ميوله ومقاصده، وهذا من أسباب استقلاله عنهم وتأسيسه المطبعة الاسلامية ، وانفصال السيد ابن القشي عن النجاح وانضمامه الى مشروع ابن باديس كمدير للمطبعة .

وهكذا تنكرت (النجاح) للشعب فتنكر لها، فسقطت قيمتها ، وعجزت على الاستمرار في (يوميتها)، وأصبحت تصدر ثلاث مرات في الاسبوع ، وبقيت كذلك الى اختفائها نهائيا عام 1957 م ، وكانت تعيش على ما تقبضه من إعانة (الصندوق الأسود) واشتراكات (القياد) والبشغوات، والقضاة ، والائمة الرسميين ، ورؤساء الزوايا، والطرقين، داخل الوطن وخارجه ، واندفعت أشواطا بعيدة في نهجها الجديد حتى قالت عن المصلحين وكتاب الشهاب انهم (الملاحدة أعداء الملة والدين وخصوم أولياء الله الصالحين) (1) وما فتئت تشتم الأقوام وتسب الأفراد وتتهكم عليهم وتزدرى بهم . . . (2) ولم تقف عند هذا الحد بل تجاوزته الى التفرقة بين أمتين شقيقتين تونس والمزائر (3) .

ولم تكن نصرتها للزوايا والخرافات والمشائخ إيمانا بهم ، واحتراما لهم، ولكنها قاومت بذلك بوادى النهضة الوطنية ، والاصلاح الديني إرضاء للإدارة الاستعمارية وخضوعا للتعليمات (العليا) . وبلغت في تورطها الى حد الاسفاف وسدرت في غوايتها الى النهاية . ولم يمنعها من ذلك خلق الحياء ، ولا الروابط التي كانت لبعض أصحابها مع المصلحين ، فقد كانت زوجة اسماعيل مامي باديسية وهو نفسه كان تلميذا للشيخ ابن باديس ، وعليه تعلم إنشاء المقالة، وكانت له قرابة مع السيد ابن القشي ، كما كان الشيخ عبد الحفيظ تجمعه

(1) نقلا عن مقال للكاتب التونسي الشهير مصطفى بن شعبان - الشهاب عدد 92 .

(2) المصدر المذكور .

(3) المصدر المذكور ، وهذا من عمل أو وحي الادارة الاستعمارية .

المعرفة العلمية والنسب الأدبي والمجد العائلي بالشيخ ابن باديس، وقدima قال
أبو الطيب رحمه الله :

وبيننا - لو رعيتم ذاك - معرفة ان المعارف فى أهل النهى ذمم
وقد قال الشيخ ابن باديس رحمه الله فى صاحب النجاح وخطة جريدته
ودوافعها ما نصه : « لصاحب النجاح ، المحترم حظه من العلم والفضل ، وجميل
الاخلاق ، ولطيف المعاشرة ، وكرم الاصل ، ومن حقه ان نذكر له هذا ،
وما كنا لنبخس أحدا حقاً، ولكن لم تكن صحيفته - مع الأسف الشديد -
متجلى لهذه الصفات ، وعلة ذلك - ولا نقول هذا وحدنا - استسلامه لأناس
لا يساوونه فى المنزلة ، ولا يشاركونه فى المسؤولية ، وضعفه امام رغبات...
ومؤثرات »

ونحن - كجزائريين - نود لكل مشروع جزائري كل تقدم ورقي ،
وخصوصا للمشاريع الصحافية التى هى مقياس درجة رقي الأمة وانحطاطها،
ونود لصحيفة النجاح - أقدم صحفنا اليوم - كل فوز يثمره العمل الشريف
وكل نجاح تثمره الاستقامة .

اما محاولة الانتشار بتأييد خرافات الطريقين وضلالاتهم التى اجمع
المفكرون فى مشارق الارض ومغاربها من المسلمين وغيرهم على أثرها السىء
الفتاك فى جسم الاسلام، وأخذ المصلحون فى كل قطر فى معالجة دائها، فمما
يمقته كل ذي عقل أو دين ، لا سيما اذا كان ينشر الباطل والقذف بالزور
والتعرض لشخصيات الناس، اهـ(4). ولم تتعظ (النجاح) بمثل هذا ولا تأثرت
بل اشتد كلبها على الاصلاح بعد ان تأسست جمعية العلماء وانتشرت حركتها
وبعد ان اشتد ساعد الحركة الوطنية ولما صدرت (الكلمة الصريحة) التى
قالها ابن باديس ونشرت فى الشهاب : (ان الجزائر ليست فرنسا ، ولا تريد
ان تكون فرنسا، ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو أرادت) هاجمته النجاح

(4) نشر هذا المقال كتعليق من الشهاب على كلمة الكاتب التونسى السيد
مصطفى شعبان فى عدد الشهاب 92 الصادر فى 12 شوال 1345 هـ - 14
أبريل 1927 .

وتهكمت عليه والقت اسئلة تطلب جوابها منه ، منها متى كانت فى الجزائر
أمة ؟ ومتى كانت لها لغة ؟ ومتى كانت لها دولة ؟ وما هى حدود هذه الدولة ؟
وأضى المقال اسماعيل مامي، وتفظن لذلك الشيخ ابن باديس فقال ما فحواه :
(لقد وجهت اليها اسئلة كتبها رجل كبير وأمضاها رجل صغير) والرجل
الكبير هو المستشرق الفرنسي (ميو) الذى كان يتولى ادارة الشؤون الأهلية
فهو الذى بلسان فرنسا ينكر وجود (الأمة الجزائرية) ولغتها ودولتها وحدودها
فى الحاضر والماضى ٠٠٠ والمستقبل ! وهذا مبلغ الغرور !

وبلغ الغرور بالسيد مامي - عفا الله عنه - أن صار يسخر أحيانا بالشيخ
ابن باديس ويخترع على لسانه محاورات ، فبلغ السيل الزبا ، واشتد غيظ
الشهيد أحمد بوشمال ولم يملك نفسه ذات يوم - 1938 م - أن ارتقى عليه
فى نهج تجاري مزدحم وأعطاه (طريحة) حوكم من أجلها وحكم عليه بأربعمائة
فرنك ، وكانت كافية لكفه النهائي عن التعرض لشخصية الشيخ ابن باديس
بسوء حتى مات رحمه الله .

ومما يجب ان نسجله بإنصاف أن آخرة اسماعيل مامي كانت خيرا له من أوله ،
فقد كف فى الأربعينات عن كثير مما كان يصنعه ، ومما نذكره له انه شارك
فى احتفال الأمة بافتتاح دار الطلبة التابعة لمعهد ابن باديس واستضاف - فى
داره - نحو ثلاثين من الضيوف أكلا وشربا واقامة ، وحدثنا الشيخ صالح
ابن عتيق أنه - فى سره - كان يحب الشيخ ابن باديس ويأتيه بأسرار الادارة
الفرنسية ويطلعه على بعض ما يدبر من مكائد، وهذا ما جعله لا يقطع صلته
به ، لكن موقفه الأروع انه لما نشبت الثورة عام 1954 م ، لم يندفع فى
مقاومتها واقتصر فى الجريدة على رواية الأخبار كما ترد من مصادرها ، وقد
بلغني ان الادارة الاستعمارية حاولت منه أن يهاجم الثورة ويقف بجانب فرنسا
أو تسحب منه عونها فامتنع وقال : (لا أريد أن أموت كالكلب فى ازقة
قسطنطينة)، وربما سمعت هذا بأذن مني، ولعله اخذ عبرة من موت صاحب
(النهضة) السيد الشاذلي القسطلبي بيد فدائي تونسي فى نهج القصبة بتونس .
وكان موقف (النهضة) فى تونس كموقف النجاح فى تأييد الادارة الفرنسية،
وبلغ بها الامر ان سخرت بالشوار التونسيين واشاعت عنهم اسم (الفلاقة) .

ولما توقفت الادارة عن عون (النجاح) توقفت الصحيفة أوائل عام 1957م ولم يلبث اسماعيل - عفا الله عنه - ان مات فى يناير عام 1958 م ، وقد مات حتف أنفه لم يسيء الى الثورة ولم تقتله خلافا لما جاء فى رواية بعضهم ونشره فى كتابه .

أما الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمى فقد قبل وظيف الافتاء وتولاه فى عناية ثم فى قسنطينة، ولما جاء عهد الاستقلال التحق بسلك التعليم الثانوى وعاش الى ان وافاه الأجل المحتوم - بعد ان تجاوز الثمانين - فى رجب 1393هـ أوت 1973 م ، مات بقسنطينة ودفن بطولقة رحم الله الجميع .

أما جريدة البلاغ الجزائري - فانها - كما أعلنت عن نفسها (جريدة علمية ارشادية دفاعية) أسسها العليويون عام 1345 هـ ، 1926 م ، بعد نحو أسبوع من محاولتهم الفتك بالأستاذ ابن باديس رحمه الله ، وبرز العدد الاول منها فى 4 ديسمبر 1926 م ، لكن هذه الجريدة لم تلتزم آداب الصحافة الكريمة وأسلوبها ، فأسفت كثيرا وتنازلت - من الدعوة بالحكمة والموعظة ، والجدال بالتي هى احسن - الى أسلوب السباب والشتم والقذف بالزور والبهتان ، وهذا ما يستفاد مما قاله أو نقله عنها أوثق الكتاب وأعفهم لسانا وقلما واصدقهم لهجة ، وانقاهم ضميرا .

ان الشيخ ابا يعلى - فى كلمته التالية - يحاول ان يلوم من لا يسلام ، ويقوم ما لا يستقيم، وتظهر رغبته الملحة فى الجمع بين الماء والنار ليكون فى صف الكتاب والعلماء السلفيين من جهة وصديقا للعليويين من أخرى، ولا يتم له هذا الا بالصلح بين الطرفين ! ان مقال أبى يعلى « تكرر الاعتداء على أصحاب الشهاب » نشرته جريدة الشهاب فى عددها 9 الصادر فى 1 شوال 1345 هـ ، الموافق 14 أبريل 1927 م .

وهذا نصه بعد العنوان : تكرر الاعتداء على أصحاب الشهاب .

ليعلم أصحاب الجرائد الثلاث - خصوصا والقراء عموما - انى انما زججت بنفسى للكتابة فى الجرائد لغرض واحد وهو الاستفادة والإفادة من علوم رجال

ومعارفهم واختبار عقولهم ومداركهم وبث ذلك للطبقة التي تعقبنا لياخذوا
عنا كما اخذنا نحن عن قبلنا حسبما ذكرت ذلك في ابتداء مقالاتي :

(نظرة في الحديث النبوي ايضا) ويشهد الله وهو خير الشاهدين اني
ما اردت غير هذا، ومن ذلك احتسب في جميع ما اصابني او يصيبني في هذا
الميدان كما كان ولتعلّموا - ايضا - اني لا أنتصر لفريق اذا خطأ ولا أتخلف
عن الانتصار لفريق اذا ظلم أو ظلم عملا بالحديث الصحيح : (انصر أخاك
ظالما أو مظلوما) (1) .

ثم بعد هذا ولو لمزني عدة منكم بانى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء من صفوفكم
نعم ، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء في الباطل ولكني مع هؤلاء وهؤلاء في الحق
والعقلاء يشهدون ، وانشد :

(على أننى راض بان أحمل الهوى واخلص منه لا علي ولا ليا)

كتبت في النجاح عدة مقالات الى ان هاجمني فيه بعضهم وتجهمني ، فدافعت
ولم ينشروا لي فوقفوا بيني وبين المهاجم فشبهتهم بالبلجيكي (2) فخسرت
المعركة وجئت للعدو من عدوة أخرى وجددت الكرة في ميداني (صدى

(1) من حديث أنس بن مالك ونصه الكامل : (انصر أخاك ظالما أو مظلوما
قيل : كيف انصره ظالما ؟ قال : تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره) رواه
البخارى والترمذى وأحمد ، اما نصرة المظلوم فلا غبار عليه بالاخذ بيده واعانتة
في حقه على ظالمه ، واما الظالم فبكف يده ومنعه من الاستمرار في الظلم ، فهذا
الحديث من روائع المبادئ الاسلامية ، وقد حرقه أحد الذين ران على قلوبهم
الكدر ونشر في جريدة (العالم) الفرنسية (لوموند) هذا الحديث منقوصا
وزعم ان نبي الاسلام يأمر بنصر الاخ ولو ظالما ! ، تولاها الله .

(2) البلجيكي : مملكة أوروبية بين فرنسا وألمانيا عاصمتها بروكسيل
مساحتها 30447 كلم ، وشعبها أقل من عشرة ملايين وهي من أرقى الدول
الاوروبية وأوفرها ثروة وصناعة شعبها مسالم ولكن جنى عليها موقعها مرتين
فاجتاحها جيوش الالمان - دون ذنب - عام 1914 - للوصول الى فرنسا
وهذا ما يشير اليه الكاتب ، ثم أعادت فعلها مرة ثانية عام 1940 م ، للفرض
نفسه اثناء الحرب العالمية الثانية وحدث هذا بعد نشر المقال بأكثر من 10
سنوات .

الصحرَاء (8) و (الشهاب) فانتصرت انتصارا باهرا وهي الواقعة التي شبهتها بواقعة (المارن) (4) الفرنسية .

وكتبت في الشهاب منذ أكثر من سنتين وصرت لي فيه عدة معارك ومناظرات علمها القراء وترك لي الوسع والساحة ونشر ما علي وما لي ، وقد سرنى ما علي مثل ما سرنى ما لي ، وقد وطنت نفسي لخدمة ما ذكرت آنفا في صدر المقال الى ان كاد المحب بظهر الغيب (5) الاستاذ الشيخ عبد الحميد ابن باديس يمل من معاركى التي اعجبته واثنى علي فيها كما ذلك بخطه ، ثم هو لم يعجبه جعل شيوخ الطرق من جملة العلماء ، وانتقد علي ذلك ، وجعله باطلا ، ومنكرا من القول وزورا ، فأجبتة عن ذلك بمقالة بينت فيها ان كلامى عن ذلك له أصل وفرع وبرهان محسوس ومشاهد ، وذكرت له ان العالم بالاحكام الشرعية الفقهية علم الحلال والحرام هو العالم عندنا منذ أحقاب بل من عهد النبىء صلى الله عليه وسلم اذ قال : « أعلمكم بالحلال والحرام معاذ » (6) وبرهنت بعدة من العلماء أهل العصر ممن عرفتهم وهم بقيد

(3) جريدة وطنية صدرت بمدينة بسكرة صاحبها السيد احمد بن العابد ومحررها شاعر الجزائر الأكبر محمد العيد آل خليفة رحمهما الله برحمة الاحياء والاموات .

(4) اسم نهر في فرنسا من روافد نهر السين على شاطئه أوقفت جيوش فرنسا عام 1914 م ، زحف الالمان على باريس وانقذتها من احتلال وشيك وكان القائد الفرنسى المنتصر هو الجنرال (جوفر) .

(5) هذه الجملة يريد بها ابو يعلى انه حتى ذلك الزمن لم يكن قد اجتمع بالشيخ عبد الحميد بن باديس وانما أحبه بظهر الغيب ثم اجتمع به بعد تأسيس جمعية العلماء وكان ابو يعلى رئيس لجننتها الدائمة بالعاصمة بعد ان نحي عنها السيد عمر اسماعيل ولم يكن من العلماء .

(6) هنا علق الشهاب بقوله : وهل مشائخ الطرق اليوم من هؤلاء العلماء ؟ وهل هم أعلمنا بالحلال والحرام ؟ . . . غفر الله لك يا أبا يعلى فانك الى اليوم لم تحسن الجواب ولا عرفت كيف يكون الاعتذار ، اهـ .

واما معاذ بن جبل فهو من كبار الانصار علما وفضلا حضر بدرا وعمره 21 سنة وحضر المشاهد كلها وقال فيه عمر بن الخطاب عجزت النساء ان يلدن مثل معاذ . بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم أميرا لليمن ، ومات في طاعون عمواس عام 18 هـ ، خلف أبا عبيدة في إمارة الجيش ثم لحق به شهيدا في طاعون عمواس .

الحياة أنهم علماء ولم ينشر هذا المقال ، فكانه خشى أن يكون عليه لا له (7) .

وكتبت اليه مقالا داعيا الى الهدنة والى الاتفاق مع المخالفين أهل الطرق وأرسلت نسخة من المقال الى البلاغ فنشره ولم ينشره الشهاب ، فعلت أنه لم يعجبه رأي في ذلك كله (8) والله حسبي .

ثم الرجاء من الاخوان ان يتاملوا هل يجدون في ما لا يرضى ؟ عند هذا علمت ان العداوة قد استحكمت ، والتسامح مفقود، وليس في ذلك كله ما يحمد، وساءنى كثيرا اذ فشلت في سعي في الصلح والهدنة والاتفاق على قواعد تجري عليها نحن معشر السلفيين، ويجرى المتصوفة على قواعد ذكرتها أيضا ولو فعلنا لكان لنا وأقوم .

هذا ونعذر أصحاب الشهاب في واحدة بالخصوص ، وهي تكرار الاعتداء عليهم الذي لا يرضاه ولا يقبله إلا من لا خلاق له ، ولا مدنية ولا انسانية ولا عقل، وانه لدليل التوحش والهمجية التي لا تصدر الا من لم يبق فيهم

(7) علق الشهاب هنا بقوله : « قد نشرناه في عدد 80 لانه جاء قبل هذا فقدم لمقتضى الترتيب وما كنا - والله لنخشى من مقال لانه اذا كان حقا قبلناه ، واذا كان باطلا دمنناه ، وليس في حزب الاصلاح - بحمد الله - من يستنكف عن الخضوع للحق ولا من يعجز عن قمع الباطل » اهـ .
(8) علق الشهاب على قول أبي يعلى هنا بقوله :

ما كادت النوية تصل الى نشره حتى رأيناه منشورا ، وعلمنا - من تعليقات ناشريه - ما آياسنا من قبولهم لما فيه ، فمن العبث ان نملا به بعد صفحات الشهاب .

وبعد فاذا كان أبو يعلى يعنى بالهدنة والاتفاق مع الطرقيين السكوت عن ضلالاتهم التي جنوا بها على القلوب والعقول والاموال والأبدان ، وشوهوا بها سمعة الاسلام وسودوا صفحاته البيضاء فان دعوته من الضلال الذي يجب ان يستغفر الله منه ولا نستجيز لانفسنا ان نعينه عليه بنشره .

وان كان يعنى اننا نسكت لهم عن بعض الباطل ليقبلوا منا بعض الحق ، فان هذا لا يرضاه من انزل عليه « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » .
وان كان يعنى السكوت عن اعراضهم وأشخاصهم فان الطعن في الاعراض والتعرض للشخصيات مما قد تنزه عنه كتاب الاصلاح قبل دعوته وان اتخذه سلاحا قوم آخرون ، هـ .

تلك الخصلة العربية الاسلامية (حماية الدمار) (9) واكرام الضيف وايواء
الغريب ونصرة المظلوم .

ومن الاسف الشديد ، بل من الغيظ ومن العار والشنار وسوء الدار
وما سوء الدار ؟ سوء الدار الجلفة أو (الجيفة) الذى يقع فيها ذلك الفعل
الفظيع والتوحش الشنيع . وان الجلفة أو (الجيفة) من الجزائر ونحن من
الجزائر التى نرجو لها علما وادبا ! ان نحن الا مغرورون !!!

نعم مغرورون اذ كنا نظن ان الحرية التى حرمانها منذ ثورة 1871 (10)
وكنا وآباؤنا فى قيود العبيد الجناة الا باق ، حتى لقد صدق علينا المثل
المضروب فى المعنى « فى رقابهم الرباق ومن شأنهم الا باق » (11) ولهذا
انسحب علينا الا لجبر ، وضربت علينا الذلة والمسكنة ، واستمرت علينا
« الانديجينا » (12) ثم نطمع بعد هذا الاخلاق ان نفوز فى الاجتماع والمدنية
بين الامم أو ندعى اننا عرب مسلمون عقلاء منصفون ؟ ؟

هيئات هيئات ! اذا رجع قومنا الى ما قبل الاسلام بقرون كما قص الله
تعالى علينا امثال هؤلاء الاحلاف « يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا »
والا فديانتنا السمحاء تسمح لمناظر المخالف ان يقول ما يشاء ويعتقد ما شاء
اذا كان مسلما مجردا من السلاح ، واخرى اذا كان ضيفا أو غريبا أو ضعيفا .
ولكن قد يرد على الخاطر وجود الشذوذ من الجهال والجفاة الاجلاف وذلك
كله من الممكن ، وقد نتسلى بما تسلى به من قبلنا ممن مثلنا من الدعاة الى

(9) الدمار كل ما يلزمك حمايته وحفظه والدفاع عنه وان ضيعته لزموك
اللسوم .

(10) فى هذه السنة وقعت ثورة المقراني بمجانة واتسعت فشملت معظم اراضى
الشمال ، فانتهزتها فرنسا لقمع شديد وسلب الاراضى ، وفرض ادهساب
لا نظير له بقى من آثاره ما اشار اليه الكاتب .

(11) الرباق جمع ربة الحبل ، تربط به الدواب ، وهو اسم لكل حبل تقيد
به الحيوانات عندنا والأباق الفرار ، فرار العبد عن سيده .

(12) الانديجينا مجموعة قوانين وحشية سنتها فرنسا لتحكم بها الجزائريين
منها أخذ البرى بجريرة المجرم ، والمسؤولية الجماعية ... الخ . مما تتبرا
منه الانسانية وبقيت هذه القوانين مسلطة علينا الى انتهاء الحرب العالمية
الثانية ، وقد يحاولون التخفيف منها ثم يرجعون اليها باعنف واشد .

المبادئ والمذاهب فى العالم ، ونطالب الحكومة (13) باتخاذ الاحتياطات مثل هذه المظالم ، ونعذر الجاهل .

ويقول الذى أودى - منا - ما قال نبينا صلى الله عليه وسلم : « اللهم أغفر لقومى فانهم لا يعلمون » .

ولكننا لا نعذر أهل العلم عموما ، وأهل الجرائد خصوصا ، كأصحاب (النجاح) وأصحاب (البلاغ) الذين لم يقوموا ولم يعتقدوا ، ولم يبدوا ولم يعيدوا شيئا فى هذا الحادث الملم المليم ، بل سلكوا مسلك المتفرج المتشفى وهم أصحاب مبادئ ومذاهب (14) ، وبعبارة أخرى انهم أصحاب جرائد كالشهاب لهم مخالفون يكادون يسطون عليهم فلا يأمنون ذوى بغى (15) . كان المتعين عليهم ان ينتقدوا هذا الفعل الفظيع الذى هو ضد الحرية والعدل التى تدافع عنها جرائدهم .

وان ما جرى على متصرف الشهاب الشاب أبى شمال (16) يجرى عليهم مثله ، اذ مثل النظير النظراء . وهذا ما أنتقده انتقادا مرا على أصحاب النجاح وأصحاب البلاغ .

وهذا معنى قولى أنا اننى لست لهؤلاء ، ولا لهؤلاء فى الباطل ، وهذا هو الذى ادين به الله ، وادين به الوطن وبنيه وهذه الامة المتقهرة ، بل المتدهورة فانا لله وانا اليه راجعون .

(13) المراد الحكومة العادلة النصفة الحريصة على استيتاب الامن والضمان لحرية الراى ، وهل الحكومات الاستعمارية كذلك ؟ المراد بمثل هذا اقامة الحججة .

(14) هم كذلك فى خيال أبى يعلى رحمه الله .

(15) اقتباس من قول الشاعر :

لا يأمن الدهر ذو بغى وان ملكا جنوده ضاق عنها السهل والجبل
و «لا» فى قول أبى يعلى نافية لا ناهية - وفى قول الشاعر ناهية جازمة .

(16) كان عمره رحمه الله حينما اعتدى عليه نحو 28 عاما .

ولقد صدق علينا قول (17) جونار ، الوالى العام (كان على هذه الديار) .
فى جوابه الى المرحوم الشيخ على يوسف ، صاحب المؤيد حينما اجتمعا فى
باريس سنة 1903 م ، فتشكى صاحب المؤيد منتقدا عدم وجود الجرائد العربية
الاسلامية فى الجزائر ، فقال الم - جونار : « انه لم يجد من يستحق الامتياز
لادارة جريدة ، وتكون فيه اهلية لذلك فيمنحه ذلك » الى غير ذلك مما جرى
بينهما فى الحديث فى هذا الشأن ونشره المؤيد فى ذلك التاريخ (18) .

وعلى هذا فانى انتقد الجرائد الجزائرية كلها ، فالشهاب للشدة وعدم
الحلم والتسامح ، والنجاح للتملق والمداراة للزوايا والطرق (19) . والبلاغ
الجزائرى بعدم التبرى والانكار على هذه الاعتداءات ، و (البرق) (20) على
الاستفتاح بالشر وتابط شرا (21) لكونه انتقد عدم رواج كتبى التى افتها
فى حين انه يطلب رواج جريدته ، فلنتب الى الله ايها المؤمنون .

الزواوى السلفي امام جامع سيدي رمضان

(17) كان وليا عاما لفرنسا على الجزائر فى التاريخ الذى أجرى معه هذا
الحديث .

(18) الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد اليومية المصرية من اكابر
رجال الصحافة العربية ولد عام 1863 م ، وتوفى بالقاهرة عام 1913 م ،
تخرج من الازهر وانشأ مجلة الادب ، ثم صحيفة (المؤيد) عام 1889 م ،
وبلغت درجة كبيرة فى الرواج والاشتهار ، وفيها كتب الشيخ عبده رده على
هانوتو . كما كتب مقالات كثيرة فى الرد على من يهاجم الاسلام .

(19) اهذا هو المبدأ والمذهب الذى تقدم (اتهام) النجاح به ؟

(20) جريدة البرق عربية وطنية صدرت بقسنطينة ، صاحبها السيد
عبد المجيد بن رحمون وكان الاديب الشاعر محمد سعيد الزاهرى من محرريها
(21) تابط شرا لقب شاعر جاهلى فاتك ، واسمه ثابت بن جابر توفى 530 م
واصل لقبه انه وضع سيفاً تحت ابطه وخرج فلما سئلت عنه أمه قالت
« تابط شرا وخرج » فلصق به اللقب وكان من العدائين ، وله اشعار حماسية
رائعة ، اما من انتقد ابايعلى وعدم رواج كتبه فهو صحافى كان يمضى مقالاته
ب : « تابط شرا » ولعله الزاهرى .

« تعصب »

محاولة قتل صحافي اهل

قضية خطيرة - جريمة منوم - (دين وسحر !)

هذه مقالة كتبها صحافي فرنسي - واظنه الصحافي الفرنسي لوسيانى المعروف بمدينة قسنطينة ، وكان من أشهر صحافيينها ، وله معرفة كبيرة بالمسلمين وعاداتهم والاتصال بأعيانهم ، كما كان له صلة خاصة بالدكتور الزبير بن باديس شقيق الشيخ عبد الحميد بن باديس - لأنها كانا زميلين أثناء الدراسة - وربما دفعته هذه الصلة الى العناية بكتابة هذا المقال ، مع الوفاء لمهنته الصحافية وإشباع رغباتها ، وخصوصا بعد عناية الرأي العام الاسلامي بالحادثة وتجمع المسلمين أثناء التحقيق مع الجاني رغم أن الساعة كانت ليلا .

وان كانت جريدة « الدبش القسنطينية » من اعدى اعداء حركة ابن باديس المغرین بها والمعرضين عليها والمؤلبين .

وقد نشر المقال - بعد 8 أشهر من حصول الاعتداء بمناسبة تجديد البحث تمهيدا لمحاكمة الجاني فى عدد 110 بتاريخ 19 صفر 1346 هـ ، الموافق 18 اوت 1927 م .

قال الشهاب :

« تحت هذه العناوين نشرت صحيفتنا جريدة (لادبش كونستانتين) مقالا - بقلم (ن - ل) احد محرريها - فى نازلة الاعتداء العليوي على الأستاذ ابن باديس بمناسبة تجديد بحث الجاني فى مكان الحادثة .

وقد جاءنا تعريب هذا المقال المذكور من الاديب البارع والكاتب الشديد الاستاذ الامين العمودي (1) مترجما بقلمه ترجمة حرفية ، فنشرناه على قراءنا ليطلعوا على رأى جيرانهم الاوروبيين فى نازلة لا تزال شغل الافكار اليوم .

(1) الاستاذ الامين العمودي من أعظم الكتاب الأدباء الجزائريين ، شاعرا وناثرا، بليغ القلم باللسانين العربي والفرنسي ، وهو من شعراء كتاب (شعراء الجزائر فى العصر الحاضر) لمؤلفه الشيخ الهادي السنوسي . ومن كتاب الشهاب ، لما أسست جمعية العلماء كان الأمين العام لها مدة سنوات ثم تخطى عن هذه الأمانة للشيخ العربي، وقد خاض غمار السياسة، وأسس جريدة الدفاع (لاديفانص) فكانت لسان حال السياسيين الجزائريين الأحرار ، المناهضين للاستعمار ، ومنهم السيد عباس فرحات وزملاؤه فى حزب (وحدة النواب) وكانوا هم الناطقين باسم (السياسة) الأهلية ، فى المجالس النيابية . كما لعب العمودي دورا هاما فى منظمة المؤتمر الاسلامى أثناء وجوده ، وكان عضوا فى وفده مترجما - بأمانة - عما يعرب عنه ابن باديس - الذى كان يطمئن الى ترجمته ويثق فى صدق أدائه . كما كان رئيس منظمة (شبيبة المؤتمر) ذات الميول الوطنية العربية المتحررة من تأثير سياسة وحدة النواب .

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية القي القبض عليه وزج به فى السجن أوائل شهورها ، عام 1940 - وذلك فى حياة ابن باديس ، وكان فى إقامة جبرية ففهم القصد وظنه بداية محنة لفريقه فلم يتوهم سجن العمودي ولم يربكه ، بل اهتم به وبعائلته اهتماما شخصيا، ورجا أن يخرج من المحنة بطلا ، فكم صنعت المحن من أبطال ! ولكنه أفرج عنه وشيكا قبل وفاة ابن باديس بأسابيع .

ولم يعد الى نشاطه السياسى كما كان ، وقد تغيرت بعد الحرب مقاييسه وموازينه ودخل فى الاعتبار - الأعمال السرية ، والتنظيمات الحربية ، ونشاط الثوار ، وكان العمودي يغلب عليه طابع النشاط الفكرى والنقاش القلسمى ، والحجاج العلمى فاكتفى بذلك وحافظ على سلامة العقيدة الوطنية ووضوحها واستقامتها . فلما نشبت الاعمال الثورية عام 1954 كانت تمتنفس كل وطنى حر أبى ، وقدم لها كل بما يستطيع . وكان العمودي - مثل غيره - كجنسدى بسيط أدركته الشيخوخة وفاته عمر رفع السلاح .

ولكن اعداء الوطن لم ينسوا له ماضيه المشرق واسمه اللامع فقرروا أن يعدموه ، ونفذوا ذلك بالفعل فى يوم 10 أكتوبر 1957 كما أخبرنى به الاستاذ =

قالت لادبيش :

« منذ نحو ستة أشهر وقعت على صحافي أهلي (2) قام بمهمته باتقسان وشجاعة - وهو السيد ابن باديس نجل النائب المالي (3) الفاضل - محاولة قتل في ظروف هالك بيانها :

بينما كان السيد ابن باديس - في بعض الليالي - نحو الساعة التاسعة هابطا بدرج نهج (مايو) ليذهب الى داره الكائنة بنهج السود ، اذ انقض ، عليه رجل أهلي كان متخفيا بمكان مظلم وضربه بهراوة أصابت جبينه وجرحته جرحا خطيرا .

سعى السيد ابن باديس سعيا غريزيا في الدفاع عن نفسه ، ورغما عن خطورة الضربة تمكن من القبض بكلتا يديه على مهاجمه الذي كان يومئذ مسلحا بهراوة وموسى (بوسعادي) وأمسكه بضع دقائق ، لكنه لما فشل وخائنه قواه تخلص منه المعتدي المجهول والتجأ الى الفرار .

= محمد صالح رمضان وقيل عنهم انها منظمة اليد الحمراء الارهابية وهي وراء جرائم كثيرة رهيبة . وكانت تتألف من كبار رجال الادارة الاستعمارية ومن كبار مجرمي الجالية الفرنسية اليهودية . وغالب ضحاياهم ممن لم يجدوه متورطا في تهمة ظاهرة ، لهم عليه فيها مجرد شبهة .

وقيل عن العمودي - في رواية جريدة لهم - أنهلقى بنفسه من قطار قرب البويرة وهو يحاول الفرار فاطلقوا عليه النار وأردوه قتيلا ! وهذا ما كانوا يعلنون به كثيرا من اغتيالاتهم وجرائمهم فلا يصدقهم أحد ولا يجرا على سؤالهم ومحاسبتهم حاكم ولا قاض ولا مسؤول لأنهم ذاك كله .

(2) كلمة أهلي (انديجان) كان يلقب بها الفرنسيون كل أبناء الجزائر تمييزا لهم عن السكان الفرنسيين واليهود المتفرنسين ويريدون بها تحقيرهم بنسبتهم الى الوطن بينما كانوا يعدون أنفسهم من الاوروبيين ! والحقيقة ان الله أنطقهم بها شهادة بان الجزائريين هم (الامليون) وأنهم هم الاجدرون بأرجاعهم الى أوطانهم الاوروبية !

(3) كان المجلس المالي في الادارة الجزائرية شبه برلمان ! وكان يسمح - آنذاك - لخمسة ملايين من الجزائريين ان ينتخبوا لعضويته 12 نائبا ! بينما ينتخب الاوروبيون أضعاف (أصحابهم) بمقدار خمسة أو ستة لكل نائب أهلي !



الاستاذ الأمين المصري

وقد استنجد السيد ابن باديس ببعض المارة بالطريق وهؤلاء أحاطوا بنهج السود وشرعوا في التفتيش لكن بلا طائل ، ثم ان بعض اصدقاء الشيخ ذهبوا به الى داره القريبة جدا من ذلك المكان وما تعدوا عتبة الدار حتى راوا الجاني كامنا في احد اركانها ، مسلحا - كما كان سابقا - وواقفا موقف الهجوم ، فلما أخطأ المرمى - المرة الاولى - ظن أنه يصيبه حقيقة حين يصل السيد ابن ابن باديس الى محل سكناه .

لقى القبض على الجاني ، وانتزع منه سلاحه ، وسيق الى (الكوميسارية) واستنطق فأنكر بادىء بدء - رغم ما عليه من الحجج القاطعة - وقوع السطو منه ، ثم اعترف ببعض ذنبه ، وذكر أنه أراد أن يبعد عن العالم الاسلامى رجلا مرق من الدين !

تبين مما ذكر أن هاته جريمة ليست من الجرائم المعتادة وقوعها ، وثبت بوجه القطع ان السبب الحامل عليها هو ما ذكره الجاني ، وقد أنتج البحث جملة أشياء تدعو الى التعجب بقدر ما لها من الخطورة .

دعاة الباطل والضلال :

كان السيد ابن باديس أثار في جريدة (الشهاب) حركة قلمية تضاهى حملة الابطال ليفضح ويظهر لآخوانه في الدين جميع دعاة الباطل والضلال وسفلة المرابطين الذين يدعون العصمة وخوارق العنادات ، تستر هؤلاء الدجالون باسم الدين ، وأخذوا يستثمرون احسان عامة الاهالى ، مؤيدين سلطتهم على البسطاء (بكرامات) صبيانية ، وربما كان الخطب سهلا لو اقتصر عمل (المرابطين) على اختلاس (الدراهم) بطريقة تروج على السذج حتى تظهر لهم الحجر جوهرا .

لكن السيد ابن باديس زيادة على تشنيع هذا الصنع المنكر على اصحابه قد أشهر حربا خاصة على رجل أخذ نفوذه يتزايد بكيفية مفرعة ، وتعاليمه تنتشر بسرعة يسهل ادراك علتها بين طبقات الاهالى الذين يؤمل منهم الاقبال على الدعوة الجديدة بشدة رغبة وحماس مفروط .

عل نمط راسبوتين (4) :

استمد تاريخ هذا الرجل فى الاصل من تاريخ الراهب صاحب الشهرة السيئة بروسيا المقدسة ، دونكم شرح معنى ذلك :

كان منذ سنين فى مدينة (التقى) مستغانم يوجد من بين أعظم المسلمين تمسكا بالديانة - حذاء فقير وضع اسم (ابن عليوة) استلقت الانظار بشدة ما يظهره من التقى والصلاح وقد ملك قلب (مقدم) البلدة حتى ان هذا الاخير لما احس بقرب موته اوصى بان يتولى خطته بعده الحذاء ابن عليوة . كانت هذه الوصية من الغرابة بمكان عند ارباب الشؤون الدينية الاسلامية الا انها لما كانت معربة عن ارادة الهالك ، وموافقة لشريعة القرآن وجب العمل بها ، وسمى ابن عليوة « مقدما » وكان لسان حاله يتمثل بالمثل اللاتيني (هل ، ومتى يكون لصعودي حد) ؟

امتاز بكونه اماما مواظبا من أئمة الديانة الاسلامية العظمى بسرعة امتيازه بالذكاء والفراسة وشدة الطمع وحب الرياسة وبفضل ذلك قدر على تحريك الضمائر واستخراج أسرار العقائد ، وله فى هذا الفن طريقة خاصة . فكان لا يكتفى بأمر (فقرائه) بتوطيد ايمانهم بالله ، « لأن الله هو الله » بل يشير عليهم أيضا بتقديس « خلفائه فى الارض » .

ادعى - محتجا بما يسميه كرامات ، وما هى فى الواقع الا شعوذة بحتة - بأن الله حال فيه ، وبفضل قوته الجذابة النادرة وقوته التأثيرية العجيبة - تمكن ابن عليوة من جعل أتباعه او (زبنائه) تحت سيطرة ارادته وقد رأى منه المسلمون الغرائب ، وهكذا قويّت شوكة الدجال بكيفية مدهشة . ولما فهم ابن عليوة مقدار ما تجره له هذه (البضاعة الخصوصية) من المنافع عزم على تحسينها ، وتوسيع نطاقها ، وقد كان سمع بان فى ذلك الشرق القاصى . . . اساتذة يدرسون علوم الباطن فسافر اليه وبقي به مدة ثلاث

(4) راسبوتين هذا هو راهب روسى ادعى الصلاح - مع جهله وغباوته - ونال حظوة عظيمة عند الملكة (اسكندرة) بما روج على فكرها من أن أمر صحة ابنها - ولى عهد القيصر - كان بيده ، يفعل به ما يشاء ، وكان معظما لدى القيصر نقولا الثانى فى مدة الحرب الكبرى ، ومات قتيلا (العرب) .

سنين تلميذا مجتهدا حريصا ، وبعد أن تدرب ومهر فى فنون (الفقراء) السرية عاد الى منصبه ، واتخذ بلدة برج بوعريريج مركزا ومقرا ، وأسس (طريقة) أسرع (الإخوان) الى الدخول فيها أفواجا .

صورة عمله ان يختار من المقبلين عليه (أطوعهم) كما يقول المؤمنون ، ويدخلهم فرادى فى بيت ، ويأمرهم بذكر اسم الله وتكراره ألف مرة ، ويجبرهم على النظر الى نقطة واحدة ، ويعددهم بانهم يحسون بنزول الاله فى ذواتهم ، تلك احدى عملياته ، وفى بعض الاحيان يدخلهم فى خلوة مظلمة ويريهم صورة « الله » بطريقة تدع الابصار حائرة ، وقد أبدى فى تعاطى هذه الصناعة من المهارة والبراعة ما حصل به على الإعجاب العام .

ابن عليوة - كما يقول أصحابه - هو محل حلول الله فى الأرض ! ابن عليوة قادر على إيقاف الشمس فى دورانها ! ابن عليوة يفتح السماء ! ابن عليوة يغيض مياه العيون ! ابن عليوة فى وسعه ان يستمطر الدرهم والدينار ! !

وتوصل هذا الداعي الجديد الى إدخال آلاف من المسلمين فى مذهبه ، وها هو الآن يؤمل ويحاول البلوغ الى مقام النبوة ، وقد أسس جريدة سماها الاصلاح (5) .

يلزم قتل الحقيقة :

السيد ابن باديس رجل متنور متضلع فى العلوم ، مسلم عالم بنص القرآن ، تتبع أطوار تلك الدعوة وقابل بال غضب والنيكر أعمال ابن عليوة المنافية للأخلاق ، وأقدم على اظهار مساوية لإخوانه فى الدين ، فكتب فى جريدة الشهاب مقالات رنانة ، وكان ذلك سبب المؤامرة بالسطو الذى وقع عليه وكاد يذهب بحياته ، والرجل الذى سطا عليه فى احدى الليالى بنهج (مايو) هو واحد من إخوان الطائفة العليوية جاء من برج بوعريريج (6) بمأمورية خاصة هى قتل الصحافي الذى تجرأ على مقام ذلك النبىء الجديد ! .

(5) يعنى (البلاغ) قطعا .

(6) الصواب أن المؤامرة دبّت فى مستغانم وأن الجاني جاء منها وركب قطار الجزائر على أن يعود اليها بعد تنفيذ الجريمة وهذا ما اكده الشيخ ابن عتيق واستنتج فى التحقيق من بطاقة العودة.

الفاجعة :

أول أمس على الساعة التاسعة مساء استؤنف البحث فى القضية على يد المسيو أودوانو قاضى الاستئناف ولم يكن ذلك بالامر السهل ، فمن كثرة تزامم الوف الاهالى برغبة سخيفة فى الاطلاع على ما لا يعينهم حتى ادى الى خرق السياج الذى اقامه البوليس ، ومن جهة اخرى ترى جانبا خلى البال غير مكترث بما حوله ومع ذلك يجد فى المناقشة كان ذلك جبلة ورثها عن أصله يماحك فى الجزئيات التافهة وينكر ويصر على الإنكار بوقاحة بلغت أقصى درجات القبح .

سيرافع هذا الجاني - بعد انقضاء بضعة أشهر - لدى محكمة الجرائم لكن سيرافع التلميذ وحده، واما استاذة الدجال الناشر لدعوة الباطل والضلال فانه سيستمر فى دعة وهناء ساعيا فى الاهلاك واستعباد الافكار ناصبا للبله فح العقائد الميتة للعقول جادا فى تدجيله الذى به (ينزل الله فى أجسام عباده) و (يعطل حركة الشمس) ويستمطر الدرهم الرنان و ٠٠٠ (يسلح المجرمين) ٠٠٠ وكل ذلك باسم الله ! ...

عن جريدة لادبيش القسنطينية المؤرخ : 30 من جويلية 1927 م ، بسكرة

الامين العمودى



علق الشهاب على هذا المقال بعد نشره بقوله : (فى هذه المقالة عبارة ما كان نحب نشرها ولكن امانة الترجمة واحترام الكاتب والمغرب اضطرتنا الى ابقائها على حالها) .



فى مجلس الجنائيات :

الجانى العلىوى

خمس سنوات فى السجن المضيق

بعد خمسة عشر شهرا - (جمادى الآخرة 1345هـ - رمضان 1346هـ) -
ديسمبر 1926 م - مارس 1928 م - من الاعتداء الوحشى الذى ارتكبه الجانى
العالىوى (ممين أو ميمان الشريف الجعفري المجانى) على شخصية الشيخ
عبد الحميد بن باديس فأسال دمه الزكى بقصد قتله ، مسلحا بهراوة
استعملها وبمديّة سلها من المدى التى تستعمل فى الذبح والطن عادة
(بوسعادي) ، بعد هذا الزمن الطويل مثل هذا الجانى امام محكمة الجنائيات
بمدينة قسنطينة يدافع عن جنايته محام يهودي ويتصنع الإنكار لفعلته رغم
التعرف عليه من المجنى عليه، وتثبت له لشخصية يوم عرض عليه فى البحث، ورغم
شهادة الشهود الذين راوه وزملاءه يسألون عن مسكن الشيخ ويشبتون من
أوقات دخوله وخروجه ، وشهادة الذين حضروا إلقاء القبض عليه مساء الجريمة
مستترا فى سقيفة دار الشيخ وحجزوا منه أسلحة الجريمة والسبحة العلىوية،
ومع هذه الأدلة الواضحة لم يلتفت القضاء الى إنكاره واصدروا عليه حكما
بالإدانة ، وعين له خمس سنوات يقضيها فى السجن المضيق .

ان القانون الفرنسى يسمح للقاضي ان يحكم على مثله بالإعدام بتهمة
محاولة قتل مع ترصد وسبق إصرار واستعمال سلاح حديدي ثم إلقاء القبض
عليه فى حال تلبس بالجريمة وإصراره على إتمامها .

ولكن حكم القاضي الفرنسي صدر عليه بسجن خمس سنوات يقضيها في السجن المضيق ، وقد يرى هذا الحكم خفيفا ، ولكن الحقيقة ان الموت أهون من السجن مدة طويلة مثل هذه عند الأحرار .

ان الشريعة الاسلامية لا تقر مثل هذا الحكم بل تشرع في مثله القصاص أو العفو ، والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ، وفي القصاص عبرة للجاني وغيره ، وفي العفو سمو ونبل ومحو لأثر الحقد من قلب الجاني . ولهذا فان الشيخ رحمه الله لم يرض بهذا الحكم واخبرني الشيخ محمد الصالح بن عتيق وسمعت ذلك من غيره انه اعتبره قاسيا وقد سامحه ، ولكن الحق العام أبى ذلك ، ويشهد لهذه الرواية ما ختم به الاخبار عن الحكم من دعاء كما يرى ذلك في (الشهاب) .

والشريعة الاسلامية السمحة قد تسمح بالقتل فيما اذا كان الامر من باب الحراة والفساد في الارض « إنما جزاء الذين يُعَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ » فاما اذا لم تتحقق حراة فلا . وقد أوصى الإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه في الجنة ان يحبس عبد الرحمن بن ملجم الفاتك به ، فان شفي رأى فيه رايه، وان هلك فلولى الدم السلطان عليه ولا يسرف في القتل .

اما القانون الفرنسي الوضعي فانه يسمح بالحكم بالإعدام وقد ينفذه ، وخصوصا اذا كان الجاني (أهلي) والمجنى عليه أوروبي .

قالت جريدة الشهاب في عدد 137 الصادر في 9 رمضان 1346 هـ - الموافق أول مارس 1927 م ، تحت عنوان اعلاه ما نصه :

على الساعة الثانية بعد الزوال من يوم الاثنين السابع والعشرين من الشهر المنصرم انعقدت محكمة الجنايات بقسنطينة للحكم في جناية محمد الشريف ميمان العليوي على الأستاذ ابن باديس المشهورة . وتولى النضال من طرف الاستاذان : ميراكسيون ، وابن حبيص . ومن طرف الجاني الاستاذ زاوي الاسرائيلي وبعد سماع الشهود وكلام المحامين ووكيل الحق العام اثبتت المحكمة جناية الضرب والجرح على الجاني رغم بقاء الجاني على إنكاره

مع اضطراب فى كلامه ، حيث اعترف - فى البحث الاول بان العصا له ، وانكرها امام المحكمة ، وحيث زعم انه كان مقيما بالبلدة قبل يوم الجناية ولم يستطع اثبات محل إقامته مع انه كان يحمل ورقة الذهاب والإياب - واستنادا على شهادة الشهود التى جاءت على وجه لا اضطراب فيه ، فأصدرت عليه الحكم بخمس سنوات فى السجن المضيق .

وهكذا نال هذا الجاني جزاءه الذى يكون زاجرا لكل من يدعوه التعصب والتوحش الى الفتك بالنفوس .

وهكذا انتهت هذه المأساة التى كتبت تاريخ النهضة الاصلاحية فى افريقيا الشمالية بالحبر الاحمر الذى لا تستطيع محوه الأيام .

وختاما نسأل الله تعالى ان يؤلف بين قلوب جميع المسلمين بالمحبة والرحمة وان يقرب بين عقولهم بالعلم والانصاف ويغفر لجميعهم انه هو الغفور الرحيم .

« ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » .

- اهى جناية عادية ومسالة فردية ؟ -

هذه مقالة صدرت فى الشهاب عن جناية هذا الآثم بعنوان « الشقى العليوى » ، ويظهر - من مقدمتها ، وألحاح كاتبها على نشرها وتبريرها لكتابتها - ان الشهاب رغبت عن مواصلة النشر ، وفى اقفسال الموضوع . غير ان الشيخ الزاهري كان يرى غير ذلك ، وان الراي العام ما يزال مهتما به مشوقا اليه ، وليس من حق الشهاب ان تستبد باتخاذ مثل هذا القرار وحدها .

ونزلت « الشهاب » على رغبة الكاتب فنشرت له ، ثم علقت على مقاله بما يدل على نبل ابن باديس وسمو أخلاقه ، وتمسكه بالآداب الاسلامية ، ووقوفه عند حدود الشريعة من الاقتصاد فى القاء الاتهام دون بينة ، وتربية قرائه على هذا الخلق المتين .

وهذه مقدمة الأستاذ الزاهري يتبعها مقاله تحت عنوان الشقى العليوى ، وقد نشرنا فى العدد 140 الصادر فى 30 رمضان 1346 هـ - 22 مارس 1927م « حضرة أخى المحترم سيدى أحمد بوشمال سلام الله عليكم ورحمته » .

هذه كلمة كتبتها عن « الشقي العليوي » أرجو من فضلكم ان تنشروها في باب « النشر الحر » من الشهاب . وليس لكم ان تقولوا ان هذه مسألة خاصة ، وهي مسألة جزائية عامة ، بل هي مسألة تهم شمال افريقيا كله ، وقد تناولتها الصحافة الفرنسية كل واحدة بما ترى ، مثل الجزائر الجديدة ومثل « ليكو دالجي » وغيرهما .

وهي مسألة بعد ذلك شغلت أكثر النوادي الاسلامية والمجتمعات فهي موضوع أسرار الناس وأحاديثهم في هذه الايام ، حتى لا تسمعهم يتحدثون الا عن « الجاني العليوي » وعن الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس . ولقد اطلعني أديب من أدباء تلمسان على رواية تمثيلية في هذه الحادثة كتبها بأسلوب شيق ، وسماها « المصلح والطريقي » وأبدع في تصوير الواقعة وفي مراد المصلحين ، وشخص تشخيصاً محسوساً خرافات الطريقين وتدجيلهم وهو عازم على تمثيلها على المسرح البلدي بتلمسان غير بعيد .

فهل بعد هذا الاهتمام الكبير الذي تهتمه الأمة بهذه الحادثة يظن (الشهاب) أنها مسألة خاصة ، وجناية فرد عادية ؟

أما أنا فاني جئت بهذه الكلمة ، وما أظن الشهاب يمتنع من نشرها ، وفيه باب النشر الحر ، .

والسلام من أخيك محمد السعيد الزاهري

الشقي العليوي

مسكين ذلك الشقي العليوي مسكين !

دخل السجن المضيق منذ أكثر من عام فكان يذوق فيه البلاء المر ، ويمتنع المحنة الأليمة ، ويعذب هنالك عذاباً لا يعذبه أحد من العالمين ، ثم يحكم عليه بعد هذا ان يدخل السجن المضيق ، وان يبقى فيه خمس سنوات يقضيها بين الارهاق والعذاب الشديد .

جنى المسكين « المنوم » هذه الجناية الفظيعة ، ولم يكن هو الجاني في الحقيقة وإنما كان آلة صماء في يد شيخه ومربيه الذي رباه ونومه وأعدده لمثل هذا الامر الفظيع . أعدده لمثل هذا هو وأمثاله من الأشقياء المجرمين الذين

يسفكون الدماء والاعراض البريئة بغير حق ، ويقتلون النفس التي حرم الله . فاذا صح ان نسمى (هراوة) هذا الجاني هي الجانية المجرمة صح ان نسميه هو أيضا جانيا من الجنة المجرمين .

يرتكب المجرم الجناية ويدفعه اليها شيخه الذي يكون بين يديه كالميت بين يدي الفاسل ثم يعاقب المجرم بما يستحق من عقاب ، ويسلم دافعه الى ارتكاب الإثم والإجرام .

وعلى كل حال فانه لابد ان يكون قد اعتبر بهذا الجزاء تلك الشرذمة من أولئك الاشقياء المجرمين ، ولعلمهم ينتهون بهذا العقاب فلا يسفكوا - بعد اليوم - دماء عباد الله المؤمنين . ولعلمهم يستغنون عن « الهراوة » و « السكين » بما يتقيأون به علينا كل يوم من الفحش وقول السوء .

واما أنت - يا فضيلة استاذنا الكبير وشيخنا باديس - فلئن كنت أحلما صدرا وأليننا كتابة في الاصلاح - فلقد كتبت الحق كتابة كلنا يتمنى لو سبقك اليها . كتبت الحق كتابة ليس شيء من الأشياء بقادر على محوها ، فستبقى لك بقاء الدهر ، وسيخلد ذكرك بها ما دامت السماوات والارض ، وكيف ظنك بكتابة كتبتها بدمك الزكي الطاهر ؟

ان تكتب الحق الدماء فانت من كتبت دماؤك للهدى صفحات فلك في الأمة ما لرجال العلم والعمل ، وستكون في الآخرة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وأنت أيها (الشهاب) الكريم لا تصدق ولا تعتقد ان هذه آخر إذاية لقيتها ولقيها حزبك الاصلاحى من أولئك الذين لا يعلمون ، فما أحسبك أنت ولا رجالك المصلحين تسلمون من « أذى » القوم ما دتم في هذا الصراط المستقيم تجاهدون في سبيل الله وفي سبيل الجزائر . وسوف لا يردون علينا بالهراوي والعصي لانهم يخافون عقاب الحكومة لا عقاب الله . ولا يردون علينا بالعلم لانهم (قوم) لا يفقهون .

وانتم أيها المناهضون المشاغبون بغير هدى ولا كتاب منير : لم تحتاجون فيما ليس لكم به علم ؟ ولم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟ انتهوا خيرا لكم . وهذا صاحبكم الجاني العليوي لم تغن عنه من العقاب شيئا عناية الشيخ (أو همته كما تقولون) .

آخر محاولة للسطو بالشيخ ابن باديس ؟

أول محاولة دبرها (القوم) للسطو بابن باديس كانت - كما مر - فى قسنطينة بتاريخ 14 ديسمبر 1926 م ، فكتب الله له السلامة ، وباءوا بالخيبة والندامة .

ولكن هل أقلعوا عن غيهم ؟

ذلك ما يحدثنا عنه الشيخ الفضيل الورتلاني رحمه الله ، وهو يقص علينا أنباء رحلة الشيخ الى ناحية برج بوعريريج فى سبيل الدعوة الى الله - التى بنيت على ما جاء فى قوله تعالى : « قُلْ هَلْهُ سَبِيلُ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » وقوله سبحانه - « أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » وكلتا الآيتين مكتوبة فى صدر الشهاب كشعار لأسلوب ابن باديس فى العمل .

وقعت هذه الرحلة - الى البرج - فى المحرم من عام 1353 (أبريل - ماي 1934 م) ونشرناها (الشهاب) فى عدد صفر - مايو . وروى أحداثها الشيخ الفضيل الذى رافق أستاذه رحمهما الله . والشهاب يتبين عند مجيء كل نبي ، والراوي ثقة حريص على تجنب كل الريب .

ولعل الداعي الى محاولة القوم الجديدة توهم العلويين أن الخطر أصبح على أبواب قلاعهم فى تلك الجهات ، اذ لا ننسى أن ميمى محمد الشريف - الذى تولى كبر محاولة السطو بالشيخ الاولى - من قرية الجعافرة حوز مجانة دائرة

البرج، وكان بالبرج نفسه مركز هام لدعوتهم ، وتوجيهها نحو بلاد القبائل
التي كان يراد محو كل أثر فيها للطريقة الرحمانية التي تجرأ ابن الحداد
- أحد شيوخها - على تأييد ثورة المقراني .

فلما حل ركب ابن باديس ببلد البرج ، زين لهم ان يتآمروا ، وقرروا
ان يحولوا بينه وبين الاتصال بالشعب ان استطاعوا ، اما بتدخل من السلطة
الفرنسية نفسها واستعمال حكامها وقوانينها ، وايهامهم بخشية حدوث الفتنة
والشجار . واما باشعال نار الفتنة بالفعل ومحاولة الفتك بالاستاذ .

يقول الشيخ الفضيل :

« هنا يجب ان أرتب الحديث لاستقصى الادوار التي حاول حزب الشيطان
القيام بها وكيف اخفقوا ، وماذا كان موقف حزب الله ازاء جنونهم .
بينما نحن في تبادل اطراف الحديث بين أسئلة دينية وابحاث علمية
- اذ بنبا القوم العليويين ومن ضموه اليهم من الطرق الاخرى يرأسهم سي محمد
ابن ساعد - يتألبون على وفد الجمعية ويظهرون سخطهم عليه ويتآمرون فيما
بينهم على ألا تفوتهم هذه الفرصة في نظرهم دون ان يحدثوا فيها فتنة يشوهون
بها الجمعية ، اه .

وهنا يقص الكاتب ان شيخ مدينة البرج كان قد اذن في الاحتفال بقاعة
الافراح - وهي قاعة توجد في كل بلدية تقام بها الاحتفالات الشعبية ، وقد
قبل الشيخ ابن باديس ان يلقي فيها الدروس في الرحلات ، لان المساجد
الرسمية - محل الدرس الديني - كانت ممنوعة على العلماء ، والزوايا لا تسمح
لابن باديس ان يدرس بها - واما هذه القاعات فانها تابعة للبلدية ، ويمكن
للنواب البلديين المسلمين ان يطالبوا بحقهم فيها فتعطى لهم وهذا ما فعله
نواب «البرج» المسلمون ، فاستجيب لطلبهم . ولكن الشيخ المقدم - وكان
أيضا نائبا بلديا معهم - ذهب بمفرده الى شيخ البلدية الفرنسي دون ان
يعلمهم - ثم لحق به وفد الجمعية الذي جاء ليؤدي زيارة مجاملة - فوجدوه
عنده . يقول الشيخ الفضيل :

« وجدوا الشيخ المقدم سبقهم عند شيخ البلدة - وهو نائب بلدي يصل
ويجول ويحتج ضد هذه المحاضرات التي ستلقى بدعوى انها ستثير فتنة ويكون

وراءها ما يكون • ومن جملة ما ذكره - في وجوه وفد الجمعية أمام المير - ولم يحترمه ! - انهم - يعنى الجمعية - بولشوفيك - ! - يريد بذلك ادخال الريب على المير بهذه الكلمة ظنا منه - أو غباوة - أن المير لا يفهم البولشفيك أو الكمونيست أو العلماء أو غيرهم من الاحزاب اه •

وأخيرا تساءل « المير » لماذا يخاصمون العلماء ؟ فاجاب القائد : انهم يكرهون العلم لا غير •

ولم تفد هذه الوسيلة لان شيخ المدينة لم يكن من مصلحته اثاره غضب سكان بلده ، والمشاركة في القضاء على الحريات العامة ومنها حق النواب المسلمين في الاجتماع بمواطنيهم واستعمال قاعة الافراح فاعلن انه سيعطيهم قاعة الافراح ، وسيتكلف كوميسار الشرطة واعوانه بحفظ الامن ، ضد كل تشويش ومشوش •

تم يقول الشيخ الفضيل :

« خرج الشيخ المقدم يشبه من قامت عليه البينة في كبيرة ، على انه لم ينثن عزمه واعاد الكرة ثانيا بصفة مدمشة فجمع حزبه الملقق واغرامهم - كما قيل - على التوحش ، وان يفتكوا ويبطشوا بالاستاذ فانتشر الخبر في المدينة فما كاد يعمها حتى اجتمع جيش عظيم من الشبان لولا العقلاء من الكبار لانتقموا منهم شر انتقام قبل تحقيق هذا الزعم » •

ثم روى خبر مجيء خلق كثير من سكان القرى والبوادي ، القريبة من البرج منهم أهالى قرية « قلعة بنى عباس » الذين لم يبلغهم خبر الاحتفال الا في نفس اليوم ، لولا ذلك لحضر منهم العشرات • وكانت قلعة بنى عباس قلعة الاصلاح ، وهى قريبة الموقع من قرية الجعافرة •

وهكذا تكون هذه المحاولة آخر ما هم به العليويون في حياة شيخهم وامامهم الذى توفى بعدها بشهور - في 2 ربيع الآخر 1353 هـ ، وقد توفى ابن باديس في 8 ربيع الاول 1359 •

وعند الله تجتمع الخصوم « إنك ميتٌ وإنهم ميتون » ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » « إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » صدق الله العظيم •

ملحق أخير :

وإذا كانت هذه آخر محاولة للسطو بابن باديس - وقد كان مآلها الفشل كالاولى ، وبيقظة الامة وتحركها - فان محاولات هذه الفرقة - ضد العقائد السليمة ، والسنة الصحيحة ، ما تزال متوالية حتى اليوم ؛ فقد تحركت أفاعيها وعقاربها • فى المدة الأخيرة ، ونشطت نشاطا كبيرا .

وبلغني أن الجراة بلغت بهم أخيرا (1403 هـ) الى عقد (مؤتمر) كبير فى قرية (الجعافرة) مسقط رأس المتآمر الاثيم ممين محمد الشريف الذى حاول ان يذبح ابن باديس ، ويسدد السهم القاتل فى نحر الاسلام كما قال التبسى ، فقد كانت المآمرة ضد الاسلام وأمته •

فلتكن أمتنا على حذر ، وليعلم المبطلون أننا لهم بالمرصاد ، ولن يكتب النجاح - بحول الله - للباطنية والحلولية والاتحاد - فى وطننا الملتزم بكتاب الله وسنة رسوله • « **والله من ورائهم محيط** » .



القسم الثاني

هذا القسم

حاولنا فى هذا القسم ان يعرف قراؤه هذه الطريقة على حقيقتها : ما هى ؟ وما أصلها ؟ كيف نشأت ؟ من هو منشئها ؟ ما هى المبادئ التى كانت تروج لها ؟ وما هى طرقها فى العمل ؟ ما هى الآثار التى أحدثها ظهورها فى الميدان ؟ ماذا يأخذ عليها خصومها ؟

جواب هذه الأسئلة يؤخذ من ثنايا الفصول التالية ، التى اعتمدنا فيها على مصادر لا يتطرق اليها الشك ، لأنها صادرة عن أقطابها ، او معترف بها منهم ، قد أقروها أو روجوها بأنفسهم ، وسيد الأدلة الإقرار .

تجد فى هذه الفصول التعريف بزعيمهم الأكبر ، منشئ الطريقة ، واسلوبه فى ترويجها ، وتجديدها .

طريقتهم فى عبادة الله وذكره ! الحضرة ، الرقص ، الغناء ، الاعتماد على الأحاديث الموضوعة ، كذب على الصحابة ، أثر الباطنية واليهودية فى (الذكر) واسلوبه ، الإلحاد فى أسماء الله الحسنى .

القول بالحلول ووحدة الوجود ، الشطحات الصوفية ، شطحات الشيخ ابن عليوة ، هل يصدق عليها اسم « الشطحات » الصوفية وهل هى من المعفو عنه ؟ أقوال فظيعة واصرار عجيب ! نائمون قلوبهم يقظة .

الفرسان الثلاثة وتسابقهم فى الميدان

لهذه الطريقة ثلاثة فرسان ، أقوالهم المروية عنهم :

من أقوال الشيخ ابن عليوة : فساد فى اللفظ والمعنى :

علم الباطن وكتمان الرسالة ! نوم يغنى عن ذكر الله ، اثبات الجهة لله ، علامات وصل الواصلين ، عمن ورث الحلول ؟ ليل وعاشقها تصوير فظيـع .

هو ذات الرحمن - تعالى الله - فريد في الزمن - فتشت عليك يا الله ، لست
سواك يا الله ! جنة رضوان في مستغانم ! ذوق فاسد في مدح النبي صلى الله
عليه وسلم . أهو اعراض وصدود ؟

من اقوال ابن الحبيب :

فساد في اللفظ والمعنى أيضا

التلميذ نسخة من أستاذه ، الكون في قبضتي ! رؤية الله . جهرا . ضريحه
بيت المعمور ! دعوة الناس لشدة الرحال اليه .

رفع الحجاب ومشاهدة الرب ، الخمار الاعظم ، كل غوث وقطب وولى تحت
حكمه خاضع له ، الفلك الدوار في قبضته .

من اقوال الشيخ عنه بن تونس : التلميذ كأستاذه .

من رآه - في زعمه - رأى الله ! - أنت مخلوق وغير مخلوق ، الواحد ثلاثة
والثلاثة واحد ! رسول الله يعلم ما في الصدور ! الموتى يتكلمون ! مولى سطوة!
أعبد الله أم مخلوق ؟ عبادة المخلوق بالدعاء .

يشتمل هذا القسم في التعريف بالطريقة وفرسانها على فصول .



نشأة الطريقة العليوية

الشيخ أحمد عليوة من هو ؟ وما هو ؟

بدع يعترفون بأنهم يعبدون الله بها

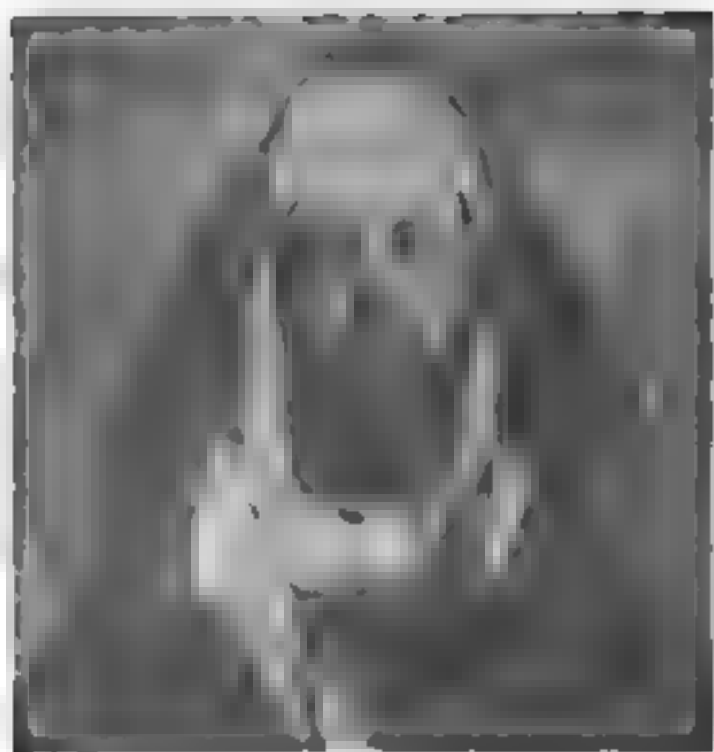
الفصل الأول :

الشيخ أحمد بن عليوة هو الذى تنسب اليه الطريقة وهو صاحب هذه الابيات المسؤول عنها ، والمستفتى فى شأنها ، وكانت موضوع نقد الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ومهاجمته وتفنيده ، وقد نشرت الابيات ضمن ديوان (شعر) طبعه الشيخ واذاعه عام 1920 م ، وكان محل تقدير من اتباعه وتأثير فيهم .

وكانت الطريقة العليوية - التى احدثها - وجدد بها الطريقة الشاذلية التى ورثها (قد امتدت فروعها فى الحاضر والبادى ، وتأسست جموعها فى أغلب النوادي (1) . . . وكان بعض القبائل يحاول رؤساؤهم بكل إلحاح فى طلب من يصل الى ناحيتهم من رجال هذه الطائفة) (2) .

وقد ولد الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة بمدينة مستغانم أثناء الثلث الاخير من القرن التاسع عشر الميلادى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى (سنة احدى وتسعين ومائتين وألف وبها توفى فى 4 ربيع الآخر 1353 هـ ، ودفن بزاويته العامرة وهو من عائلة شهيرة تخرج منها عدد كبير من القضاة، وينتسب الى جده الرابع فهو أحمد بن مصطفى بن محمد بن أحمد المعروف بالقاضى

-
- (1) كتاب الشواهد والفتاوى ، ص 5 .
(2) كتاب الشواهد والفتاوى ، ص 5 .



ابن محمد ابن الحاج على المعروف عند العامة بعليوه ٠٠٠ ابن غانم القادم من الجزائر بقصد السكنى بها ، (ذكر ذلك صاحب كتاب الحلل المرضية فى شرح الرسالة العليوية ، ص 6) .

وقال صاحب كتاب : (الشواهد) : (بلغنى ممن يوثق به انه من قبل احتلال الجزائر الى يومنا هذا - يعنى عام 1342 هـ - مر نحو 6 قضاة من عائلة الاستاذ، آخرهم ابن عم له يدعى الشيخ ابن هشى ابن الحاج حمو بن عليوه (3) اهـ وقد يدل هذا على عراقتهم فى التعاون مع العدو !

اما الشيخ أحمد نفسه فلم يكن له حظ كبير من الثقافة والعلم باجماع من عرفوه وترجموا له ، وبشهادة آثاره من (الشعر) والنثر ، وقد اعترف بتقصيره فى الطلب وضعف كتابته بالقلم فقال فى نظم رسالته العليوية :

معترفا بتقصيرى فيما اعلم وضعف الانامل لاخذ القلم
وقد زعم شارح هذه الرسالة تلميذه محمد بن الصالح التمساني انه :
(يعترف رضى الله عنه بتقصيره لما يرجع لمعلوماته الفقهية) صفحة 9 من الشرح
وان ذلك تواضع منه (فهو وان لم يشتهر بتعاطى الدروس فى العلوم الظاهرة فقد كان له منها القدر الذى يجعله افقه اهل زمانه) (من أين له ؟) قال :
(بناء على ان العلم كما قال امامنا مالك رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الروايات انما هو نور يضعه الله فى قلب من يشاء .

ثم زعم هذا الكاتب انه ناظر بعض علماء الوقت فبانست مكانته ، فيما تناظروا فيه وقالوا له بلغنا عنك انك لم تتعاط شيئا من الدروس فأجابهم بقوله : (استغفر الله فهو قول الله سبحانه) : « **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ** » .

وهذه الحكاية من شارحه وتلميذه تروى عنه انه كان معروفا عند العلماء المعاصرين له انه لم يتعاط شيئا من الدروس ، والمراد تعاطى الطلبة الدارسين لها ، المقبلين على طلب العلم ، واما حضور دروسها ، فان العامة فى بلادنا يحضرون ، وهذا الشيخ يزعم ويزعم له ان علمه لدنى ، وروى عنه هذا الشارح

(3) كتاب الشواهد والفتاوى ، ص 1 .

(صفحة 9 - 10) ما يؤيد هذا الزعم وانه ذكر له ذات يوم انه اعطى ملكة الفهم وسلامة القريحة ما يجعله يكتفى بختمة واحدة فى تحصيل ما يحتاج اليه ، وانه ختم مختصر خليل ، وألفية ابن مالك مرة واحدة .

ولكنه مع ذلك كان يتوقد ذكاء ودهاء فى معاملة الناس سواء كانوا من مريديه واتباعه واصدقائه أو كانوا من خصومه ومقاومي طريقته .

قال عنه الشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى التلمسانى : مفتى مستغانم وهو من المعجبين به العارفين بأحواله : (نشأ فى بلده بين اظهر قومه وتربى فى حجر والده وعشيرته خاملا متدينا مشتغلا بما يعنيه ، ولما بلغ الرجولة دخل طريق القوم الصوفية ٠٠٠ فتردد بين من شاء من أهلها حتى ظفر بقسمه وظهر بحكم وقته فى تدينه ، مالكى المذهب ، أشعرى العقيدة ، شاذلى الطريقة ، يحضر الجماعة والجمعة ويرغب فى الخير ، (4) .

شيخه فى السلوك :

يفهم من شهادة الشيخ المفتي أنه تردد على غير واحد من أهل التصوف وتردد على من شاء منهم ، ولكنه صاحب الشيخ محمد بن الحبيب البوزيذى المستغانمي ، شيخ الطريقة الشاذلية بمستغانم أكثر ، وكانت هذه الطريقة منتشرة فى المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر ، وهى تنسب الى الشيخ أبى الحسن الشاذلى دفين مصر ، وقد اتصل الشيخ محمد عبده رحمه الله بأحد تلاميذ الشيخ المدني كان مستقرا فيها هو الشيخ درويش وتأثر به - والشيخ المدني كان من شيوخها ومقره ليبيا .

ودامت صحبة الشيخ ابن عليوة لاستاذة محمد بن الحبيب قريبا من خمسة عشر عاما خدمه فيها بأدب ، ولم يال جهدا فى مرضاته ، حتى مات وهو عنه راض ، وبذلك يعترف له عموم اخوانه (5) .

وفى ذلك يقول الشيخ ابن قارة فى شهادته :

« كنت أشاهده ملازما لشيخه بأدب كثير وهو

راض عنه حتى توفى فتاب عنه وخلفه ، (6)

(4) المصدر المذكور ، ص 12 .

(5) انظر المصدر السابق فى نفس الصفحة .

(6) حاشية الشواهد ، ص 5 .

والادب الجم ، والسلوك الحميد مع الشيخ واكتساب رضاه له أهمية كبرى عند القوم ، وقد يكون السبب الاوحد لنيل خلافته والنيابة عنه بعد مماته ، والظفر بـ : « قسمته » ويراد بهذه « القسمة » نصيبه من معرفة الله الخاصة التى هى غاية كل سالك فى طريق الله عز وجل وما أوجبوا صحبة المشائخ على المريدين الا من أجلها ، (7) .

قال ابن عاشر :

يَصْحَبُ شَيْخًا عَارِفَ الْمَسَالِكِ يَقِيهِ فِي طَرِيقِهِ الْمَهَالِكِ

تجديد الشيخ أحمد بن عليوة :

توفى الشيخ محمد بن الحبيب يوم الاثنين 10 شوال 1327 هـ (1909م) وخلفه من بعده فى مشيخة الطريقة بمستغانم الشيخ أحمد بن عليوة ، وكان فى عنفوان شبابه وقمة نشاطه ، فاذا كان دخل فى الطريقة لما بلغ مبلغ الرجولة (8) وعاش فى خدمة شيخه المذكور ملازما له ما يقرب من خمسة عشر عاما (9) فان سنه يوم آل البه هذا الارث ، وتولى قيادة القوم ، وإرشاد (الإخوان) يكون فى الثلاثينات من عمره قد بلغ أشده ، وكاد يستوي .

لم يكتف الشيخ بالأساليب العادية لدى مشائخ الطرق ، أو بما ورثه عن سلفه - ومنها إقامة حلقات الذكر التى تدعى (الحضرة) ولها آداب معلومة عند القوم ، وربما رأى هذه الأساليب عتيقة ، وقديمة بالية - بل جدد أساليب الدعوة الى الطريقة ، ونسبها الى نفسها فدعا ، (الطريقة العليوية) أو دعيت هكذا تكريما لنشاطه وبراعته ، ومن أساليب تجديده اتخاذ (الخلوة) وتهيئته فيها الاسباب للمختلى حتى يتوهم رؤية الله بعينه جهرة - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - أو يرى والديه الهالكين ، أو يرى خوارق للعادة - ، ومنها تأسس فرقة للدعاة المتجولين ، تعقد اجتماعات وتتخذ قرارات ، كما يتبين ذلك مما يأتى :

(7) حاشية صفحة 13 من المصدر المذكور .

(8) شهادة الشيخ ابن قارة فى كتاب الشواهد ، ص 12 .

(9) كتاب الشهاد ، ص 5 .

الخلوة :

« هي بيت يدخله من مريديه تارة واحد وأخرى هي ٠٠٠ ولا يتجاوزون لعدد أصابع اليدين الا واحدا ٠٠٠ مرسوم بهذا البيت أمام المريد « الله » ينظر اليها أيام اقامته بالخلوة التي يفقد فيها الاكل ولا يخرج منها حتى يشاهد (الله) جهرة أو يرى أبويه الهالكين أو شيئا آخر ، وإذا خرج المريد من الخلوة صار محبا للشيخ وأخا مخلصا لمريديه عدوا أزرق عن عاداهم (10) .

ومن التنظيم الذي رتبته الشيخ للمريدين ان يعقدوا اجتماعات تنعقد من هؤلاء المريدين شبه جمعية فدائية آونة أو شبه لجنة تنشر الدعوة غالبا .
ففي الحالة الاولى تبحث عن يستنقص الشيخ أو يجرح عواطفه لكي تحل به غضبها وتنتقم منه لشيخها ، وقد تكررت اعتداءاتها على من لم يؤمن بغوثية شيخها .

وفي الحالة الثانية ينتقل بعض أعضائها في البلدان ويتحدثون عن الشيخ وما له من الاسرار ، ويشترون بعض أصحاب الذمم الخبرة ممن ينتسبون للعلم لكي يشهد لشيخهم ، أو يؤلف كتابا باسمه يصطادون به البسطاء ويغرونهم بانه عالم كبير بل بحر لا ساحل له (11) .

كتاب الشهاد والفتاوى :

والكاتب يشير بقوله المنتسبين الى العلم ٠٠ - بلا شك الى مثل صنع الشيخ محمد بن عبد الباري التونسي الذي أقدم على نشر كتاب باسمه سماه « الشهاد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوى » وطبعه في المطبعة التونسية ، وجعله ردا مباشرا على رسالة الشيخ عبد الحميد بن باديس التي عنوانها « جواب سؤال عن سوء مقال » والتي قرظها كبار علماء تونس والجزائر والمغرب ، وضللتوا من تجرأ على مقام النبوة ، واساء الادب مع من أمرنا بتعزيزه وتوقيره وحبه عليه الصلاة والسلام ، واعلنوا تصحيحهم لما قال ابن باديس وتأيدهم لموقفه .

(10) جريدة الشهاب عدد 78 يوم الخميس 2 رجب 1345هـ - 6 جانفي 1927 .

(11) المصدر السابق .

كما كان ذلك الكتاب ردا على حملة صحفية كاشفة لما تعلنه طائفة العلوية خصوصا وبعض رجال الطرق الصوفية عموما من أقوال أو أعمال منافية للشريعة الإسلامية مصادمة لها وما تتركه في الأمة من آثار سيئة دينية واجتماعية .

وقد زعزعت هذه الحملات : - برسالة ابن باديس ، وبمقالات أصحابه من المصلحين ودروسهم - زعزعت نفوذهم وهددت أركان بنيانهم ، وتخرجوا منها ، أيما حرج ، وزرعت الشك في عقائدهم وفي شخصية وأقوال وأعمال شيخهم ، وكان قبل هذه الحملة قد انتشر نفوذهم أنتشارا عظيما فامتد الى المغرب والى تونس ، واجتاز البحر الى فرنسا وبريطانيا ، وكادت الطريقة العلوية (تبتلع) غيرها من بقية الطرق الصوفية وتعفى على آثارها بفضل تنظيمها ونشاط دعائها ، ودهاء شيخها .

لم يكن مؤلف كتاب الشهاد والفتاوى من علماء تونس البارزين وكتابتها المشهورين ، لهذا لم يعتمد على الرد العلمى ، ومقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ، وانما عدل الى التماس شهادات رسمية مستخرجة من المحاكم الشرعية بوثائقها وتسجيلاتها ودفع أجورها كما فعل لما التمس شهادة محكمة مستغانم الرسمية .

وقد ختمت الشهادة بقول الموثق التقليدى « شهد به من علمه وتحققه بتاريخ السابع عشر جانفى سنة 1924 م ، أجرته بترجمته أحد عشر فرنكا وخمسة وعشرون سانتىما وواجب السطور ثلاثة فرنك واثنى عشر سانتىما قبض الكل تحت عدد 363 بادرة الدومين بمستغانم يوم 18 جانفى 1924 م ، . . . الخ (12) .

وهكذا فليكن الرد وليجدد أسلوب النقد !

لقد اكتفى صاحب الكتاب بتوجيه اسئلة يوجهها الى اشخاص معينين ويتلقى اجوبتها ثم يسجلها كما تقدم . من هذه الاسئلة ما وجه الى مفتى مستغانم يقول فيها : هل اتضح عندكم من سيرة الشيخ ما يخل بالشرع

(12) كتاب الشهاد ، ص 11 .

الشريف ؟ وهل هو عندكم ممن يعضد السنة والجماعة ؟ وهل ما جرى على لسانه من الشطحات كان مسبوقا بمثلها ؟ وهل ما اعتاده اتباعه من الرقص بالذكر والتغنى بالاشعار هو عندكم مما لا شبهة فيه ؟ (13) .

وقد كان الذين وجهت اليهم الاسئلة فاجابوا ، وشاركوا بأجوبتهم في تأليف هذا الكتاب اما علماء موظفين ، متصلين بالادارة الفرنسية خاضعين لنفوذها ؛ معرضين لسلطوتها وانتقامها - وأعظم بارها بها وانتقامها في تلك الايام - ! (1924 - 1925 م) ، من قضاة ومدرسين ورجال الافتاء ، واما اُجانب عن الموضوع ليسوا من أهل العلم ولا يدعون كنوان المجلس وأعضاء البلديات ورؤساء القبائل ، واما علماء منسبين الى العلم خاملا ذكرهم مجهولة أسماؤهم في المغرب أو في تونس أو في بعض جهات الجزائر .

ومن الملاحظات التي لا بد أن تلفت الانتباه ان « المؤلف » وجه أسئلته الى قاضى تلمسان الشيخ شعيب رحمه الله ، وكان هذا الشيخ ممن قرظ رسالة الشيخ عبد الحميد بن باديس وعلق عليها ، فتخرج موقفه ، ولم يربدا من قوله يخاطب سائله التونسي (لما عرّضت على الجواب حصل لي ألم اضناني فاملت على ولدي هذه الكلمات ... وهي أننى اكتفيت بجواب الشيخين المفتين ... حيث انى كنت عازما على القول فيها بمثل ما قالوا ، ولانهما ادرى منى بحاله ... ، ويعنى بالشيخين : عبد القادر بن قاره مصطفى مفتى مستغانم وضواحيها ، ومحمد ابن الحاج علال مفتى تلمسان ونواحيها ويقول : (لكون الأول ببلده ومصره ، والثانى عاشره مدة سبعة وعشرين عاما ، (*)) .

وهذا تملص واضح من الشيخ شعيب ينجو به من مخالب من أراد به سوءا اذا لم يجب ، ولا يوقعه فى تناقض مع تقرّظه لرسالة ابن باديس وبتعليقه بقلمه عليها .

اسلوب اجدى فى المقاومة :

ولم يغن هذا الكتاب عن أصحابه شيئا فى دفع الاثر الكبير الذى تركته رسالة (جَواب سؤال عن سوء مقال) على موقفهم وموقف شيخهم خصوصا وقد

(13) المصدر المذكور ، ص 12 .

(*) كتاب الشهادت ، ص 23 .

دعمت من قبل اشهر علماء تونس والجزائر والمغرب الذين اطلعوا على ما جاء فيها واقروه وأيدوه وضللوا صاحب الشطحة الصوفية بذلكم الشعر السخيف البارد كما وصفه قاضى الجماعة بتونس الشيخ محمد الصادق النيفر . ومن نشر الرسالة واشتهارها توالى الهجمات الصادقة العنيفة على أقوال وأعمال القوم المنتسبين الى الصوفية ، عندنا ، وكشف أمرهم ، وانهم لا يمثلون طريق الصوفية كما هى سيرة اقطابهم لم ينفع هذا الكتاب ، ولا مقالات صحيفتهم (لسان الدين) ولا تقلب جريدة (النجاح) ووقوف أصحابها فى جانبهم ، خاضعين لاساليب الترغيب والترهيب معلنين توبتهم من موقف لهم سبق فى نشر بعض مقالات المصلحين .

لهذا قرروا أن يردوا على المصلحين بأسلوب آخر يملكون وسائله ويتقنون فنونه ، هو أسلوب العنف ومحاولة الفتك بهم . كما وقع مع الاستاذ ابن باديس رحمه الله ومع كاتم سره السيد أحمد بوشمال .

مقاتل العلويين والبتدعين :

كان من مقاتل خصوم الإصلاح عبادة الله (بالرقص) ، وما يقع فيها من قول وفعل ينافى السنة وان حرصوا على الادعاء انهم يلتزمون بها ، واقامة (الحضرة) ، وإعلان الشطحات من أقوال تؤذى الله ورسوله كالقول بالحلول، ووحدية الوجود ، واتهام النبى صلى الله عليه وسلم بالدلال والترفع عليهم ، ودعوته الى المحاكمة أمام الله كما تضمنتها الابيات التى انتقدها ابن باديس وأخيرا الالتجاء الى العنف والاقدام على محاولة الاغتيال لخصومهم .

الحضرة - عبادة الله بالرقص :

هذا ما كان ينكره حزب الاصلاح على الطرفين عموما وقد التزمه العلويون ودافعوا عنه ووضعوا له آدابا واسماء ، ورفعوا سنده الى الصحابة رضوان الله عنهم ، واستشهدوا بأحاديث لا يعترف بها المختصون من رجال الحديث ولا تصح عندهم ولا تستحسن . يقول الشيخ عبد القادر بن قاره مصطفى مفتى مستغانم فى جواب سؤال نصه : هل ما اعتاده أتباعه من الرقص بالذكر والتغنى بالاشعار هو عندكم مما لا شبهة فيه ؟

« الذكر على هذا الوجه هو المعروف عندنا (الحضرة) ، وهي اذا كانت مستوفية لشروطها وآدابها المعلومة عند القوم ... سالمة من الموانع الشرعية لا شبهة عندنا فيها (14) » .

والحضرة (عبارة عن اجتماع الذاكرين لله تعالى على وجه مخصوص وكيفية معلومة ...) أذكّارها دائرة بين الهيللة (لا اله الا الله) والاسم الاعظم : اسم الجلالة (الله) واسم الهوية (هو) ، واسم المتأوهين المعنون عنه باسم الصدر (اه) اقتطافاً من اسم (الله) اكتفاء بأوله وآخره - وعدوا ذلك من خواصه ، واسم المتولّين (هو) باسكان الواو سكوناً ميتاً أو (هـ) بلا واو على تدرّج وترتيب عندهم على حسب حال الذاكرين .

رقص وغناء يرفع الى حضرة القدس !

ثم يقول وكيفيتها (الحضرة) التحلق والاهتزاز بحركة متزنة مع شيء من السماع للتشقق والتنشيط ، وقصدهم بذلك جمع القلوب على طاعة الله ، واستعمال الجوارح في طاعة الله عز وجل ، ودفع الكسل والفتور والنوم وجريان المدد بين المجتمعين من القوم ، وقد جربوا ذلك فوجدوا له خاصة في تنويم القلب وتهييج سلطان الحب والزج بصاحبها في حضرة القدس والانس والقرب . وقد قال سيدي أحمد بن يوسف ... ذكر (الحضرة) أو له لسان ووسطه قلب وآخره روح (15) .

افتراء على الصحابة

ومن أنكر المنكر ان يستدلوا لشرعية هذه (الحضرة) بعمل بعض الصحابة والتابعين ، ذكروا ان بعض أهل التفسير : - الالوسي - نقل ان ابن عمر وعروة ابن الزبير وجماعة من الصحابة خرجوا يوم العيد للمصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم لبعض أما قال الله تعالى : « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » ؟ فقاموا يذكرون الله على أقدامهم (16) .

(14) ص 16 من كتاب الشهاد - الشهادة الثانية .

(15) ص : 16 و 17 من كتاب الشهاد - الشهادة الثانية .

(16) الشهاد ، ص 16 حاشية .

لو صح النقل والخبر ، واستقام عند ارباب الصناعة فليس فيه اذن
باجتماع القوم ، والقيام ، والجهر ، والتطريب والتلحين ولروى عنهم بجماعة
مستفيضة ، لو صح لما دل مطلقا على (الحضرة) التي عرفت عن القوم وصورها
بأمانة قلم الشيخ المفتي ، وحدد لها شروطها وآدابها ، وعين لها الفاظا ليس فيها
ما هو من الذكر الشرعى سوى كلمة « لا إله إلا الله » ووضع لها أسماء الهيلة ،
والاسم الاعظم واسم الهوية وهو اسم المتأوهين والمعنون عنه باسم الصدر واسم
المتولهن ، أما كلمات (هو) و (اه) و (ه) الخ فانها بأصوات الحيوانات
العجمى أشبه منها بأصوات العقلاء .

وأما الاهتزاز والرقص فقد احتجوا له بما زعموه مرويا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم « ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب » . سبق
المهتزون بذكر الله . . . يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا ،
ورائحة الوضع تفوح من هذا الكلام . ومنذ عهد السلف كان من أكبر الوضايع
للحديث جهلة المتصوفة .

وضع حديث عن أبي بكر

كما احتجوا له بما روى ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما تبرع بماله
كله وجاء به لرسول الله صلى الله عليه وسلم - في التهيؤ لغزوة تبوك - سألته
« ماذا أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله » .

فهذا حديث رواه الترمذى وأبو داود من أهل السنن ، ولكن الوضايع
زادوا فيه زيادة وضعوها ولم ترو لا بسند صحيح ولا ضعيف . قال الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي : « اختلق بعضهم زيادة في الحديث ان النبي (ص)
قال له يا أبا بكر ان الله راض عنك فهل أنت راض عنه ؟ فاسفزه السرور
والوجد وقام يرقص أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا كيف لا أَرْضَى
عن الله ؟ ثم ذهبوا يجعلون من هذه الزيادة المختلقة دليلا على مشروعية الرقص
والدوران في حلق الذكر . . . فهو دليل مختلق لم يثبت في حديث صحيح
ولا ضعيف ان أبا بكر قام يفعل ذلك ، وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهو لا يقر أحدا على فعل حرام بحضرته .

ثم قال الدكتور : « بإدخال الرقص - مهما كانت كلفيته في ذكر الله تعالى إقحام لما هو مكروه أو محرم في عبادة مشروعة ... أضف الى ذلك ما يتلبس به حال هؤلاء (الذاكرين) من التفوه بأصوات ليست من الفاظ الذكر في شيء وانما هي حمهمات وهمهمات تصعد من حلقهم ليتكون منها دوى متناسق معين ينسجم مع تواقع المنشدين والمطربين ... كيف يكون هذا العمل عبادة والعبادة - كما نعلم - هي ما شرعه الله تعالى في كتابه أو سنة رسوله لا يزداد عليها ولا ينقص منها ؟ »

ثم نقل الدكتور عن الإمام عز الدين بن عبد السلام قوله :
« واما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشبهة لرعونة الإناث ، لا يفعلها الا راعن أو متصنع كذاب » .

وقال الدكتور : واعلم ان هذا الذي نقوله هو ما أجمع عليه علماء الشريعة في مختلف العصور ، انظر كتابه « فقه السيرة » في كلامه على غزوة تبوك .
صفحات : 408 - 409 - 410 ، طبعة جديدة - دار الفكر - بيروت .

النسبة الصحيحة للذكر الصدر

ولعل النسبة الصحيحة للذكر الذي عنون له المفتي باسم المتأوهين - وقال عنه أنه (اهـ) وأنهم فيه « يذكرون الله بصدورهم دون ألسنتهم ويكرون مثل السباع » (17) وأنه عندهم « ذكر أهل الحقيقة ... وذكر أهل الفراسة الصحيحة ... فاذا ذكر ولا تنكر ومن أنكر فقد أنكر الحق وأهله (18) لعل النسبة الصحيحة لهذا النوع من الذكر أنه يهودي المصدر ، وليس بإسلامي ، ولا يرتفع الى الصحابة الأبرار الأخيار ، ولكن يرتفع الى التوراة التي شهد الله أنهم حرقوا وبدلوا وغيروا فيها ، وحتى على فرض النص فيها فانه منسوخ ما لم يجدده شرعنا .

وجزى الله الغفلة أو (الذكاء الخارق) لصاحب كتاب الشهاد الذي نقل النسب الحقيقي لهذا النوع من الذكر اذ قال - وهو يتحدث على المخترعين لهذا

(17) الشهاد ، ص 17 .

(18) الشهاد ، ص 18 .

النوع ويزعم أنهم ألهموا اليه الها ما ثم اقرهم على الهامهم النبي صلى الله عليه وسلم والخضر - قال ما نصه: «قال الاستاذ ومما يشعرنا بصدق الهامهم ويزيدنا استغراباً في توفيقهم لما هنالك هو موافقتهم بتكرير صدورهم اسما من اسماء الله تعالى صرحت به التوراة في سفر الخروج 19 ثم ينقل أن موسى سأل ربه عن اسمه وهو يناجيه فقال « ابيه » ، وأنه أمره أن يبلغه الى بنى اسرائيل ، وأنه اسمه الى آخر الدهر ، وبه ذكره الى آخر الاجيال ، ونقل عن مختصر القاموس أن « يهوه » من اسماء الله بالعبرية ، (20) .

فالواضح أن القضية ليس فيها الهام وتوفق ، وإنما فيها تسرب أو نقل وتسريب والمحققون من علماء السنة وغيرهم أن أغلب طقوس القوم جاءت من مذهب الباطنية ، وقد حقق ذلك شيخ المؤرخين عبد الرحمن بن خلدون .

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها :

جواب الشيخ المفتي عن الكيفية السابقة في (الحضرة) والذكر بها وأنه لا شبهة عنده فيها كلام بعيد عن التحقيق ، بل يأباه الشرع كل الإباء ، وقد أجاب عنه جواب أحد اتباع الطريقة الصوفية المنهمكين في بدعها ، وليس جواب عالم في عنقه امانة علمية عليه ان يؤديها ، لان ذكر الله سبحانه - وهو مما أمر الله به المؤمنين في قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً » وقوله في مدح أقوام منهم الذاكرون : « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات » لا يكون الا بما يوافق الكتاب والسنة . وكل خروج (عن الذكر الشرعى الى ذكر معارف يخالف الكتاب والسنة والاجماع . . . الذكر الذى لا يوافق قوله تعالى : « فاعلم أنه لا إله إلا الله » ، وقوله تعالى : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » ولا قوله صلى الله عليه وسلم (أفضل ما قلته أنا والنبئون من قبلي لا إله إلا الله) وغير ذلك عن الآيات والأحاديث الصحيحة - حرام بإجماع الأئمة ومردود على فاعله (21) بنص الحديث المتفق عليه (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي رواية لمسلم (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .

(19) صفحة 18 .

(20) انظر صفحة 18 (حاشية) .

(21) الابداع في مضار الابتداع ، 183 .

ومما لا شك فيه أن تحريف أسماء الله تعالى من أقبح البدع المحرمة ، فالإنسان العادى المحترم لا يحرف اسمه ، ولا يرضى به ، ولا يرضى له به إن وقع ، وأسماء الله سبحانه توقيفية مروية عن رسول الله وجاء بها كتاب الله ، ووصفها بالحسنى وأمر أن يدعى بها : « **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه** » فالوعيد الشديد لمن ألحد فى أسمائه تعالى بإجماع فى جميع الاوقات، فهم يذكرون الله ويعبدونه بالسيئات فيصيرون من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (22) .

الرقص عند الذكر فعل اليهود :

لا سند لهم فى الرقص عند الذكر من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من فعل السلف الصالح فى خير القرون ، وقد حقق العلماء سند فعل الراقصين عند الذكر . قال ابن الحاج فى المدخل .

(وأما الرقص والتواجد فاوّل من أحدثه أصحاب السامري ، لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون ، فهو دين الكفار وعباد العجل (23) . ونقل القرطبي عن الامام الطرسوسي انه سئل عن قوم فى مكان يقرأون شيئا من القرآن ثم ينشد لهم منشدا شيئا من الشعر فيرقصون ويضربون بالدف والشبابة ، هل الحضور معهم حلال أم لا ؟ فأجاب : (مذهب السادة الصوفية ان هذا بطالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما الرقص والتواجد فاوّل من أحدثه أصحاب السامري وإنما كان مجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعهم عن الحضور فى المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا أن يعينهم على باطلهم ، هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وأبى حنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين (24) .

(22) الابداع ، 187 .

(23) الابداع ، 190 .

(24) الابداع ، 190 .

وقد يزين الشيطان لهم أعمالهم فيتوهمون انهم بالرقص والاهتزاز والغناء والسماع قد فتحت لهم الأبواب (حضرة القدس) ووصلوا ونالوا الكرامة والرضى . ويعجبني ما أجاب به إمام العارفين أبو علي الروذبادي لما سئل عمن يسمع الملامي ويقول هي لي حلال لانني قد وصلت الى درجة لا يؤثر في اختلاف الاحوال، فقال رضي الله عنه : « نعم قد وصل ، ولكن إلى سقر » (25) .

الفصل الثاني :

القول بالحلول ووحدة الوجود :

من أشد ما انكر على العلويين وشيخهم ، ووقع من أجله الصدام بينهم وبين خصومهم وسالت فيه أودية من المداد في الصحف والكتب والمجلات - القول بالحلول ، ووحدة الوجود ، وهذا القول ليس من مخترعاتهم ، وابتكاراتهم ، ولكنهم مسؤولون عن الاخذ به وترويجه وفتنة دعوة الناس اليه ، فهو مذهب أخذت به جماعة من (المتصوفة) المتأخرين كما صرح به ابن خلدون في مقدمته عندما تكلم على التصوف ، ولم يسلم لهم بل رده عليهم الفقهاء وأهل الفتيا وتعرضوا لنقمتهم وتكفيرهم .

وفحوى هذا المذهب : (أن المولى جل وعلا متحد بمخلوقاته) .

قال ابن خلدون : (وهذا الاتحاد - هو الحلول الذي تدعيه النصارى في المسيح عليه السلام ، وهو أغرب لانه حلول قديم في محدث - أو اتحاد به ، وهو أيضا عين ما تقوله الامامية من الشيعة في الائمة (26) ويكفيه شناعة ان يكون مذهباً للنصارى الذين كفرهم القرآن بهذا القول ، وهو مذهب للشيعة الامامية الاسماعلية وكيدهم للاسلام معلوم .

ثم بين ابن خلدون أن الاتحاد في كلامهم على طريقتين : الاولى ان ذات القديم كائنة في المحدثات محسوسها ومعقولها ، متحدة بها من المتصورين ، وهي كلها مظاهر له ، وهو القائم عليها ، أى المقدم لوجودها ، بمعنى لولاه لكانت عدما (27) .

(25) الابداع ، 191 .

(26) مقدمة ابن خلدون فصل التصوف ، ص 870 .

(27) انظر الفصل المذكور في المقدمة .

أما الطريقة الثانية فهي القول بوحدة الوجود، ونفى الغيرية بين القديم وبين المخلوقات في الذات والوجود والصفات وقالوا : « لا وجود - بالحقيقة الا للقديم لا في الظاهر ولا في الباطن » (28) ، وبعد بسط ومحاولة شرح لهذا المذهب قال : « وربما قصد بعض المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فاتى بالاغمض فالإغمض بالنسبة الى أهل النظم والاصطلاحات والعلوم (29) » .

الررافضية :

ثم حقق ابن خلدون ان متأخري الصوفية قد خالطوا الررافضية واخذوا عنهم مذهبهم وأقوالهم . ثم ان هؤلاء المتأخرين من الصوفية والمتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى الحلول والوحدة كما أشرنا وملأوا الصحف منه مثل الهروي وغيره وتبعهم ابن عربي (يعني محيى الدين بن عربي الحاتمي المتصوف وهو غير أبى بكر بن العربي امام أهل السنة وصاحب كتاب أحكام القرآن وغيره) - وابن سبعين تلميذهما ثم ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلى (تأمل الاسرائيلى !) فى قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للاسماعلية المتأخرين من الررافضة الدائنين بالحلول والهيئة الائمة مذهباً لم يعرف لأولهم (30) . يعنى المتقدمين من أهل التصوف المصرحين بالتزام كتاب الله وسنة رسول الله فى عقائدهم وعاداتهم .

وقد استند المصلحون فى الزام العلويين وشيخهم وبعض المتصوفة المعاصرين بمذهب الحلول على أقوال رويت عنهم ، ونسبت اليهم ، وروجت باسمائهم طبعاً ونشراً فلم ينكروها ، ولم يتبرأوا منها ، واذا وود فيها ما ينكر ويخالف كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبهوا اليه فقصاراهم - ان قامت عليهم الحجة - قولهم : بانه شطحة من الشحطات التى تقال فى الغيبوبة عن الوجود .

(28) انظر صفحة 871 .

(29) المقدمة ، صفحة 872 .

(30) المقدمة بحث التصوف .

انكار الفقهاء وأهل الفتيا :

وذكر ابن خلدون أن كثيرا من الفقهاء وأهل الفتيا انتدبوا للرد على هؤلاء المتأخرين في هذه المقالات وأمثالها ، وشملوا بالنكير سائر ما وقع لهم في الطريقة وذلك أربعة مواقف .

1 - الكلام على المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجهد ومحاسبة النفس على الاعمال لتحصل تلك الاذواق التي تصير مقاما ويتدق من غير .

2 - الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب . . .

3 - التصرفات في العوالم والاكوان بأنواع الكرامات .

4 - الفاظ موهمة الظاهر صدرت من كثير من أئمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات فتتشكل ظواهرها ، فمنكر ، ومحسن ، ومتأول (31) وقد فصل الكلام في ذلك بعض التفصيل فليراجع ، ولكن يهنا أكثر القسم الأخير وهو :

الشطحات متى يؤاخذ عليها ومتى لا ؟

أطلقوا لفظ الشطحات - في اصطلاحهم - على الألفاظ الموهمة المشكلة الظاهر ولو أخذ بظاهرها لكانت قاطعة برودة قائلها والحكم عليه ، فما حكمها اذا صدرت من احدهم ؟ فرقوا بين ان تصدر منه وهو في حالة اليقظة وكمال الوعي وبين ما اذا كان في حال الجذب وغيبة عن الحس ، وفي هذا فرقوا بين من اشتهر بالفضل وأتى بمخرج وبين من لم يشتهر بذلك أو لم يأت بمخرج ، قال ابن خلدون :

... الانصاف - في شأن القوم - انهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عندها بما لا يقصدونه ، وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور فمن علم منهم فضله واقتداؤه حمل على القصد الجميل من هذا وأمثاله ... ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك اذ لم يتبين لنا ما يحمله على تأويل كلامه .

(31) المقدمة ، صفحة 880 .

واما من تكلم بمثلها وهو حاضر فى حسه لم يملكه الحال فمؤاخذ أيضا ،
ولهذا افتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج لانه تكلم فى حضور وهو
مالك لحاله (32) .

الفصل الثالث :

ابن باديس يهاجم (شطحة) خطيرة

أخذ العليويون بمذهب متأخرى الصوفية ولم يكتفوا برواية (شطحات)
من سبقهم ، ولكن شيخهم نشر ديوانا شحنه بالالفاظ الموهمة التى لا يمكن
سكوت الفقهاء ولا أهل الفتوى عليها ، وهذا ما فعله الشيخ عبد الحميد
ابن باديس فى رسالته (جواب سؤال عن سوء مقال) وقد انتقى من ذلك
(شطحة) تناولت مقام النبى صلى الله عليه وسلم ، وقدم اليه سؤال بشأنها
فتردد أولا فى الجواب عنه ثم عزم وصمم فرد - بالحجة والبرهان - ورفض
ان يقدم مسلم صحيح الايمان على ما أقدم عليه صاحب الشطحة ونصحه
واتباعه بالتزام كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك
عام 1340 هـ (1922 م) ، وقد نشرت هذه الرسالة فى مكان آخر من هذا
المؤلف .

ولما انشأ المنتقد ثم الشهاب عام 1343 هـ (1925 م) توالت هجماته وهجمات
الكتاب المصلحين على تصرفات هؤلاء المتأخرين من الصوفية المعاصرين وعلى
عبادتهم الله بالرقص وعلى النطق بمثل هذه الشطحات وترويجها فى الكتب
وتضليل المتمذهبين المسلمين بمذهب الحلول ووحدۃ الوجود ، وعلى مواقفهم
السياسية واتصالهم بالمستعمرين ، وتارة برجال المسيحية أو بالمبتدعين مثل
القديانيين .

(الشهاب) يهاجم الرقصات والشطحات :

كان الشهاب - بعد المنتقد - لسان حال الفقهاء وأهل الفتيا فى عصره ومصره
فلم يكن ليقر ذكر الله بالحضرة ، أو بالرقص والسماع والشطحات التى

(32) المقدمة : فى الكلام على التصوف . والحلاج هو الحسين بن منصور امام
القول بالحلول ، وقد حوكم وشهد عليه أقرب الناس اليه وحكم باعدامه وكان
فيمن ادانه صوفية حضروا محاكمته وحكموا عليه .

تصدر في الغيبوبة - كما يزعم - ثم تنشر وتطبع وتروج ، وكان يكتب في الشهاب فطاحل العلماء والكتاب المفكرين وخصوصا من أهل الجزائر والمغرب الأقصى، ولم تكن لأهل المغرب - آنذاك - صحيفة حرة يتنفسون فيها فاتخذوا من الشهاب متنفسا لهم ، وكان بالمغرب من هؤلاء الصوفية المتأخرين ، ومن أهل الحضرة أو (العماره) الذاكرين الله بالرقصات والشطحات مثل (ما) بالجزائر أو أكثر وأخطر ، والطريقة الدرقاوية منتشرة فيه ، وشرعت العليوية تنتشر به . ومن أشد الهجمات على هؤلاء الذاكرين (الغنائين) ما نشر في الشهاب العدد 76 بامضاء (مسلم غيور) من فاس ، ولا شك أنه أحد علماء القرويين الفحول نشير إليه فيما يأتي ، فلما وقع الاعتداء على ابن باديس ترك أثره كبيرا في المغرب الأقصى .

ومن الملاحظ أن خبر الاعتداء الواقع على شخصية الشيخ عبد الحميد ابن باديس وإرادة الفتك به ليلة 9 جمادى الآخرة 1343 هـ الموافق 14 ديسمبر 1926 م نشر بنفس هذا العدد الصادر في 18 جمادى الآخرة الموافق 23 ديسمبر 1926 .

القوم في الحضرة :

وقد جاء في المقال - وما تبعه ، ذكر حركاتهم وأقوالهم في شطحاتهم مما يثبت عليهم الحلول ووحدة الوجود والتصرف في الكون مما لو أخذ على ظاهره لكانوا مرتدين لا يعفيهم من الارتداد أحد علماء المسلمين .
قال :

« لعلك تتساءل أيها القارئ الكريم - ما قصدهم بهذه الشطحات ؟ وما معنى تسميتها بالحضرة ربما كان قصدهم الأولى من ابتداعها ترويح النفس من عناء العبادة وطول المراقبة والمشاهدة ومشقة الجهاد الأكبر جهاد النفس ، ولو وقفوا عند هذا الحد لخف الأمر وهان وقلنا كما قال الغزالي (الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول الا بالتعب) لعل القوم اجتهدوا فإخطأوا - وسبحان من لا يجوز عليه الخطأ وهذه معصية كبرى أتوها بجهالة » وكان أمرُ الله قدرًا مقدرًا ، عسى الله أن يرحمهم وإن تابوا يتب الله عليهم » .

« ولكن هيهات هيهات ! أنى لك بالتماس الاعذار لهؤلاء . . . القوم يرفعون
عقيرتهم حتى تشق عنان السماء ، صباح مساء . ان لهم فى تلك السويعات
أوقاتا مع الله عندهم فيها المراقبة والمشاهدة والخلوة والجلوة ، فيها يفتح
الله لهم البصائر والابصار ، وتخرق لهم الحجب والاستار ، تكشف لهم
المعارف والاسرار ، ويخلعون العذار ، عن عالم الفناء والاغيار ، الى عالم الشهود
والوجود المطلق !

هنالك تتجلى لهم الحقائق ، وتتجلى لهم الدقائق الخفية والرقائق ، وتدار
عليهم الكؤوس ، ابهى من الشموس ، وتسفر لهم ليلى عن وجهها اللثام ،
وتحط عن محاسن محياها الخمار ، وقد انقطع الغير ، وزال البين وامتزجت
الذات فى الذات ، والصفات بالصفات ، فلم يبق عابد ومعبود ومحب ومحبوب
وقال قائلهم :

عجبا كيف ينافينى البقا وارى فــــــانى
وجودى كل شىء سبقا ليس لى ثانى
وقال :

والذى أهـواه حقا لم يزل ذاتى وعينى
فانظرونى تبصروه انه والله انى
ليس من يهوى سواه فى طريق الحب محبة
وقال :

فما ثم من شىء سوى الله فى الورى فما ثم مسموع وما ثم سامع
وما الخلق فى التمثال الا كثلجة وانت لها الماء الذى هو تابع
ذلك مقام السكر والفناء ، رقصوا فيه وشطحوا ، وصاحوا وصرخوا :

سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا جبال حنين ما سقونى لغنت
تغنوا فيه بليلى وسلمى ، وعزة ونعمى ، وحلالهم المدام ، وطاب لهم الحال
والمقام واتحدث الانية بالهوية ، ورفعت عنهم سبة التكليف الشرعية :

كذلك أرواح المحبين يا فتى تهزرها الاشواق للعالم الاسنى
فلا تلم السكران فى حال سكره فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا

ومما زاد فى طين افكهم بلة وفى طنبور عويلهم نغمة انهم الحقوها - يعنى الحضرة - بالعبادات ، ففرضوا لها أركاناً وواجبات وسنناً ومستحبات ، وشروطاً لم ياذن الله بها ، بل ارتقوا عن ذلك درجات ، ففضلوها على كثير من العبادات ، ففى كلام بعض شيوخهم (**عمارة واحدة أفضل من عبادة خمسة وثلاثين سنة**) وفى رواية لغيره « تعدل عبادة سبعين سنة » وانهم يجدون قلبهم فيها مع الله أكثر مما يجدونه فى الصلاة والصيام ، اذ هذه انما شرعت للعوام ! عياذبك - اللهم - من هذا الكلام ، فانه مخالف لشريعة الاسلام ، وتنقيص للرسول الكرام ، وتثبيط للناس عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهم بعمارتهم هذه « كالذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وارضاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم معهم أبداً » ولا تغترر بزخرف قولهم وبهرجة عملهم فان وراء الكمة ما وراءها . اهـ

هذا نص بعض ما جاء فى مقال المسلم الغيور ، وظاهر كل (شطحة) مما جاء فيه من الشعر يردى صاحبها :

الاولى يزعم فيها هذا (المجذوب) انه هو نفس الاله لا ينافيه - كمحلق - البقاء ، وهو كاله سبق وجوده كل شئ وليس له ثان .

الثانية هى نفس قول الحلاج الذى حكم الفقهاء بقتله :

أنا من أموى ومن أموى أنا فكلانا قد سكننا بدننا
فاذا أبصرتنى ابصرته واذا ابصرتنه ابصرتنا

وفى أبيات أخرى يقول :

فلا علم الا من بحار وردتها ولا ثقل الا من صحيح روايتى
وشاهدت ما فوق السموات كلها كذا العرش والكرسي فى طي قبضتى
وامرى أمر الله ان قلت كن يكن وكل بأمر الله فاحكم بقدرتى !
الله سبحانه وحده من قبضته الكون كله كما قال : « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » ونحن نقول : (سبحانهك اللهم ربنا وتعاليت عما يقول

شيخ الطريقة هذا) فقد جعل نفسه ذاتك وادعى ما هو لك وحدك وزعم انه يقول للشيء (كن فيكون) .

وما علمنا ان صنما مما عبد من دون الله أسند لنفسه أو اسند له من يعبد من دون الله مثل ما قال عن نفسه هذا (الصنم) السخيف وحتى الذي قال : (أنا ربكم الاعلى) لم يسند الى نفسه مثل هذا .

وقد نقل أيضا عن (فتوح الغيب) قريبا من هذا مثل قوله :

ويسمع تسبيح الصوامت مسمعى	وانى لاسرار الصدور اطالع
وأعلم ما قد كان فى زمن مضى	وحالا ، وآرى ما أفاد مضارع
ولو خطرت فى أسود الليل نملة	على صخرة صماء انى أطالع
أعد الثرى رملا مثاقيل ذرة	واحصى عديد القطر وهى هوامع
وكل هدى فى العالمين فانه	هداى ومالى فى الوجود منازع
وبيتى سقف العرش حاشاى ليس لى	مكان ومن فيضى خلقن المواضع
وكل معاش الخلق تجريه راحتى	لراحتهم جوردا ولست أصانع

قول مثل هذا ان صدر من مخلوق فأهون ما يلحقه أن يوضع فى مرستان ، ولكنه اعتقاد فاسد لأصحاب وحدة الوجود والحلول انهم (آلهة) يتصرفون فى الكون ! واذا سئلوا عنها قالوا : (هي شطحات) !

الفصل الرابع :

هل للشيخ ابن عليوة شطحات ؟

اعترف الشيخ أحمد بن عليوة واتباعه أنه له شطحات وانه تعتريه الحال التى تصدر عنها مثل هذه الاقوال السابق ذكرها .

جاء هذا الاعتراف مسجلا فى السؤال المقدم الى ابن باديس عن قوله السىء فى مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم ، واعتذاره (بعجمة السنة المحبين) .

وقد فند ابن باديس هذا العذر بأدلة شرعية مقنعة فى الفصل الثالث من رده .

كما سجل السيد اسماعيل مامي - في دفاعه عن ابن عليوة - اعتراف الشيخ واتباعه بهذه الشطحة ، ونقله عن الشيخ مباشرة من مشافهة له ، ونشره في جريدة النجاح وعنها نقله (كتاب الشهاد) في صفحة 56 .

يقول اسماعيل مامي - حسب نقل الكتاب المذكور - :

وبعد ما سكت الشيخ سألته عن الابيات التي بالديوان وهي :

ان مت بالشوق منكـ ما عذر ينجيك ؟ الخ

فقال : - يعنى الشيخ العليوى - : لكل شىء سبب ، وسبب تلك الابيات أنى كنت ذات يوم فى اشتياق عظيم للنبي صلى الله عليه وسلم ، وفى حال غير ما تشاهد منى الآن ، فأخذتنى سنة من النوم فرأيت كانى أخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الابيات ، وهو فى تدلل وترفع عنى وانا فى احتقار وتلذل له فلما انتهت رسمتها فى « كنشى » ثم حكيت القصة لرفيق كان مرافقا لى ، فقال : لا بأس باثباتها فى الديوان والنص عليه . الخ

فهذا اعتراف صريح ، وان كان فيه خلط بين رؤية المنام التى يتفق الجميع على سقوط الملام عنه لو أساء فيه القول ، وبين حالة الجذب والغيوبة عن الحس التى تصدر فيها الشطحات كما عرفها اربابها .

وفى هذه الرواية اعتراف بشناعة أخرى هى ادهى وامر ، لم ترد فى الديوان فى جملة الابيات ، وهى قوله لصاحب (النجاح) عن النبي صلى الله عليه وسلم « وهو فى تدلل وترفع عنى ، وانا فى احتقار وتذلل له » فهذا اخطر من كل ما جاء فى الابيات المنتقدة من ابن باديس ، فما كان يليق ان ينسب مثل هذه الاوصاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى أدبه ربه فاحسن تأديبه ، فقال : « **وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ آلَ مُحَمَّدٍ وَتُحِبُّونَ مَا فِي بَيْتِهِ** » . ثم شهد له بقوله : « **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** » . وقوله : « **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** » فكيف يوصف بالتدلل والترفع أو بقبول من تقدم اليه « فى احتقار وتذلل » .

وفى القصيدة الموجودة فى الديوان اليوم ما يقارب ما روى عنه مشافهة

فى سوء الادب اذ يقول :

حتى رأيتك يا سيد أحمد ، الله يجازيك .

غير أنك باقى شارد خائف لا نوذيك !

فهل يصح ان يقال فى رسول الله صلى الله عليه وسلم « شارد » ؟ وهو النافر الفزع من مطاردة ، والشريد الطريد ، هل يصح ان يقال فيه « خائف » وهو الذى لا يخاف الا من الله ، فهو الآمن المطمئن بالله ، ولما رأى صاحبه فى الغار حزينا - لوصول المشركين الى باب الغار - قال له وهو فى تلك الحال : « لا تعزن ان الله معنا » .

رواية لسان الدين :

وقد نقل صاحب كتاب (الشهاد والفتاوى) عنها وهى صحيفة العليوين الرسمية رواية مؤيدة لرواية اسماعيل مامى فقال : « يشبه هذا ما ذكرته جريدة لسان الدين بعددها الثالث قالت :

« ان هذه المسألة جرت - فى النوم - مع النبى صلى الله عليه وسلم فقام على اثر رؤياه فى الليلة نفسها فسبك المحاورة لعموم ألفاظها حسبما صدرت فى النوم ، وقصته مشهورة بين خواص أتباعه وعليه فهل يكون صدور شبه هذا الذى بغير اختيار - وفى النوم أيضا - معدودا من قبيل الاساءة ؟ اللهم الا اذا كان من قبيل نشره أو عدم التنبيه عليه . وبالجمل ان العمد فى هاته النازلة لا يتصور بحال ، والحكم لا يتوجه الا مع القصد ، (كتاب الشهاد 56 - 57) .

فهاتان الروايتان تثبت كلتاهما - اعتراف الشيخ - اتباعه بوقوع هذا الخطاب منه ، والاعتذار عنه بالنوم يفنده تسجيله له بنفسه بعد يقظته ثم طبعه ونشره وتوزيعه ، ويخرج المسألة من حال الغياب عن الحس الى حال اليقظة والعمد . ورواية لسان الدين صريحة فى ذلك إذ تقول : « فقام على اثر رؤياه فى الليلة نفسها فسبك المحاورة بعموم ألفاظها حسبما وقعت فى النوم » . فهل صدر منه هذا السبك وهو حاضر الحس أم كان عنه غائبا ؟

رواية ثالثة للشيخ الوارزقى

ويؤيد الروايتين السابقتين - ان كانتا فى حاجة للتدعيم - بما نقله الشيخ حسن الوارزقى - وهو صحفى مستقل بقسنطينة لم يكن على وفاق

مع حزب الاصلاح ولا مع كتابهم ، بل كان - فى السياسة مناوئا لهم - عن الشيخ ابن عليوة نفسه بعد مشافهته ، ونشره فى الشهاب الصادر فى 5 رجب 1346 هـ (29 ديسمبر 1927 م) قال :

« يقول شيخ العليويين مجيبا منتقديه من العلماء والمفكرين ان لكلامى المطبوع المنسوب الى فى الديوان ، وخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك العبارات الكبيرة : عبس الخ .

وكذلك قولى عن نفسى : أنا لست انسان (كذا) ولا جان . . . كلام قلته وأنا فى عالم آخر غير هذه الحال ، واذ ذاك كنت غائبا لا أفرق بين الابيض والاسود ، ولو وصل هؤلاء المنتقدون الى مثل ذلك لفأهوا بأكثر مما فهت به ، وهم معذرون ولكنهم لا يشعرون .

هذا كلام مقتطف من مقال طويل نشرته جريدة الشهاب وقدمت له بمقدمة جاء فيها :

(مثل هذا الشيخ من الرجال الذين يتقدمون لشؤون العموم يجب ان تعرفهم الامة ويجب على الكاتبين عنهم ان يتحروا تمام الصدق والنزاهة ويجب ان يتلقوا الآراء المختلفة فيهم بالصدر الواسع والخلق الرحيب هذا ما تصدر به هاته المقالة وللشيخ العليوى وشخصيته ورأيه منا غاية الاحترام) . اهـ
وقد رضى العليويون عن المقال وحمدوا جريدة الشهاب وشكرت صحيفتهم (البلاغ الجزائرى) قول الشهاب :

« وللشيخ العليوى فى شخصيته ورأيه منا غاية الاحترام » ، فاجاب الشهاب بأن : (من لا يحترم الرجال ليس برجل ولكن لا يفهم من احترام الشخص تسليم رايه ولا احترام الرأى عدم المناقشة فيه بل من اعتبار الشخص ان تعرض آراؤه للبحث والتمحيص ومن اعتبار الرأى ان يعرض على محك الادلة والبراهين) .

ثم قال : « وقد كنا نشرنا . . . ما هو محل رضا وقبول وما هو محل مناقشة ولعلنا نعود للبحث فى بعضه قياما بواجب التناصح فى الدين » اهـ
فهذه الروايات كلها تدل على اعتراف الشيخ واتباعه بوقوع (شطحات) صدرت منه وفيها ما لا يقبل من الشخص وهو فى حال الصحو فاعتذروا عنها بانها صدرت من فى حال المحو والفناء !

لكننا نقول : ما دام القول قد كتب واطلع القائل عليه بعد كتابته عنه أو كتبه بنفسه ثم طبع ونشر وراج وأقره من قاله فقد انتقلت حاله من (المحو) والغيوبة الى الصحو واليقظة فاصبح مسؤولا عليه فلا يصدق تعريف (الشطحة) عليه كما نقله ابن خلدون ولا يندرج ابن عليوة في درجة من يعفى عن المحاسبة ويتجاوز عنه . ثم من يسلم له - على فرض أنها شطحات - بأنه من ذوى الفضل المعفو عنه عند العلماء ؟ ثم نقول له : هل جاء عن كل شطحة مما صدر عنه بمخرج صحيح وتأويل مقبول ؟ كما جاء ابن عربى الحاتمي لصديقه الذى انتقد عليه قوله فى مخاطبة ربه :

يا من يرانى ولا أراه كم ذا أراه ولا يرانى !

بقوله مرتجلا :

يا من يرانى مجرما ولا أراه خــاذا
كم ذا أراه منعبا ولا يرانى لائــذا

(كتاب الشهاد صفحة 37) .

هيهات ان يجد لكل (شطحة مخرجا) والبرهان فيما يأتى :



الفصل الخامس :

أقوال فظيعة فى جانب الله إصرار عجيب على أقوال فاسدة خطيرة

بعد هذا نقول : لابد ان القارىء الكريم قد تشوف كثيرا لمعرفة بعض هذه الاقوال الفظيعة المنسوبة الى شيخ العليويين أو الى أستاذة وبعض تلاميذه ، ولقد رأينا ان الشيخ ابن باديس متى سمع من احد رواية عن الشيخ يزعم فيها ملازمته السنة، أو استعدادا للتعاون بشكل ما ، شرط وبالحاح ان يتبرأ من هذه الضلالات المنسوبة اليه فى ديوانه الرائج فى الاسواق، وان يسحب من السوق نسخه الموجودة . فما دام لم يعلن توبته منها والرجوع عنها فهو مصر عليها ، ولا توبة للمصر على ذنب هو عاكف على اجتراحه .

وقد كان هذا الديوان صدر من صاحبه عام 1339 هـ 1920 م اذ طبع لأول مرة بتونس بعناية الحسن بن عبد العزيز القادرى ، والحاج حسن بن محمد الطرابلسى ، ثم طبع بدمشق عام 1349 هـ 1931 م بإشراف محمد بن عبد الرحمن التلمسانى ثم طبع - بعد وفاة صاحبه وبإذن من خليفته الشيخ عدة ابن تونس عام 1355 هـ 1937 م وطبعة رابعة صدرت منه تحت عنوان : (روضة المحبين فى كلام العارفين) (صدرت فى فلسطين المحتلة) .

اما الطبعة الاخيرة - والخامسة - وإن كتب عليها الرابعة - فقد طبعت اثناء السنة الماضية 1982 م بمطبعة القوم فى مدينة مستغانم وبامعان النظر فى هذا الديوان نجد انه ما يزال يتضمن الدواهى مما نسب الى الشيخ بل

زادت الطبعة الاخيرة أن ضمت الى الفيل فيلة ! فقد طبع مع قصائد الشيخ قصائد أخرى منسوبة الى أستاذه محمد بن الحبيب البوزيدى وغيرها الى تلميذه الشيخ عدة بن تونس وكلها تخرج من مشكاة واحدة ، وتتضمن من الضلالات ما تكاد تنوء بحمله الجبال . فهذا أوضح دليل على الاصرار والعناد وهو ما لا يجوز السكوت عنه .

وكننت قد اطلعت منذ بضعة عشر عاما على الطبعة الثانية الصادرة بدمشق ثم اطلعت على الطبعة الاخيرة الصادرة بمستغانم فما لاحظت الا حذف الابيات التى انتقدتها الشيخ عبد الحميد بن باديس فقط ، مع بقاء القصيدة التى وردت فيها .

كما لاحظت ان الديوان وما ألحق به ما يزال مشحونا بالدعاوى الباطنية والدعوة اليها ، وبأقوال الحلول ، ووحدة الوجود وبكل ما يؤذى الله ورسوله ولا يجوز بحال ان يروج فى مجتمع المسلمين أو يسمح بتلقيه للسالكين . ثم تيقنت الاصرار من القوم على الدعاوى العريضة بان علمهم علم أهل الحقيقة وعلم غيرهم علم أهل الشريعة . كان الشريعة ليست حقيقة (1) . وانما الحقيقة - عندهم - هى أوهام تستند فى معظمها على وساوس الشيطان ، ولا شك ان من ذلك قول قائلهم « الحب الالهى الفيصل بين أهل الحقيقة وأهل الشريعة الذين يعبدون الله طمعا فى الثواب وخوفا من العقاب ، اما الصوفى فقد خلص من دنياه واخراه ولم يبق له الا مشاهدة جمال المحبوب والتحلى بالاخلاق الربانية قولا وعملا وحالا » (2) .

ان هذه الدعوى بديهية البطلان ، ولا تروج حتى على الصبيان من أهل القرآن ، فانه يلزم عليها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وعباد الرحمن المنوء بهم فى آيات الفرقان ، والمتهجدين الذين اثنى عليهم الله فى آياته ووعدهم جنة رضوان ، كل هؤلاء - بمقتضى هذه الدعوى الساذجة - ليسوا من أهل الحب الالهى ، لانهم يعبدون الله طمعا فى ثوابه ، وخشية عذابه !

(1) فى تفسير قوله تعالى : « قل جاء الحق » وذكر ابن باديس أنه الاسلام بعقائده وحججه وقوته وعزته ونصره ، وان فى الآية وعدا بالنصر كما أشار الى ذلك النبىء (ص) يوم الفتح باشارته الى الاصنام فكانت تتهاوى .

(2) مقدمة الطبعة الجديدة للديوان ، ص 3 .

فقد جاء في سورة الانبياء عند ذكره سبحانه وتعالى عبده زكرياء ، وندائه
ربه ان يرزقه ولدا ولا يذره فرداء، فاستجاب له ربه ووهب له يحيى وأصلح
له زوجه - جاء قوله تعالى : « **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا
وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** » .

فدعوتهم لله - والدعاء مخ العبادة - كانت لرغبتهم في ثوابه ، وخشيته
عذابه ، وكانوا خاشعين متذللين لله .

وفي عباد الرحمن - الذين جاء ذكر الثناء عليهم في خاتمة سورة الفرقان
- يقول الله في التعريف بهم : « **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا
وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** » . والذين يَسْتَوُونَ لربهم سُجَّدًا وَقِيَامًا
والذين يقولون ربنا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ
مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا » . فهؤلاء يجتهدون في العبادة ، ويبيتون لربهم سجدا وقياما
خاشعين لله . وجلين من عذاب جهنم . فهم المنتهجدون الذين ورد ذكرهم في
الم السجدة في قوله تعالى : « **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا
وَطَمَعًا** وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ** » . وفي الآية الكريمة ان الله قبل أعمالهم ، واثبهم عنها أحسن
ثواب . ان هؤلاء بلا شك ممن عرفوا ربهم ، ووفقوا في التقرب اليه ، وأصابوا
مواطن رضاه فأثنى عليهم ووعدهم قررة أعين .

أفنصدق القرآن وهو كتاب ربنا أم يضللنا قول الشيخ (العارف بالله)
« **تالله نوم العارف يغني عن ذكره** » (3) فهل هذا (العارف) أعرف بربه
من محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الذين قال الله فيهم : « **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ
أَنَّكَ تَقُومُ أَذْنَىٰ مِن ثُلثِي اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ** » .
وقد كان يتهجّد حتى ورمّت من القيام رجلاه ، فلما قيل له ان الله قد غفر لك
ما تقدم من ذنب وما تأخر أجاب عليه الصلاة والسلام : (أفلا أكون عبدا
شكورا ؟) انها ليمن غموس ، ودعوى عن الحق شمس ، ان يكون :
لهم قلوب ترى ما لا يرى غيرها أيقاظ وان ناموا ففي نومهم وصلا !

(3) من القصيدة الاولى في الديوان المطبوع بمستغانم 1982 م ، صفحة 6 .

ما هذه أوصاف من استحقوا ثناء الله من أوليائه الصالحين وانبيائه المرسلين .

ان كثيرا من هذه الاقوال الفظيعة شجن بها هذا الديوان ، وقد طبع - منسوباً الى صاحبه منذ سنة 1920 م - كما علمنا ، وها هو يعاد طبعه للمرة الخامسة عام 1982 م . وقد جمع - فى نفس الديوان - شعر أستاذه محمد بن الحبيب وتلميذه عدة بن تونس وشعرهما لا يقل سوءاً وقبحاً مبنى ومعنى من شعر صاحب الديوان مع إلحاح الشيخ ابن باديس وكتاب الاصلاح على وجوب التوبة منه والتبرى وسحبه من الرواج .

فعلمنا مقدار اصرار القوم على ترويج ضلالهم وبدعتهم وافشاء (الوهيتهم) فى قولنا ، والله سبحانه وتعالى الذى قال فى كتابه : « لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » أصبح عندهم يراه المرء فى كل شىء بمقدار قليل من الجهد ثم ييسر من التأمل والنظر يعلم المرء أنه هو نفسه الله وليس سواه - تعالى الله -

والله سبحانه المنزه عن الشبيه والنظير « ليس كمثله شىء » وهو السميع البصير » أصبح عند هؤلاء القوم هو كل هذا الوجود الفانى ولا يوجد سواه تراه حيثما نظرت وتوجهت ، وهذا ما امتلأ به هذا الديوان .

ولا يمكن ان يعتذر عنه بانه (شطحات) تأتيهم وقت الغيبوبة لانهم يكتبونه بأنفسهم عند (صحوهم) بعد (محوهم) ويطبعونه ويروجونه ، والشطحة تروى عن صاحبها عند غيبوبته فاذا (صح) أولها بمخرج من المخارج الصحيحة ، ولا يقبل منه التأويل - فى هذه الحالة - الا اذا كان معروفاً بالفضل وصحة الدين .

ان ترك هذا الضلال رائجا بين قومنا أهل الايمان من الشيوخ والكهول والشبان دون كشفه وفضحه وتحذير الناس من شره وشر أصحابه لمن واجب كل داعية الى الله بل كل عالم وكل مثقف وأديب يحب قومه ويحرص على حماية عقائدهم وعقولهم من الفساد والضلال ، وهذا ما سنبينه فى الفصول الآتية ان شاء الله بعد تمهيد بذكر استدراج الشيطان ، وعصمة العلماء الربانيين من كيد بفضله حماية الله لهم بعلمهم .

الفصل السادس :

استدراج الشيطان وتعديه للرحمن

أمر الله سبحانه ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام ، فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ، وقال لربه : « أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ » . فقال له ربه لطرده من جنته : « أَخْرِجْ مِنْهَا فَانْكَ رَجِيمٌ ، وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ » وسأله (اللعين) ان ينظره الى يوم يبعثون فانظره الى يوم الدين فقال - عليه اللعنة - « فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ » وهؤلاء عصمهم المولى من كيده وترك له الغاوين ، فقال جل من قائل : « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ » .

وانتصب إبليس يفسد فى الارض وينشر الشر ويحاول إغواء الناس لكنه لا يستطيع ان يتمكن من عباد الله المخلصين .

وقد اتخذ طرقا مختلفة فى الإغواء وكل قوم يأتهم حسب طريقتهم ، ولما رأى قوما تزاهدوا فى الدنيا وانصرفوا نحو طلب الآخرة اتاهم من هذه الناحية فزين لهم ان يعبدوا الله بالبدعة ويقترحوا أشياء من عندهم ، فاذا التزموا السنة وأعرضوا عن البدعة فقد هدوا الى صراط مستقيم ، واذا عرفوا الشريعة وعلموها فوقفوا عند حدودها ، فقد عسر عليه اغراؤهم ، فاما اذا جهلوا قواعد الشريعة واغترروا بـ : (حسن) نيتهم ، وعلمهم (اللدنى) وكثرة عبادتهم فقد يتمكن منهم ، ويضلهم ويصبحوا رعية طيعة له . ومما زين لهم وضع الحديث عن رسول الله ، وضع الحديث ولو فى الترغيب فى القرآن حرام يوجب اللواضع ولوج النار ، ومع ذلك أقدم عليه بعض المتصوفة .

ان ما يفهم من صريح قول الشيخ ابن عليوة انه كانت تعتريه بعض الاحوال يخرج فيها عن طوره المعتاد فيأتى بما ينكر عليه ، وهو يقول للشيخ الوارزقى : (ان لكلامى المنسوب اليّ فى الديوان ، وخطاب رسول الله بتلك العبارات الكبيرة عبس الخ . وكذلك قولى عن نفسى أنا لست انسان (كذا) . . . ولا جان ، كلام قلته وأنا فى عالم آخر غير هذه الحال ، واذ ذاك كنت غائبا لا أفرق بين الابيض والاسود ، ولو وصل هؤلاء المنتقدون الى مثل ذلك لفاهوا بأكثر ما فهمت به . . .)

وانه لمصدق فى مثل هذه الاحوال ، ولكن كان عليه ان يبحث - لو كان عالما - أهى أحوال ربانية أم هى أحوال شيطانية ؟ وكان يزن ما يوحى اليه - فيها - بميزان الشريعة الذى لا يخبس شعيرة فلا يقع تحت تلبيس ابليس ، ولا يروج ما يوسوس به اليه .



لا سلطان لإبليس على الصالحين

من كان بيده ميزان الشريعة اخزى الشيطان وطرده من حضرته شر طردة ولو جاء بحالة فيها خرق عادة وزعم له انها كرامة .

قال أبو اسحاق الشاطبي في الموافقات : (مخالفة الخوارق للشريعة دليل على بطلانها في نفسها ، ذلك انها قد تكون في ظواهرها كالكرامات وليست كذلك ، بل أعمالا من أعمال الشيطان كما حكى عياض عن الفقيه أبي ميسرة المالكي انه كان ليلة بمحرابه يصلي ويدعو ويتضرع وقد وجد رقة فاذا المحراب قد انشق وخرج منه نور عظيم ثم بدا له وجه كالقمر وقال له :

(تملأ من وجهي ابا ميسرة فانا ربك الاعلى) فبصق في وجهه وقال له : اذهب يا لعين عليك لعنة الله ! ، وكانت نجاة هذا العالم الرباني من عبث الشيطان انه جاءه في صورة مكيفة مقدرة تقول له : (أنا ربك ، فيسمع ندائه ويحس فيه بالصوت والحرف ويقول أنا ربك) .

كل هذا باطل في حق الله تعالى ، منزّه عنه ، كما هو في بديهيات علم الكلام (التوحيد) وفي القرآن الكريم « ليس كمثله شيء » وفي قوله : « لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » وقوله لموسى كليمه : « لن تراني » فكانت معرفة هذا العالم الرباني عاصمة له من مكائد الشيطان ، فبصق فيه ولعنه فلم يضره بشيء لانه لا سلطان له عليه .

ومثل ابي ميسرة رضى الله عنه ما يحكى عن الشيخ عبد القادر الكيلاني رضى الله عنه انه « عطش عطشا شديدا ، فاذا سحابة قد اقبلت وامطرت عليه شبه الرذاذ حتى شرب ثم نودي من سحابة يا فلان أنا ربك وقد أحللت لك المحرمات ، فقال : (اذهب يا لعين) فاضمحللت السحابة ، وقيل له بم عرفت انه إبليس ؟ قال بقوله : (احللت لك المحرمات) (4) .

(4) الحكايات عن أبي ميسرة والشيخ عبد القادر مرويّتان في الموافقات ج 2 ، ص : 75 - 76 .

فهذا العالم الجليل عصمه علمه ، ان أحكام الشريعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام لا تنسخ بعده ولا يبطل حكم من أحكامها لانقطاع الوحي وانما حرم ربنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن فكيف تحل المحرمات وهى فواحش ؟

قال الشاطبي: (كل خارقة حدثت أو تحدث الى يوم القيامة فلا يصح ردها ولا قبولها الا بعد عرضها على أحكام الشريعة فان ساغت هناك فهى صحيحة مقبولة فى موضعها والا لم تقبل الا الخوارق الصادرة على أيدي الانبياء عليهم السلام فانه لا نظر فيها لاحد لانها واقعة على الصحة قطعا فلا يمكن فيها غير ذلك . . .)

ثم بين كيفية عرضها فقال : (وبيان عرضها ان تفرض الخارقة واردة من مجرى العادات فان ساغ العمل بها عادة وكسبها ساغت فى نفسها والا فلا ، كالرجل يكشف بامرأة أو عورة بحيث اطلع منها على ما لا يجوز ان يطلع عليه وان لم يكن مقصودا له ، أو رأى انه يدخل على فلان بيته وهو يجامع زوجته . . . أو يكشف بمولود فى بطن امرأة أجنبية يقع بصره على بشرتها أو شيء من اعضائها التي لا يسوغ له النظر اليها فى الحس أو سمع نداء يحس فيه بالصوت والحرف وهو يقول (أنا ربك) ، أو يرى صورة مكيفة مقدرة تقول له (أنا ربك) ، أو يرى أو يسمع من يقول له (قد احللت لك المحرمات وما اشبه ذلك من الامور التي لا يقبلها الحكم الشرعى على كل حال ويقاس على هذا ما سواه) (5) .

ولو التزم هؤلاء الفرسان فى ميدان الضلال هذه القاعدة الجليلة وعرفوها بعلمهم لعصموا أنفسهم من كيد الشيطان، ولعلموا انه لعب بهم اذ قال لهم : (أنا الله) و (انت الله لست سواه) فما هى إلا صور شيطانية كما أدركها أبو ميسرة رضى الله عنه فبصق عليه ولعنه، أما التصديق به والقسم عليه والتعلى فى محاسنه - كما دعا ابا ميسرة - فانه اغراق فى الضلال - عصمنا الله من كيده ، ونجانا من شره ، فانه سبحانه يدافع عن الذين آمنوا .

الفصل السابع :

الفرسان الثلاثة وسلسلتهم ... المتصلة

أعنى بالفرسان الثلاثة (الاستاذ الاكبر) محمد الحبيب البوزيديد ،
والشيخ عدة بن تونس وواسطة العقد بينهما الشيخ أحمد بن مصطفى
ابن عليوة فهؤلاء هم الذين اشتركوا في انتاج (الديوان وامتلا كلامهم فيه
بالباطل والبهتان ، ومن أقوال الباطنية وأهل الحلول ووحدة الوجود ثم طرح
في الملا من شبابنا وشوابنا وشيوخنا وكهولنا ونسائنا ليذكروا الله به
ويرتقوا في حضرة القدس ، و (يشطحوا) بما جاء فيه مؤلهين المخلوقات
الفانية ، معتقدين انهم ذات الله وعينه ، وليسوا سواه .

لم تكن الطريقة العليوية بدعا من الطرق الصوفية فينا ، فهذه الطرق كانت
موجودة منتشرة ، وفيها ما نفع في حفظ العربية والدين ببلادنا ، وقاوم
المعتدين يوم فاجأونا ، ومن بين الطرق التي كانت منتشرة (الدرقاوية ،
– والعلوية فرع منها ، وغصن من اغصانها – والدرقاوية كانت هي نفسها فرعا
من الشاذلية . اذ الدرقاوية كانت منتشرة كثيرا بالمغربين الاقصى والاوسط ،
متفرعة من الطريقة الشاذلية ، وهي أيضا تنتشر باقطار المغرب كلها : مراكش
والجزائر وتونس وليبيا ، وبمصر ، والشام ، والحجاز ، ونبغ في رجالها
مشائخ صالحون ، وأحدهم هو الذي اتصل بالشيخ محمد عبده في شبابه بمصر
واثر فيه ، وحبب اليه طلب العلم، وصرفه عن اللهو والبطالة، ومحا من ذهنه
البدع والخرافات والإشراك بالله، وكان يدعى الشيخ درويش تلميذ الشيخ المداني
الذي لقيه في ليبيا وذلك مبسوط في تاريخ الاستاذ الامام رحمهم الله .

اما في وطننا فان الجهالة نزلت بمشائخ الطريقة - وخصوصا هؤلاء الفرسان الثلاثة الذين اطلعنا على (تربيتهم لمريديهم) - الى الهاوية السحيقة ، فاعلنوا فيهم - بكل صراحة - عقائد الباطنية ، وانهم عين الاله ، وليسوا سواه وان الكون في قبضتهم ٠٠٠ الخ . ما تضمنه كلامهم و (أشعارهم) واذكارهم من ادعاءات تنبو عن كل ذوق سليم ، « مما يؤذى الله ورسوله ويؤذى المؤمنين » .

اسناد الطريقة :

وقد زعموا أن طريقتهم متصلة الإسناد ابتداء من البوزيدي الذي أخذ عنه العليوي الى النبي صلى الله عليه وسلم تلقاها من جبريل أمين الوحي ، الذي أمر ان يبلغها اليه من الله ، فقد خصهم في زعمهم - برسالة بلغها جبريل الى محمد عليه الصلاة والسلام ، وأوصاه بتركها في الباطن ولا يبلغها الا اليهم كما هو صريح في قول ابن عليوة في قصيدته الطويلة :

أخذ من الرسول علما كفى به انه علم الباطن في القلب يدلى
علم كان مكتوما عن الخلق جملة وسر كان مصونا باللفظ لا يتلى

(الصفحة السادسة من الديوان المطبوع بمستغانم 1982 م) .

ان اعتقاد مثل هذا يخرج صاحبه من الايمان ، فان رسول الله بلغ ما انزل اليه من ربه واشهد الصحابة على تبليغه في حجة الوداع فشهدوا وهم الامناء ، واشهد الله على شهادتهم بتبليغه فشهد بإكماله الدين ، ولو بقي منه جرف لما صدق الخبر . وكانت رسالته عامة الى الانس والجن ونحن نشهد انه بلغ الرسالة وأدى الأمانة .

فما معنى تخصيص طريقة من الطرق باسنادها لها وحدها، وقد جاء سند القرآن - وهو كتاب الاسلام - متواترا ، وروى العالم كله أركان الاسلام وقواعده وفرائضه وسننه وآدابه بطرائق لا يتطرق اليها شك ولا لبس .

اما سلسلة هذه الطريقة فانها تبتدىء بالشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة - الذي يعتبر في الحقيقة مؤسس هذا الفرع منها - وهو أخذ التربية والسلوك عن شيخه محمد بن الحبيب البوزيدي المستغانمي (توفي 1909 م) وقد ذكر هذا اسناد طريقه في قصيدة منشورة في الديوان المطبوع عام 1982 م ابتداء من صفحة 137 فقال :

فهذه سلسلة طريقى وما لها من أركان التحقيق
ذكرتها بحسب الترقى باسناد الرجال أهل الشوق
أو لهم شيخنا الكامل محمد بن قدور الوكيل
على يديه كان لي وصالى وشربت من كؤوس الجمال (1)
وهذا الأخير أخذ الطريق عن شيخه المهاجى :

عن شيخه أبى عزة المهاجى من نسل الهادى صاحب المعراج
يبقى طريق الجمع والصواب فهو من شيوخنا الاقطاب
وعن الشيخ الدرقاوى أخذ الشيخ المهاجى ، قال :

عن شيخه مولاي العربى بن أحمد الدرقاوى المربى
وبهذا نعرف أن بين البوزيدى وبين الدرقاوى اثنين فقط وهما محمد
ابن قدور الوكيل ، وأبو عزة المهاجى ، وكان البوزيدى ينتسب درقاويا ،
حتى جاء ابن عليوة فغير النسبة (علاويا) وما تزال طريقة (درداوة) منتشرة
بهذا الاسم فى المغرب الاقصى وفى ولايات الغرب الجزائرى - ثم تستمر
سلسلتها بعد الدرقاوى - كما رواها البوزيدى - ولا تصل الى الشاذلى الا بعد
عشرين شيخا وهم هكذا :

أخذ الدرقاوى عن (1) مولاي على الجمل وهذا عن (2) الغوث العربى
ابن أحمد وهذا عن (3) أبيه أحمد وهذا عن (4) أبى السعد اليماني وهذا عن
(5) أبى الفضل ابرقاوى وهذا عن (6) أبى الفيض قاسم الخصائصي وهذا عن
(7) محمد بن عبد الله الفاسي وهذا عن (8) (غوث الزمان) عبد الرحمن وهذا
عن (9) القطب الربانى يوسف الفاسي وهذا عن (10) أبى الفيوضات غوث
الزمان وهذا عن (11) أبيه أبى الفضل على الصنهاجى وهذا عن (12) القطب
الفحام وهذا عن (13) أبى محمد أحمد الزروقي وهذا عن (14) أبى محمد

(1) معذرة لدى كل مطلع اذا عددنا هذا من الشعر ، فقد فرضوا ذلك علينا
وعلى كل ناطق بالعربية ، والحقيقة انه القسم الذى أشار اليه الخطيب
القزوينى بعد ذكره اقسام الكلام : ما بلغ حد الاعجاز ، ثم ما يقرب منه ، ثم
سائر الكلام ، والقسم الرابع هو ما تغير عنه وهو هذا !

أحمد بن عقبة الحضري وهذا عن (15) يوسف القدير وهذا عن (16) شيخه
على بن وفاء وهذا عن (17) أبيه محمد (بحر الصفا) وهذا عن (18) داود
ابن باخلي وهذا عن (19) أحمد بن عطاء الله .

ويعتبر ابن عطاء الله الاسكندري من أشهر علماء التصوف ، عاش أواخر
القرن السابع وأوائل الثامن الهجري - في عصر شيخ الاسلام ابن تيمية ،
وتوفي عام 709 هـ (1309 م) بينما توفي ابن تيمية رحمه الله عام 729 هـ
وترك ابن عطاء الله في كتبه الشهيرة (تاج العروس وقمع النفوس) وكتاب
(الحكم العطائية) .

وأخذ ابن عطاء الله عن (20) موسى وهذا أخذ عن (21) أبي الحسن
الشاذلي، وفي هؤلاء الذين تقدم ذكرهم يقول البوزيدي :

فكسل هؤلاء عارفين	وكلهم للشراب يهدون
عن الشيخ داود بن باخلي	عن أحمد بن عطاء الله الكامل
ثم الى الصمد ان موسى	فهو الوارث أسرار القدس
عن الشاذلي مجمع البحرين	وبرزخ لا يبغيان دون مين
له كلام في الطريق عالي	ولطيف التحقيق عنه غالي

وأبو الحسن الشاذلي اليه تنتسب هذه الطريقة في الحقيقة وأصله مغربي
ولد قرب مدينة سبته وسكن مدة طويلة بتونس في (شاذلة) فنسب اليها .
وما زال له مقام مشهور بمقبرة الجلاز يجتمع فيه للذكر حسب تقاليد الطريقة
مرة كل أسبوع . ثم ارتحل الى مصر وتوفي بقرية في صعيدها وتنسب اليه
مؤلفات منها ، مجموعة الاحزاب .

وهكذا نجد بين الدرقاوي وبين أبي الحسن الشاذلي (21) شيخا كلهم
موسوم اما بـ (الفوث أو بالقطب) وكل ذلك يرجع بسند أو يتصل بسبب
الى الباطنية كما حققه ابن خلدون في مقدمته .

وان شئت ان تتم مواصلة هذه الرحلة مع السلسلة (العنكبوتية) التي
توصل البوزيدي بالمولى عز وجل وعلا ما دام قد انصرف عن سلسلة رواية
القرآن فان الشاذلي أخذ عن (22) عبد السلام بن مشيش - وقد برأه احد

علماء المغرب مما نسب اليه ، وهو الاستاذ محمد غازي، قال ان لديه وثائق تثبت أنهم زوروا عليه ما نسب اليه من أقوال فاسدة ، ولعل منها منظومة الغوثية ، وكان يقرأها في أحزابهم إخوان (الطيبية) بمدينة قسنطينة فحفظتها صغيرا ، ثم نسيتها ومطلعها :

باسم الاله نبتدي الغوثية مصليا مسلما بالنية

وفيها - علي ما أذكر - استنجد بالصالحين واستشفاع بهم ، وانما يكون الدعاء خالصا لله ، ومن الله .

وأخذ ابن ماشيش عن (23) القطب الزيات وهذا عن (24) القطب الكامل تقى الدين الصوفي وهذا عن (25) فخر الدين وهذا عن (26) أبي الحسن علي نور الدين وهذا عن (27) محمد تاج الدين وهذا عن (28) محمد شمس الدين وهذا عن (29) زين الدين القزويني وهذا عن (30) أبي اسحاق الموميني وهذا عن (31) سعيد المريبي وهذا عن (32) شيخه سعدى وهذا عن (33) محمد ابن فتح السعود وهذا عن (34) العرواني وهذا عن (35) محمد بن جابر وهذا أخذ عن (36) الحسن بن علي السبط كرم الله وجهه في الجنة ، وأخذ الحسن عن (37) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وأخذ علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقى رسول الله الوحي من جبريل، وجبريل أنزله رب العالمين ، وقد كذب علي - في حياته - ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصه بشيء دون صحابته ، وشهد ان رسالته كانت عامة ، ورغم ذلك يزعم هؤلاء مثل هذا وانه خصهم برسالة !!

وفى هذا يقول البوزيدي :

ثم الى الحسن القطب الزاهد	في الملك برهان له شواهد
عن القطب الاكمل جمع الجميع	وبرزخ البحار أصل النفع
له الجزاء في الرضى والرضوان	آل وصحب شمس العرفان
سيدنا علي الامير	وصهر المصطفى بذخير
اذ هو باب حضرة الرحمن	وعنه كل اعداد العرفان
ثم عن محمد واسط الوجود	فلولاه ما بدا من وجود

ثم عن الامين جبريل عليه سلام الله صاحب الرسائل
ثم الى رب العزة والجبروت الواحد الاحد الذي لا يموت
وقد ذكر نفس هذه السلسلة الشيخ ابن عليوة في ديوانه. (103 - 104 -
105) متوسلا باسم كل واحد منهم مزكيا له على الله .

ان هذه السلسلة التي يبثها هؤلاء في اتباعهم توحى الى المريدين بالثقة
التامة في كل رجالها والاطمئنان الى صحة ما يروونه لهم ويبثونه فيهم ،
ولا شك ان في هؤلاء طيبين يوثق بهم ويؤخذ عنهم الدين ، كيف لا وفيهم
الحسن وعلي عليهما السلام ، ولكن غيرهم يخضعون كلهم لقواعد الجرح
والتعديل عند المحدثين، ولا تقبل رواية مبتدع وخصوصا الباطنية، وهذا ما اتفق
عليه اهل الحديث فهل هم كلهم فوق الشبهات في عملهم وسلوكهم وعقلهم
وخلقهم ودينهم ؟ يقينا ان الامر ليس كذلك، فلابد لكل واحد من يعرف به
ويرضى عنه اهل صناعة الحديث ، على انه اذا روي عنه ما خالف المعلوم من
الدين بالضرورة رفض قوله ورد على وجهه، فما بالك بالذي جاء في قوله :

(انا منهاج الطريق ، والكون في قبضتي)

أو قال أنا لست انسان ، ولا من الجن ، أنا ذات الرحمن والكل مني .

فالذي في قبضته الكون والسموات مطويات بيمينه وهو ذات الرحمن هو
الله سبحانه وحده لا شريك له ، اما هذا المدعي فانه والله ان صحت الرواية
عنه - لأحق من كل ما ادعى ، وانه ليصح ان يوجه الى من دعاهم ان يعتقدوا
فيه مثل هذا الاعتقاد « يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسألهم الدباب شيئا
لا يستنقلوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ان الله
لقوي عزيز » .

الفصل الثامن :

تسابق هؤلاء الفرسان في ميدان الجهر بالسوء من القول

أولاً : من أقوال الشيخ أحمد بن عليوة

بعد كل ما تقدم نشرع في اقتطاف أقوال من هذا الديوان صدرت من هؤلاء الفرسان الثلاثة : ابن عليوة ، وابن الحبيب ، وابن تونس كشواهد عن انحراف قائلها عن ضراط الله واندفاعهم في ميدان البدعة الباطنية ، والقول بالحلول ووحدة الوجود . وغير ذلك من أقوال فظيعة ، ولوازم شنيعة عشرين - باختصار - الى مواطن المؤاخذه ، ومنبهين أحياناً عليها برد وجيز ، غاذرين ابن باديس وصحبه في ثورتهم ، وفي عنفهم أحياناً - في انتقادهم . فان غنى بعض هذه الأقوال ما يستفز الحليم ، لا من علماء الشريعة والدين فحسب ولكن من العقلاء المدركين المكلفين ! بل من كل من ألقى السمع وهو شهيد ممن يتمتع بعقل صحيح أو ذوق سليم .

أول ما يجابه المطلع على هذا الديوان صورة كبيرة للمؤلف ، مع تعريف به يقول عنه انه العارف بالله والداال عليه الاستاذ الأكبر فلان .
ويزاد عليه في جهات أخرى انه الملحق لاسم الله الاعظم .

ثم يفاجأ المرء بكلام ييبقى خائراً :

أى نوع من الكلام هذا ؟ ان كلمة (الديوان) توهم انه شعر ولكنك لا تملك نفسك اذا اطلعت عليه الا ان تتساءل :

أهذا شعر ؟ أم نثر مسجوع ؟ أم نثر مرسل ؟ أم هو شئ آخر ؟
الحق انه لا يخضع لشيء مما عرف به الشعر الفصيح ، ولا الملحون ولا النثر المسجوع ولا النثر المرسل ، ولا حتى الهذر ، من خوار البقر ، الذى يسمونه الشعر الحر .

وقد استشعر هذا الحرج مروج (الديوان) اذ أراد أن يعتذر ، فجاء بما يصح ان يقال فيه (رب عذر أقبح من ذنب) قال :

(والذى يلاحظه القارىء ان معظم قصائد الديوان لم تجر على قاعدة العروض الشعرى والعناية بالاوزان ، وقد أجاب الاستاذ العلاوى عندما سئل عن ذلك فقال :

(ان القوم - رضوان الله عليهم - أغلبهم لا يتعاطى فى الشعر اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث لم يؤذن له فى ذلك فكانوا فيه أقصر باع (كذا) من غيرهم الا من تعاطاه من قبل - فالصوفى يعبر عن معارفه وفتوحاته كيفما اتفق اذ لا عبرة باللفظ اذا استقام المعنى) (3) .

ليس فى الديوان قصيدة واحدة جرت على قاعدة العروض الشعرى والعناية بأوزان الخليل بن أحمد وان كان قد يوجد بيت أو جزء منه فى القصيدة فقله (معظم قصائد الديوان) مغالطة .

واما الاعتذار ففيه جراءة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم منع من تعليمه الشعر لانه لا ينبغى له وحتى لا يصدق عليه زعم الذين قالوا : شاعر ، مجنون الخ . . . فهل هو فى مثل هذا المقام أو متطلع اليه ؟ ولقد قال الشعر ابن الفارض وابن العفيف التلمسانى ومحيى الدين بن عربى - وكلهم من فرسان مذهب الحلول أو وحدة الوجود - فبلغوا فيه الذروة وصح فيهم أن يعدوا فى عباقرة فن الشعر، وليت موضوعاتهم كانت فى فنون الشعر . وقد اقر النبي صلى الله عليه وسلم قول الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وسمع منهم ،

(3) مقدمة الديوان ، ص : 3 - 4 .

حتى ما جاء فى مقدمات قصائدهم من تسييب ، ولم يقل مسلم : « لا أقول الشعر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم » وقد أخبر حسان بن روح القدس معه غنى دفاعه عن رسول الله به . وليس بمرخص للصوفى ان (يخترع) فنا من الكلام ويأتى به أشبه بالهذيان : فاسد اللفظ ، فاسد المعنى فان انتقده عليه منتقد قال : انى أعبر عن (معارفى) و (فتوحاتى) كيفما اتفق ، وان جاء بظامة من الطوام فى المعنى قال : لن هذه (شطحه) من (شطحاتى) فلا تؤاخذونى بها !

هل تريد ان تسمع مثلاً من هذا (الشعر) المفاصد مبنى ومعنى ؟ هذا أول بيت فى أول قصيدة توجد فى الديوان :

يا أيها العشاق للمحضر الاعلى عيدونا (كذا) بوصلكم ودوموا فينا وصلنا
وبعده :

فهذا وقت النهوض للمقام الاسنى فلكم الحمد حيث كنا له املا
والبيت الرابع نصه :

فنحن حنّام الوصل من فضلك فصرنا على جمع - تالله - ولا حولا
فأى معنى يستقيم مع الفاظ عجز هذا البيت ؟
ومن عيون القصيدة - وكلها عيون عمياء - قوله فى وصية من اراد
الوصل :

وليقل أنا الغريق لآلى ولا معنى وليستنبج أرباب الوصول الى الوصل
فمن أين جاءت الفضة الى كلمة (الوصل) ولم تستح من وضعها حتى
امتدت الى الف الاطلاق مع وجود حرف الجر قبل اسم معرف بال ! الا يدركنا
الخجل من مثل هذا الاستعمال ؟

فساد فى اللفظ والمعنى

ورغم الفساد البين فى التراكيب وفى الاستعمال وفى البعد الواضح عن
كلام الناثرين والشاعرين فقد تعددت أبياتها و (نمت) وامتدت على عشر
صفحات كاملة مشتملة على 215 بيتا ، اما المعانى الواردة فى هذه القصيدة
- ان ادى التركيب معنى - فانها من المنع المنكرات من اقوال المبتدعة الباطنية

الذين ما أسسوا مذهبهم الا لتهديم الاسلام ومحو دولة العرب من الوجود
كما حققه العلماء الثقات ويمكن ان يطلع عليها في كل جزء منها وماكم بعضها :

(1) ارتفاع الحجب عن الله :

زعم العارف بالله ان من (صل) :

يرفع عنه حجبا كانت لقلبه منيعة عن الوصل للمقام الاعلى !
ويدخل (حضرة) الله من بعد فصله ويرى ظهور الحق اينما تولى
ويفنى عن العالم طرا باسره فلا قاصرات الطرف يهوى ولا خلا (4)
فهذا من دعاوى اصحاب وحدة الوجود وهو ان يرى الله - سبحانه وتعالى
عن ذلك علوا كبيرا - في كل موجوداته يفنى فيه ! أى يحل فيه !

(2) اخذ علم الباطنى وكتمان الرسول !:

ثم يزعم ان هذا الواصل :

اخذ عن الرسول علما كفى به انه علم الباطن في القلب تسدي
علم كان مكتوما عن الخلق جملة وسر كان مصونا باللفظ لا يتلى (5)
فهو - في هذه الدعوى - يسند الكتمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
مما يخالف ما يجب اعتقاده في الرسل كلهم من الأمانة والتبليغ ، ويستحيل
في حقهم من الخيانة والكتمان ، ورسولنا عليه الصلاة والسلام قد شهد الله
له بانه بلغ رسالة ربه ، فقد قال تعالى : « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته » والله يعصمك من الناس »
ثم قبل موته بنحو تسعين يوما انزل عليه يوم عرفة : « اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » ، فهذه براءة الله لرسوله
بانه بلغ رسالته كلها حتى اكمل الدين الذي رضيه سبحانه للمسلمين ولو كتم
حرفا لما صح القول ان الدين كمل .

فالقول بان (الواصل) اخذ عن الرسول صلى الله عليه وسلم « علم الباطن
وان هذا علم كان مكتوما عن الخلق جملة » ، وانه كان مصونا لفظه لا يتلى -

(4) الديوان طبعة مستغانم 1982 م ، ص 6 .

(5) المصدر السابق ، ص 6 .

لا يمكن ان يعد - بأى حال من الاحوال - شطحة من الشطحات - ولا يعذر قائله لانه اسناد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يصح ان يسند اليه من الاتيان بعلم الباطن ومن كتمان عن الخلق (جملة) ثم ابلاغه لواحد بعد قرون كثيرة ، ! !

فالكتمان من المستحيلات فى حق جميع الرسل ومنهم نبينا محمد صلى الله عليهم اجمعين ، وهذا من بديهيات (علم التوحيد) .

(3) نوم يغنى عن ذكر الله :

وقد وصف فى القصيدة نفسها (البداء) وعين مكانتها وهو فى زعمه منهم ، قال :

هم العروة الوثقى بهم فتمسكن هم أمان أهل الارض فى الخلا والملا
لهم قلوب ترى ما لا يرى غيرها أيقاظ وان ناموا فى نومهم وصلا
تالله نوم العارف يغنى عن ذكره فكيف بصلاة العارف اذا صلى (6)

أما العروة الوثقى - كما فهمنا من القرآن الكريم - فيمكن ان يستمسك بها من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وحده لا شريك له فى الوهيته ولا فى ربوبيته كما قال : « فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْقِصَامَ لَهَا » ، واما هذا العارف بالله فانها عنده (قوم من البشر) يأكلون ويشربون ويتخوطون ! وينامون ويسهون ويمرضون ويموتون ، وأين هو اليوم وهو منهم كما يزعم ؟

صدق الله العظيم القائل فى تربية المسلمين : « مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَلُّوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَلَّتْ بَيْتًا وَأَنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيسَتْ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » ، فلو كان يعلم لما دعا لمثل هؤلاء القوم فى هذا الموضوع ، وأقول ان هذا (البديل) يقول لمريده (بهم فتمسكن) والصيغة - بمقتضى القواعد اللغوية - تقتضى الحصر بتقديم الجار والمجرور وتقتضى التأكيد لوجود النون وبالامر القاطع ، وهؤلاء القوم (البداء) هم دون الله قطعا ، أم هم ليسوا سواه ؟ فهذا أدهى وأمر ، وهى دعوى أمثال هذا

(6) المصدر السابق ، ص 7 .

العارف وهم عنده ايقاظ وان ناموا ، ثم ان نومهم يغنى عن ذكرهم ! ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه حقاً ، ومع ذلك فما استغنى أبداً عن الذكر وما سوى بين الذكر والغفلة ، والله يقول : « وَلَا تُطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا » والذكر غذاء القلوب وأمانها : « أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » .

4) اثبات الجهة لله ، والوقوف معه وحلوله في خلقه :

هذه الدواهي يبيتها في نفس (القصيدة) وينسب لنفسه انه صاحب هذه الحالة فيقول عن الواصل :

يكون بسقف العرش حالة قربه واقفاً مع الاله يا لها من حالا
حالة لو حال الحال بيني وبينها لقلت هذا محال والحال لا يحل (7)
حالة حل العزيز فيها بعد النوى وطاف طائف الوصل منا بعد الفصلا
كيف يصل (واصل) الى سقف العرش ؟ كيف يقف مع الاله ؟ أكما يقف
الند مع نده ؟ وأي جهالة وسوء أدب في التعبير ؟ تم يزعم أنها حالة أصبحت
من حالاته لا تنفك عنه ومحال في حقه ولا يحلو له شيء من دونها ثم ينتهي الى
القول بالحلول حلول الله فيه ، تعالى عن ذلك : (حالة حل العزيز فيها بعد
النوى) .

5) الواصلون وعلامة وصلهم :

الواصلون عنده من أرتفعت درجاتهم الى الحلول والاتحاد بالله - تعالى الله
عن ذلك علواً كبيراً - وفي نفس هذه (القصيدة) يذكر أوصافهم ويزعم ان
من توفرت فيه فهو منهم ، قال :

فهل له - يا هذا - نصيب من من ذوقهم فان كنت مثلهم نعم فلك صولا
وان لم تجد لديك شيئاً مما لهم فانصف من نفسك وهذا الوصف يتلى
فهل طويت الاكوان عنك بنظرة ؟ وهل شاهدت الرحمن حيثما تجلى
وهل افنيت الانام عنك بلمحة ؟ أم تمت عن الجميع علويا وسفلا

(7) المصدر نفسه ، ص 8 - 9 .

وهل طفت بالاكوان عن كل جانب وهل طاف بك الكون وانت له قبلا
 وهل زالت الحجب عنك تكرما وهل رفعت الرداء عنك ثم السدلا
 وقيل لك اذن فهذا جمالتنا مرحبا فتمتع بك أهلا وسهلا
 وهل دعاك الداعي فقممت لامره وكنت أديب السير وخلعت النعلا
 وجا ط بك التعظيم من كل جانب ولما صبح الوصل ملت له ميلا
 وهل صنت سر الله بعد ظهوره وكنت عنه أمينا وهل لبست الحللا
 فهذا بعض المذى يدل عن قربك والاثم أسرار لا تفشى فى الملا
 فان صبح هذا الوصف عندك فذاكرا والا أنت البعيد من (حضرة) المولى (8)
 ان مثل هذه الأوصاف ومثل هذه المحاوره التى اجراها هذا الواصل ادنى
 من أى محاوره قد يجريها عبد مع ضيفه اذا وصل عنده .

﴿ زالت الحجب بين الله - تعالى عن ذلك علوا كبيرا - وبين (الواصل) ﴾
 ورفع الرداء المسدول فيقول الله : اذن فهذا جمالتنا ، مرحبا وأهلا وسهلا تمتع
 فيخلق الواصل نعله ويحيط به التعظيم فيميل ميلا نحو واصله ثم يكتم سره! .

(6) الله كل شىء فى الوجود :

ومما شرحه فى هذه القصيدة نظريته فى وحدة الوجود وفناء الذات فى
 المعبود حتى يرتقى الى البقاء وبقاء البقاء ، بقول :

وليس وجود الحق قبل وجوده	وبعد وجوده وحيثما تولى
كان الله وحده ولا شىء معه	وهو كما كان آخره وأولا
فهو واحد الذات لا شىء دونه	باطن ظاهر أزلى ولا زالا
فاينما رايت رايت وجوده	ففى مطلق التوحيد ليس فيه الا
ثم يقول :	

الى ان ترى العالم لا شىء فى ذاته	أقل من القليل فى تعظيم المولى
فان برز التعظيم تغنى فى عينه	لانك لم تكن من أول الوهلا

(8) الديوان ، ص 10 - 11 .

فلم تدر من أنت فكنت ولا أنت فتبقى بلا أنت لا قوة ولا حولا
وبعد فنائك ترتقى الى البقاء الى بقاء البقاء الى منتهى العلا
ولتكن مع الاله فى كل حالة ومن ذا الذى يرغب عن هذه الحالة؟ (9)
(7) وحدة الوجود : هذه دعوة صريحة الى القول بوحدة الوجود ! والعبد
مسبوق بعدم ، وهو من بعد وجود فان خلاف ما يقول هنا .

فالذى يعرفه علماء التوحيد ان الوجود وجودان ، وجود واجب هو وجود
الله سبحانه وتعالى : « هو الأول والآخِرُ والظاهرُ والباطِنُ » ، وهو « العي
الذى لا يموت » المحيط بكل شيء ، وهو سبحانه « لا تُدرِكُهُ الأبصارُ وهو
يدرِكُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبير » ، وقد فصل علماء الكلام ما يجب فى حقه
وما يجوز وما يستحيل ، والوجود الثانى هو جائز الوجود وهو ما سوى الله
سبحانه وتعالى من العوالم ، والجائز الوجود مسبوق بعدم ، فان بعد الوجود .
أما عند هذا - الذى يزعم ويزعم له أنه يعرف الخلق بالله - فهو ما رأيت
من أوصائه: أينما رأيت رأيت وجوده ، فاذا رأيت العالم ثم تجد شيئا فى ذاته
وأنت نفسك - بعد الفناء - تتحقق أنك لست شيئا سوى الله ! تعالى الله عن
ذلك - لأنك لم تكن شيئا فى أول وهلة فلم تدر من أنت ؟ ولما كنت قبلا موجودا
فانك لست أنت ؟ ! ثم تبقى قائما معدوما بلا أنت وبعدئذ ترتقى الى البقاء
الابدى والوجود السرمدى لأنك قد حل فىك الله ! (ولتكن مع الاله فى كل
حالة) ، ومثل هذا الكلام لا يصح ان يحسب من آمن به فى صف الاسلام
ولهذا كفر علماء المسلمين القائلين بالحلول ووحدة الوجود ، وقد تقدم كلام
ابن خلدون - كمؤرخ - فى موقفهم منه ، وقال الشيخ محمد رشيد رضا فى
تفسير المنار وهو يتكلم على الذين ضلوا بالتأويل والتعطيل لصفات الله : (حتى
خرجت به عدة فرق من الملة بعضهم باطنا وظاهرا ، وبعضهم باطنا لا ظاهرا
كالباطنية وكفلاة الصوفية الذين ذهبوا فى التأويل الى ما وراء العقل والنقل
وأساليب اللغة فادعوا انهم يرون الله عيانا فى جميع الصور ويتلقون عنه
كالانبياء وان فيهم من هم افضل من الانبياء وأعلم بالله تعالى ، ومنهم من ادعى
رفع التكليف عن بلغ مقامهم فى المعرفة ، بل منهم من غلا فى وحدة الوجود

(9) المصدر السابق .

الى ادعاء الربوبية للبشر والبقر والحجر والمدر ، وما يستحق أو يتنزه قلم
الاديب المتدين عن ذكره (10) اهـ .

(8) تأكيد القول بوحدة الوجود :

ويقول أيضا في نفس القصيدة :

تري مظاهر الكون تسجد لبعضها وثم سر لطيف خفي عن المقللا
ولولا ظهور الحق في كل صورة لما بلى قيس بالشوق الى ليلي
ولا عشق العشاق كل مليحة ولا مالت الحسان وجرت الذيلا (11)

والبيت الاول ينقل معنى لابن الفارض يزعم فيه انه عندما يصلي فانه يصلي
لنفسه ! فبصفته مخلوقا مأمورا بالسجود يسجد لخالقه وبصفته هو نفسه
ذات خالقة يعتبر قد صلى لنفسه !

وفى البيتين بعده يزعم أن قيس بن الملوح كان يعشق في ليلي ظهور
الحق فيها ! وهكذا كل عاشق ومعشوق حتى (أرمان) مع (مرغريت) في
رواية اسكندر دوماس ! (عادة الكامليا) .

فاذا أبصرته أبصرتني واذا أبصرتني أبصرتنا !

(9) عن شيخه ورث الحلول : أرتق للالوهية !

وقد أفصح فيما يأتي عن انتقلت اليه العدوى منه اذ قال :

نوصيك بما أوصاني	أستأذى قبل المنيا
البوزيدى كان غنى	على جميع البريا
أترك كلك في مكاني	وأرتق للالوهيا
وانسلخ عن الاكوان	لا تترك منها بقيا
هذا وذاك سيان	انظر نظرة مستويا
المكون والاكوان	مظاهر الوجدان
ان حقت بالعيان	لا تجد شيئا فريا (17)

(10) تفسير المنار ، ج 9 ، ص 132 ، الطبعة الاولى بمطبعة المنار .

(11) الديوان ، ص 13 .

(17) الديوان 23 .

ان هذا الاستاذ الذى وثق به قد أرتقى الى مقام « الغنى » المطلق ، يوحى اليه أن يرتقى الى الالوهية ! فهذا الداء سرى الى التلميذ العليوى من أستاذة البوزيدى كما اعترف فى هذه القطعة من قصيدته ، فهو الذى أوصاه بالانسلاخ عن الاكوان ، والارتقاء الى الالوهية ، وان المكون والاكوان شئ واحد ، ومظهر الوجدانية ، ومن حقق النظر يجد أن البوزيدى قد ذهب ، والعلوى لحقه ، والله الباقي الصمد باق كما قال : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » .

(10) ليلي وعاشقها :

يكنى بعض مدعى مذهب التصوف عن الذات الالهية بليلى ، ويذكرون ذلك فى أشعارهم ويتغزلون بهذا الاسم ويرددونه فى الحب الالهى ، ويعلنون أن مقصودهم بذكر الحب حب الله وقد يسمونه - تعالى - باسم آخر من أسماء النساء المعشوقات !

ولا شك أن ذلك من وحى الشيطان ، وتلاعبه بهذه « الرعية » الطيبة التى وجد فيها من الجرأة على الله ما لم يتفق له (18) ، فان أسماء الله الحسنى توقيفية ولا يجوز تجاوزها ، ولا يحل لمسلم الالحاد فيها ، لقوله تعالى : « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » . والالحاد فى الاسماء « بالليل بالفاظها أو معانيها عن منهج الحق الوسط الى بنيات الطريق ومتفرق السبل من تحريف أو تأويل أو تشبيه أو تعطيل أو شرك أو تكذيب أو زيادة أو نقصان أو ما ينافى وصفها بالحسنى ومنتهى الكمال » (19) .

ومن الالحاد « تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه وبما لا يليق بكماله وجلاله » ، وهل يليق به ان يسمى باسم امرأة هى رمز للعشق واشتهاء الجنس ؟ قال الشيخ محمد رشيد ان من الالحاد فى أسمائه : « تسميته بما لم

(18) قال تعالى لما تحداه ابليس : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من أتبعك من الفاوين » وبالاتباع صاروا رعية !
(19) تفسير المنار ، ج 9 ص 440 ، طعة أولى .

يسم به نفسه فى كتابه ، أو ما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (20) .

وقال :

« وقد اتفق أهل الحق على أن أسماء وصفاته - تعالى - توقيفية ونصوا على إثبات كل ما ورد فى الكتاب والاحاديث الصحيحة دعاء ووصفا له واخبارا عنه وعلى منع ما دل على منعه ، ومنه كل ما يسمى الحادا فى أسمائه وكل ما أوهم نقصا أو كان منافيا للكمال ووصف الحسنى ، وقد منع جمهور أهل السنة كل ما لم يأذن به الشارع مطلقا » (21) . ومعنى التوقيفية انها تكون من نص الشارع وبتوقيف منه ، ولا تكون من اختراع أحد .

ولكى تتصور مقدار الجراءة والفحش الذى يقع فيه القوم ، تعال معي لترى قول هذا القائل بعد أن ادركت مقصودهم من « ليلي » .

قال : (22)

دنوت من حي ليلي	لما سمعت نداها
يال له من صوت يحلو	أود لا ينتهي
رضت - كذا - عني جذبتني	ادخلتني لحماها
آنستني خاطبتني	أجلستني بحذاها
قربت ذاتها مني	رفعت عني رداها
أدهشتني تيهتني	حيرتني في بهاها
فاذا ما كان مني	غير أن سجدت لها
أخذتني ملكتني	غيبتني في معناها (23)

هذا ما كان من ليلاه أولا ثم أنظر ما صنعت به .

بدلتني طورتنى وسمتني بسمناها

(20) تفسير المنار ، ج 9 ص 440 طبعة أولى .

(21) المصدر السابق ، ص 444 .

(22) الديوان ، ص 30 .

(23) الديوان ، ص 31 .

جمعتنى فردتنى لقبتنى بكنساهما
 قتلتنى مزقتنى خضبتنى بدماهما
 بعد قتلى بعثتنى ضاء نجمى فى سماها
 أين روحى أين بدنى أين نفسى وهواها
 قد بدا منها لجفنى ما قد مضى من خفاها
 تالله ما رأت عينى ولا شهدت سواها (24)
 ثم يقول :

حسبى من حبيبى أنى متصل به شفاها
 لنا منه نور يسنى قد ضاءت منه جباها (25)

هل عرفت من هى « ليلي » فى شعر هذا العارف بالله والبال عليه المعرف به ؟ هل كانت فى أول أمرها سوى لعب من بنات الهوى ، ثم كانت فى آخرها معه سوى سفاكة للدماء ، ثم يكشف الحجاب عنه ويقسم بالله على دعواه أنها « الوجود الواحد » عنده وعند أصحابه من دعاة وحدة الوجود ؟

ان أقل ما يستحق من يحب الله بمثل هذا الاسلوب ، وينطق بمثل هذا الكلام ان يقضى حياته فى مرستان ، ان التعريف الذى وضعوه لمثل هذا الكلام « الشطحات » لا يصدق عليه بحال ، لانه سجل وروج بعد ان زالت حال الجنب عن صاحبه ورجع الى طبيعته ، وأصبح مسؤولا عما يصدر منه ، فاذا اقره بعد غرضه فكانه قاله من جديد فى يقظته .

(11) هو ذات الرحمن :

بهذا صرح فى قطعة ليقول فيها ، وانه ليس سوى ذات الرحمن ، استمع اليه :

لا نـرى فى الاكـوان وفى نفسى منسى
 الا ذات الـرحمن قـرت بها عينى

• (24) الديوان ، ص 31

• (25) الديوان ، ص 33

شاهدتها عيسان حشرت لى ذهني
ظهرت بكل السوان ماذا يصحى جفني ؟
شربتني كيسان أخذتني مني !
أدخلتني الديسوان نطقت عن لسني (26)

انه لا يرى في الكون ، ولا يرى في نفسه سوى ذات الرحمن ! وانه بذلك
قريب العين ، يشاهد ذلك بعينه ، وقد أخذته من نفسه ، وأدخلته الديوان ،
وانه صار نطقه هو نفس نطق الرحمن !

واحد فريد في الزمان ! الكل دوني - والكل مني
وبعد أن غرق في « وحدة الوجود » عاد الى الحلول ، لانه يمكن له ان
يكون ثانيا حل به اله الكون ، تعالى وتبارك ، قال : في نفس القصيدة :

هب نفس الرحمن من جانب اليمين
تشكل بالانسوان وبالروح مني
قمت تحكى ما كان وما معنى كوني
بالصحة والبيان قول قول يغني
جساد بسى الاوان اعرفوني أنسى
واحد في الزمان فريد في وطني
ثم يقول :

أنا حبر العرفان أنا الحصن المبنى
أنا كوكب فتنان أنا الفبرد المغني
أنا نسور الاعيان أنا الكل دوني
أنا لب الايمان أنا قطب الدين
أنا لست أنسان ولا من الجسد
أنا سر الرحمان أنا الكل مني (27)

(26) - الديوان ، ص 36 .

(27) - المصدر نفسه ، ص 37 - 38 .

أما كونه واحداً في الزمن فريداً في الوطن ، فالحق أنه يشبه ذلك ، فانه - وان سبق باستاذة (الحبيب) ، ولحق به تلميذه عدة - بلغ من الاستدراج درجة لم يبلغ اليها (الاستاذ) الاكبر ، والذي اعترز بنفسه وتجبر ، وقال لما أمر بالسجود « انا خيرٌ منه » فمن قال مثله (انا) فقد أشبهه ، ومع ذلك فلم يبلغ أن قال : « انا ذات الرحمن » « انا الكل دوني » « انا الكل مني » انا لست (انسان ولا من الجن) ان ابليس اعترف باصل خلخته وانه من الجن اذ قال : « انا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين » فاعترف بانه مخلوق ، وان آدم مخلوق ، وخالقهما الله واعتز على آدم بالنار التي خلق منها ، لم يقل ابليس انه سر الرحمن وانه جلس الى جانبه الايمن وتشكل بانسان واخذ منه الروح ونطق بلسانه وان الخلق كلهم دونه وانهم منه وقائل هذا واحد في الزمان ، فريد في الوطن !

(12) تالله لست سواء :

والفناء عنده في الله ان يفكر فيه وينسى كل شيء ، فاذا به يجد نفسه ليس سواء ! فان سئل من تعنى ؟ قال : هو الله ! :

يا مريدا فزت به	بادر واقصد من تهواه
ان أردت تفنى فيه	لا تُصغِ لما عده
حضر قلبك في اسمه	شخصه وافهم معناه
وجه وجهك لوجهه	واهتمز اشتياقا له
اخفض الطرف لديه	وانظر في ذاتك تسراه
اين انت من حسنه	تالله لست سواء
ان قيل من تعنى به	صرح وقل هو الله
انا فيه ، فاني به	يسراني كما اراه
لا نرضى بسدلا به	أهل الهوى فيه تاهوا (28)

(28) الديوان ، ص 47 .

لست سوايالله !

كثيرا ما روى الشهاب والكتاب المصلحون ان ابن عليوة قال فى احدى شطحاته السخيفة : « فتشت عليك يالله وجدت روحى انا الله ، »
وهذا ما يصدق ذلك بالنص الصريح فيما سبق وفيما يأتى من هذه القطعة :

تبهتني ذاتك	وغبت فيك يالله
ظهرت صفاتك	منك وفيك يالله
لمن نحكى سرى	لمن نريك يالله
رجعت لسكرى	وحررت فيك يالله
دخلت للمعنى	لكى نراك يالله

(13) مع ليل ، اشف الغيلا !

أرقنى الفرام	من حسن ليل
والقلب في هيام	مع الجميلا
قالت يا غلام	أمهل قليلا
وادن منى باجترام	وأشف الغيلا
فهمت الكلام	كنت نبىلا
باشارة وابتسام	بلا دليلا
صرنا فى اغتنام	ونحن كىلا
بين صحو واصطلام	وقتا طويلا (29)

أمثل هذا الكلام السمج يقال فى الحب الالهى؟ أم يقال فى حب الباريسيات؟

(14) جنة رضوان فى مستغانم :

روح وريحان ، ما بين الخلان جنة رضوان فى (حضرتنا)
حضرة القدس محيا لنفوسنا جنة الفردوس تحتاج الينا (30)
جنة رضوانى هى التى أعدها الله للمتقين جزاء أعمالهم فى دنياهم لآخرتهم،
ومثلها جنة الفردوس، وفيهما يتنعم اصحاب اليمين كما قال المولى سبحانه وتعالى

(29) الديوان ، ص 53 .

(30) الديوان ، ص 63 .

« وأصحابُ اليمينِ ما أصحابُ اليمينِ ؟ في سائرِ مَغْضُودٍ وَطَلَحٍ مَنْضُودٍ ، وظِلٍّ مُمْتُودٍ ، وماءٍ مَسْكُوبٍ ، وفاكهةٍ كثيرةٍ لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ وفُرْشٍ مرفوعةٍ » .

اما اذا كانت جنة هذا الشيخ في مستغانم مثل هذا المدعى فما أرخصها وما أهونها ! وحق لكل ساخر من الاسلام أن يسخر من جنة في «حضرة» الشيخ

15) فتشبت عليك يا الله :

اتباع الشيخ ومريدوه يعرفون به فيقولون عنه (العارف بالله) الملحق
لاسمه الاعظم ، وكذلك يقولون في شيخه البوزيدي وفي تلميذه عدة كلهم في
زعمهم عرف بالله ، معرف به ، ملحق لاسمه الاعظم ، تعال معي لنسرى كيف
يعرفون بالله من يجهله :

قال الشيخ العليوي :

تبهتني في ذاتك	وغببت فيك يا الله
ظهرت صفاتك	منك وفيك يا الله
لمن نحكي سرى	لمن نوريك يا الله
رجعت لسكرى	وصرت فيك يا الله
دخلت للمعنى	لكى نراك يا الله
نديت من أنا ؟	لست سواك يا الله
خرجت للحس	نفتش عليك يا الله
ابتديت بنفسى	حصلت عليك يا الله
ظهرت فى الكل	عمن نخفيك يا الله
ظننتك غيرى	جاوزت عليك يا الله
حتى نارت شمسى	قلت عليك يا الله
نوديت من نفسى	قلت لبيك يا الله

يعنى ان نفسه نادته فاجابها بقوله لبيك يا الله ! ، والقصيدة في الديوان
صفحة 55 من الطبعة الاخيرة، فهل عرفت الله ؟ ما أرخص هذه المعرفة وما أفسد
عقيدة من دان الله بها ، وما افظع ما توصل اليه ، وما عرف به . وهذا قول
منه انه فتش على الله فوجد نفسه هو ...

16) هو عينك لست سواء :

هذا جواب لمن يسأله عند الله ، والمجيب هو الذى قالوا عنه انه العارف
بالله ، والدليل عليه ، والملقن لاسمه الاعظم ، يقول :
أهل الهوى العارفين بالله لهم نشوى فى ذكر الله
فنبوا السوى وقد غابوا فى الله من ذا يقوى فى قرب الله
يا خليلي اذكر وافن فى الله لا تبالي بغير الله
اسمع قول لكى تبقى بالله وانظر حالى تعرف الله
حضر قلبك وغب عنك فى الله واخفض بصرك لكى تراه
شربك منك اعرف نفسك بالله هو عينك لست سواء

17) خاتمة : حاكى الكفر ليس بكافر :

بهذه الأبيات الرهيبة نختم ما رأينا اقتباسه من (ترهات) هذا (العارف)
بالله فى تعريف خلق الله بربهم الذى ينتهى به ان يقول لهم : (لستم سوى
الله) .

ان سماع مثل هذا القول يزلزل الكيان ، ومجرد روايته لاطهار شناعته
مما يهز الاعصاب ويرهقها بالاضراب ، فكيف حال من يؤمن بمعانيها ويتقرب
الى الله متغنيا بها منتظر ثواب الله عليها ، وهل ينتظر الثواب حقا ؟ ومن
ينتظر الثواب اذا آمن ايمانا بقول معرفه بالله (اعرف نفسك بالله ، هو عينك
لست سواء !) .

انى اعترف للقراء الاعزاء اننى قاسيت كثيرا فى البحث عنها ، ثم النظر
فيها ونقل (عينات) منها ، واسأل الله جزاء هذا ان يغفر لى ويرحمنى ويرأف
بى ان ادعت مثلها غانما فعلت رجاء منه - سبحانه - ان يكشف أمرها وأمر
قائلها ورواتها ومروجيها ومقلدى مذهبهم فى قول مثلها ، والذين (يذكرون)
الله بها ! يرجون ثوابه عليها ، ان السكوت على مثلها وهى من اشنع المنكرات
يجب على المؤمن ان يستغفر الله منه ويتوب اليه ، وقد رأينا - كيف بادرها
استاذنا ابن باديس بالانكار وعاش بقية حياته يطالب أصحابها بالتوبة
والانابة، ولم يذكر من هذه (الاشعار) سوى أبيات يسيرة مما أودى به رسول

الله صلى الله عليه وسلم وذلك يسير مما جاء فى الديوان لكن ما جاء فيه
- مما يؤذى الله - أكثر وأكبر وأكفر ! ففى الديوان 115 صفحة مما قاله
الفارس الاول ، و 28 صفحة مما قاله الثانى ، و 61 صفحة مما قاله الثالث
ورواج أكثر من مائتى صفحة من هذا الضلال يكفى لزعة أقوى الامم .
وقد اختفت الأبيات التى انتقدها ابن باديس ولكن بقيت القصيدة التى
كانت فى ضمنها والفصل الآتى فيه تعليق - وجيز - عليها .



الفصل التاسع :

أهو إعراض وصدود ؟

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ

فيما مر من أقوال صاحب الديوان ، وفي طيات (قصائده) المنقول منها والمتروك - تصرّيحاً أو تلويحاً ، أو مجازاً ، ورمزاً وكناية - ما يؤذي ويغضب رسول الله ويستفز صالحى المؤمنين وقد روينا عن الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله وصفه لـديوانه - فى طبعته الاولى انه (مملوء بالعقائد الباطنية والمحلولية والتهجم على مقام الربوبية ومقام الرسالة) وقد عرفنا ان اصل نشوب المعركة العنيفة بين ابن باديس - من جهة- وبين العليوية والعلويين من جهة أخرى - أبيات وردت فى قصيدة نشرت فى الديوان فيها إذاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وانتقدها ابن باديس - بدئت بقوله :

إن مت بالشوق منك ما عذر ينجيك

ان هذه الابيات لا توجد اليوم بالديوان المنشور فى هذه الطبعة الاخيرة عام 1982 م ، بمستغانم ، كما انها لا توجد بالطبعة الثانية التى طبعت بدمشق فى حياة المؤلف عام 1931 م ، ولا شك أنه امر بحذفها ، وأقر بخطاه فيها وعدوانه على الحضرة النبوية ، وان كان لم يحسن الاعتذار ، ولم يتبرا من غيرها من الدواهي التى جاءت فى بقية الديوان ، بل أصر عليها بإصراره على طبعه بما فيه فى حياته .

توجد بالديوان قصيدة يظهر انها هى التى كانت تتضمن الابيات المنتقدة ؛ المحذوفة وهى منشورة فى الصفحات : 87 - 88 - 89 من طبعة 1982 طالعها :

يا سيدى أحمد يا محمد صلى الله عليك
يا من بك القلب تايد وتربى عليك
لا تحرمنى يا محمد - من سنا وجهك -
- ترانى مقروح الشمد - لا زلت نراعيك

موضوع القصيدة مدح للنبي صلى الله عليه وسلم ، وعتاب عليه ، وفيها
تصريح بانه مدحه وهيا داره لاستقباله يرجو ان يزوره مرة ثم يعود للزيارة
مرارا ، لكن رسول الله ولى عنه وأبى ان يزوره مع انقضاء الايام ومرورها دون
جدوى ، حتى ان الشيخ لو وجد سبيلا الى ان يقدم له شفعا ووسطاء لما تردد
فى ذلك :

وليت عنى يا الامجد الله يرضيك
وانا فى الايام نسرد لو صبت نجاهيك (31)

ولم ينفعه هذا واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - حسب روايته -
فى الاعراض عنه ، وهو متألم يخشى نفاذ الاجل ، ويحمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الضمان ، لانه حريص - وذلك من طبعه - على ما يريد ، ولا يفرط
فيه ، ويقسم انه ما يزال يردد الصلاة عليه ولو بقى الى الابد فلن يسمح فيه
لعله بذلك يشاهد ضياء وجهه . ويقول ان هذا هو الظن فيه ، وان الكمال
- كمال الظن - واجب عليه :

هذا ظنى يا محمد - والكمال عليك - بعد المدح بقيت مرصد

فى النوم نراعيك (32)

ثم يعلن فى القصيدة ان رؤيا المنام تحققت ، ولكنها كانت على صورة لم
يرض عنها فقد قال : (رايت كائن خاطب النبى صلى الله عليه وسلم بتلك
الابيات وهو فى تدلل وترفع عنى وأنا فى احتقار وتذلل له ، فلما انتبهت
رسمتها) (33) واذا كان قد حذف تهديده ووعيده للرسول صلى الله عليه وسلم

(31) الديوان ، الطبعة الاخيرة سنة 82 ، ص 87 ، نجاهيك تقدم لك وجهاء
كشفعاء .

(32) نفس المصدر ، ص 87 ومرصد : أترصد وانتظم .

(33) كتاب الشهاد والفتاوى نقلا عن النجاح ، وتسليما بصحة الرواية .

ان مت بالشوق منكـد ما عـذر ينجيك
وقوله (للمولى نـدعـيك . . . الخ .

فانه ما حذف عتابه للنبي، صلى الله عليه وسلم فى بقاء صدوده عنه حيث
يقول فيه هو مثبت حتى الآن :

حتى رايتك يا سيدى احمد الله يجازيك
غير انك باقى شارد خايف لا نوذيك
من فعلى نعرفه فاسد ما يخفـاش عليك ، الخ (34)

ولم يتحقق له ما اراد ولا ظفر بالمطلوب واستمر فى استرضائه والالـحاح
عليه بتكرير الزيارة ولكن عبثا :

لابد فى اليوم تفاقد كى نستانس بك
والهفى ما زلت نراود متى نحظى بك (34)

وفى سذاجة بالغة يستمر فى الحاحه ، ويقدم عروضاً مغرية - فى نظره -
لارضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زاره فيقول :

قبل اليوم صبرت بزائد والآن يكفـيـك
من نعتك ترفق بالجاحـد عسى يامن بك (35)

وعبارة (يكفـيك) فيها سوء أدب حسب تعبيرنا العامى ، كما ان عبارة
(وصبرت بزائد) مثلها، ثم يحتج بانه مسلم ، وان نسبته للاسلام تكفيه ،
وانه صوفى موحد من صنع يديه :

نعجبك صوفى موحد من صنعة يديك

وهذه فى نظرنا - جرأة نادرة ، ان ينسب الى الرسول انه صنع بيده
(الصوفى) مع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالاسلام لوجه الله
وصبغة الله وهى (الاسلام لله) .

اما عروضه التى قدمها فقد دعاه ان يجربه ويصحبه ليجده يفديه بروحه :
بجعله فى بيت مفرد لا شريك له فيه ، وفى مكان رفيع محيد :

(4) الديوان ، ص 88 .

(5) نفس المصدر .

نجعلك فى بيت مفرد ليس فيه شريك
فى مكان رفيع محيد هى هذيك وذيك
ويفرش له فى البيت الحشايا واللبد مما يحسن للجلوس المريح ، مبثوثة
به الزرابى ومسدولة على نوافذه الحجب لتخفيه .

نسط لك فرش ملبد يحسن للتوريك
مبثوثة بزرابى توقد وحجب تواريك
ويستمر وصف مغرياتة انه سيبخر بيته بالعود المندد بالروائح العابقة
المصحوبة بالنسيم والشراب الحلو المود يحمله ساق من الولدان المتربين فى
دار الملوك .

واخيرا يعدة بانه سيهىء له الخلوة يتهدد فيها للصباح ، حينئذ ياتيه
بابريق فيه ماء ملذذ لظهوره ووضوئه .

ثم يخرج معه الى المسجد فى صحبة الند لنده :

نصحبك لباب المسجد يدى بيديك
نحفظك من سوء الوارد بنفس نقيسك

خيال سقيم :

ان هذا الخيال فى مدح النبىء صلى الله عليه وسلم فى غاية القصور ،
وان العتاب الموجه اليه فيه سوء أدب ، ومنه ما انتقده ابن باديس . وان
العروض المقدمة للرسول صلى الله عليه وسلم تتضمن جهلا بما كان عليه فى
حياته وبما هىء له بعد مماته ، ولو شاء ربه لاعطاه ما شاء من رخاء ونعيم ،
ولكن رضى الله له ان لا يعجل له طيباته فى الحياة الدنيا وانما تؤجل له الى
الآخرة ، ثم انه عند ربه فى أعلى الدرجات وأطيب المنازل فكيف تغريه عروض
ابن عليوة ؟ وفرشه وشرابه الحلو وفى جنة آبه ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين ، روى البخارى ومسلم من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان
عمر دخل عليه صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : « وانه لعلى حصير ما بينه
وبينه شئ » ، وتحت رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير فى جنبه فبكيت فقال
ما يبكيك ؟ فقلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وانت رسول
الله ، فقال : اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ ، اه .

انه علم ان الله اختار له ذلك فرضى به وقنع وعلم ان ذلك خير له ، ومن عجيب ان ينتبه هذا الشيخ لما لم ينتبه اليه كبار المهاجرين والانصار ! بتقديم مثل هذا العرض للنبيء بعد وفاته ، وهم الذين عاشوا معه وفدوه بالانفس والاهل والاموال ثم يقدم اليه عرضا بتهيئة « الخلوة » ليواصل (تهجد) فيها وقد انقطع عنه التكليف بالتهجد بوفاته . ثم نتساءل هل كان يشترط عليه ما كان يشترط على (الاخوان) حتى يرى الله ؟ أم كان يريد ان يروى لهم ان النبيء (ص) دخلها وتهجد فيها ؟ وهل يناسب أحدا ان يساير رسول الله صلى الله عليه وسلم (واليد فى اليد) على انه عليه الصلاة والسلام قد عصمه الله فى حياته من الناس فكيف يحتاج - فى المنام - ان يحفظه صاحب الشطحة (من سوء الوارد) ؟

ان صاحب هذا المدح تصور النبيء صلى الله عليه وسلم كأحد شيوخه يزوره أو أحد أصحابه يقدم له ما يقدم لامثالهم ، ولم ينس نفسه من تنويه بها وذكر ما يعود عليها . والعجب انه ألح فى ذكر تولى النبيء صلى الله عليه وسلم عنه وشروده عن زيارته حتى فى المنام ! ولم يخطر بباله ان يسائل نفسه - ان صحت الرؤيا - عن سببه ؟ ولو سأل العلماء من أتباعه والواقفين بتدينه لربما نصحوه وقالوا له : قد يكون غير راض عنك لاشعارك وأفكارك وابتداعك و (حضرتك) وكل ذلك متضمن للبدع والمنكرات ولم ياذن فيه رسول الله (ص) لا بالقول ولا بالفعل ولا بالقرار فكيف ترضيه بالبدع والفرش الذى يصلح (للتوريك) وبشربك المورد وبدخوله خلوتك ؟ وانما يرضى عنك ويصفح اذا وحدت الله ونزهته واتبعت سنته قولا وفعلا : « قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ... » .

الفصل العاشر :

ثانيا - الفارس الثاني : الشيخ ابن الحبيب

هذا الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدى كان حريا ان يكون أول الفرسان الثلاثة وامامهم ، لانه هو شيخ ابن عليوة وامامه ومربيه ، وهو الذى اثر فيه وكونه ووجهه هذا التوجيه واعده لمشيخة الطريقة (الدرقاوية) فى مستغانم وأوصى له من بعده • وهو - كما قال عنه صاحب كتاب الشهاد (المربى الجليل العارف بالله والبال عليه •••) عاش على حالة ربانية وسيرة نبوية أهتدى على يده الجم الغفير وانتفع به الخلق الكثير (36) توفى عاشر شوال 1327 هـ (1909 م) •

لازمه ابن عليوة و (قضى فى خدمته ما يقرب من خمسة عشر سنة (كذا) ••• ومدة ملازمته كانت له بكل احترام لما يال جهد للسعى فى مرضائه (37) وكان ابن عليوة تلميذا حريصا على (الانتفاع) باستاذة قال عنه مفتى مستغانم (كنت أشهاده ملازما لشيخه ••• بأدب كثير وهو راض عنه حتى توفى فتاب عنه وخلفه) (38) •

وقال عنه فى نظم مشائخ الطريقة وسلسلتها :

أولهم متصل الشراب من به صح وصلى واقتراى
عليه الرضا يا رب كذا المزيدي البوزيدى محمد أهل للتمجيد

(36) كتاب الشهاد والفتاوى ، ص 4 - 5 الهامش •

(37) كتاب الشهاد ، ص 5 الاصل والهامش •

(38) المصدر المذكور هامش ، ص 5 •

صفى القلب قوى السوداد جبين البشرى تقى الفؤاد
سألتك يا رب به تحفظنا عن بابك يا مولاي لا تطردنا (39)

بغض دواهي ابن الحبيب :

1 - التلميذ نسخة من استاذة : ميراث وفر !

ما شاهدناه في التلميذ من أقوال ، يوجد مثلها في أقوال الاستاذ ، فعنه أخذ ، واليه انتسب ، وبوصيته عمل وقد تقدم عنه أنه قال لمريده :

نوصيك بما أوصاني	استاذي قبل المنيا
البوزيدي كان غني	على جميع البريا
اترك كلك في مكاني	وارتق لالوهيا
وانسلخ عن الاكوان	لا تترك منها بقيا
هـذا وذاك سياني	أنظر نظـر مستويا
المكـون والاكـوان	مظاهر الوجدانيا (40)

فما نجده في أقوال ابن عليوة من الحلول ووحدية الوجود مما أوصاه به استاذة - ان صحت روايته عنه - .

ولما مات البوزيدي وقال فيه تلميذه :

لله أشكو حزني لفقد عرش الولا	فقيد الوري طرا - والله - كذا العصر
فقيد خل الثرى من بعد احتوائه	على الكل فكيف به غمة القمر
فقيد كلن فوق الكل ، والكل دونه	فيا عجبا كيف احاط به القبر ؟
وليبيكه عرش الله! والكرسى والجمما	ولتحي به الثرى فنار لها ذكر
البوزيدي محمد له من محمد	ميراث الابن للاب ولنا منه وفر (41)

هذه (الأبيات) جاءت في رثائه ، وقد رأينا أقوال ابن عليوة ، ومقالا من وصيته له وفي (البيت) الاخير يزعم أنه أخذ من ميراثه وفرا - فما نوع هذا الارث وما مقدار هذا الوفر ؟

(39) الديوان ، 103 .

(40) الديوان ، نص 23 - 24 .

(41) الديوان ، ص 100 .

يمكننا أن نعرف نوع الميراث الذي آل من الاستاذ ابن الحبيب الى تلميذه
ابن عليوة بمراجعة ديوان البوزيدى الذى نشر فى الطبعة الاخيرة الصادرة
بمستغانم عام 1982 م .

فمن يراجع ما أنتجه الاستاذ بعد ان قرأ انتاج التلميذ يتيقن أنهما من
(مشكاة) واحدة ومعين واحد .

(2) الكون فى قبضتي :

فى أول قصيدة نشرت له فى الديوان يزعم محمد بن الحبيب ان (الكون فى
قبضته) وكانت - مثل شعر تلميذه - فى فساد المبني والمعنى من اللحن
الفاحش والزعم الباطل ، والانغماس فى الحلول ووحدة الوجود ، وفيها يقول :

أنا عين للتحقيق يا من تطلب رؤيتي
أنا منهج الطريق والكبون فى قبضتي
الكون كسراب كما جاء فى الآية
هباء فى هواء عند أهل الحقيقة ! (42)

فانظر - رحمك الله - كيف يكون التحريف وسقم الفهم وفساد التأويل
والتنزيل لآيات القرآن ، فالحق تعالى ضرب مثلا للذين كفروا وانه يحبط
أعمالهم وما توهّموا انهم قدموه من خير وفى عدم انتفاعهم بما صنعوا لان
كفرهم مانع من قبوله والجزاء عليه فقال : « والذين كفروا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ
كَسْرَابٍ بَقِيعةٌ يَحْسِبُهُ الضَّمَانُ ماءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ
فُوقَهُ حِسابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ » قال الشوكاني : (المراد بالأعمال هنا
هى الاعمال التى من أعمال الخير كالصدقة والصلة وفك العانى وعمارة البيت
وسقاية الحاج ، والسراب ما يرى فى المفاوز من لمعان الشمس عند اشتداد
حر النهار على صورة الماء فى ظن من يراه الخ (43) اهـ .

فالسراب شئ مظنون متخيل ولا حقيقة له فنقل هذا الى انكار حقائق
الاشياء الكونية ونسبه الى أهل الحقيقة وادعى أن القرآن جاء به ، والمعلوم

(42) الديوان ، ص 115 .

(43) تفسير الشوكاني للآية .

لاهل العلم ان الذين ينكرون حقائق الاشياء هم السفسطائيون ، وأما أهل الحق فهم يثبتونها ، والى ذلك أشار الامام النسفى بقوله فى مطلع كتابه : (العقائد النسفية) (حقائق الاشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافا للسفسطائية).

فالسفسطائيون – كما علمناه من كتب التوحيد وعلم الكلام – هم الذين انكروا حقائق الاشياء وقالوا : ليس فى الكون شىء حقيقى ، والحواس لا يعول عليها! وقد ذكر سعد الدين التفتزاني – رحمه الله – فى محاورتهم عند شرحه للعقائد ما فحواه انه يقال لهم : (أتقولون لا حقيقة لشيء ؟ فاذا قالوا نعم لا حقيقة لشيء يقال لهم : هذه حقيقة من الحقائق ، فيقولون نشك انه لا حقيقة لشيء فيقال لهم أتشكون فى أنه لا حقيقة ؟ فاذا قالوا نعم نشك يقال لهم : شككم حقيقة من الحقائق ، فيقولون نشك ثم نشك فى شكنا وهكذا .

وقد اعترف أخيرا انه لا وسيلة لاقتناعهم الا بالقائهم فى النار فاما ان يعترفوا بانها محرقة حقا ، واما ان يحترقوا فيستراح من شغبهم .

فمن قال الكون هباء فى هواء عند أهل الحقيقة يقال له : الكون حقيقة من الحقائق، والموجودات : منها واجب الوجود وهو الله ، وجائز الوجود ، وهو ما سواه برهان الوجود للواجب : عالم السموات والارض فانه لا كائن بغير مكون وبرهان وجود الجائز حصول مثل هذا البهذر منكم !

(3) ثم يقول فى نفس القصيدة :

من بحار الجبـروت قد ظهرت نقطتى

تـلـونـت بالنـعـوت وسـر المـلـكـوت

هذا نص فى القول بالحلول ووحدۃ الوجود فهو يزعم ان كونه انسانا انما هو لون من ألوانه وانه واحد فى مظاهر الوجود :

يا خليل قل الله وحده فى الكثرة

لا ترى ما سوى الله فى كل كائنة (44)

4 - رؤية الله جهرا :

وقد سبقت امثلة من أقوال تلميذه، والاستاذ هو الاصل في هذا أيضا يقول محمد بن الحبيب :

وقفت بالباب ورفعت الحجاب فقال البواب اهلا وسهلا
ادن يا عاشق ان كنت صادق للسوى ا فارق تغنم الوصلا
ازداد حبى بنسيم القرب وتلاشى كربى لما تجلى
تجلى ما كان فى الازل وبان تراه عيان يسقى ويملا (45)
ويقول :

يسقيك حقا ظاهرا وباطنا تراه جهرا والا فلا (46)

5 - قول بنى اسرائيل ومآلهم :

تعنت بنو اسرائيل، وبلغ بهم الغرور والجهل الى ان قالوا لموسى عليه السلام:
« لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً » ، فآخذهم الله أخذ عزيز متقدر ، كما قال
يوسفهم : « فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ » ولم يكن فيما قصه الله علينا من
حالهم عبرة لهؤلاء الجفاة فيبلغ بهم الحال الى ادعاء انهم « يرون الله جهرا »
أليس فى حال هؤلاء جفاء أكبر ، وافك أكثر ؟

6 - ضريحه البيت المعمور :

أقسم الله بالبيت المعمور ان عذابه « لواقع ، ما له من دافع ، وقالت العلماء
ان البيت المعمور فى السماء السابعة ، او فى الدنيا وان (وصفه بالعمارة اذا
كان فى السماء بمن يدخله من الملائكة ويعبد الله فيه ، واذا كان هو مكة فيمكن
وصفه بالعمارة حقيقة لانه أبدا عامر بالقائمين والطائفين والركع السجود فى
كل وقت من اوقات الليل والنهار او مجازا باعتبار كثرة من تعبد ويتعبد فيه
من بنى آدم (47) .

(45) الديوان ، ص 116 .

(46) الديوان ، ص 117 .

(46) الديوان ، ص 118 .

(47) انظر تفسير الشوكاني .

وزعم هذا المتصوف ان ضريحه - أيضا - بيت المعمور ! ودعا الناس الى
اتيانه لعبادته والتقرب اليه لا لعبادة الله ، وضمن لهم الامن اذ يقول :
ايا خليلي آت - مسرعا لحضرتي - لا تخشي من آفات - ضريحى بيت المعمور (48)
وهذا بما لم يقله أحد لا حقيقة ولا مجازا وتشبيها • ودعوة الناس لمسجد
الرحال الى ضريحه ليأمنوا الآفات كلها جليلها وحقيرها • كما يفيد وقوع النكرة
فى سياق النفى ، لم يعطها اله لعباده ، وحتى حجاج بيت الله تصيبهم الآفات ،
ومنها مصيبة المرض والموت •

ولقد حصر الاسلام شد الرحال فى ثلاثة مساجد : بيت الله ، وحرم النبى ،
صلى الله عليه وسلم • والمسجد الاقصى •

ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من اتخاذ القبور مساجد
فقال : « لعن الله النصارى واليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ودعا الله
الا يجعل قبره وثنا •

مع كل هذا فان هذا « المتصوف » يدعو للاتيان بسرعة الى (حضرته)
فى ضريحه وانه بيت معمور •

7 - يرفع الحجب ! ويشاهد علام الغيوب !

وفى (شطحة) مسجلة من كلام ابن الحبيب يقول :

أنا الذى ظهرت	خمرتى منى فاضنت
والاشياء بى قامت	أنا رافع الحجب
نادانى من كل مكان	أصدع وبشر الاخوان
بالقرب مع الامان	الى يتبعك محبوب
يشرب كأس المعانى	يفنى عن كل فانى
يغيب ذات الفانى	يشاهد علام الغيوب (49)

(48) الديوان ، ص 121 •

(49) الديوان ، ص 124 •

الاشياء بى قامت ! أهكذا ؟ سبحانك - اللهم - الحى القيوم، فانت اللهم وحدك
القيوم ، ان الله سبحانه وتعالى استأثر بالغيب لا يعلمه نبى مرسل ولا ملك
مقرب الا ما شاء منه برسول ووحى كما قال : « قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ » وقال : « عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ
ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ » وهذا الذى يزعم أنه « رافع الحجب » سامع صوت ربه
- تعالى الله - يقول له : اصدع بشر عبادى بالقرب والمزيد حاشا مرورك
محبوب (50) قد ضمن لمريديه واخوانه الا يحجب غيب الله عن أحد منهم ،
بل انهم « يغيبون فى ذات الله الغانى يساعدون علا الغيوب أو علم
الغيوب » (51) .

وقد وعدهم قبله من وعد اتباعه فقال تعالى : « يَـعْـدُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ ، وَمَا يَعْلَمُهُمُ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا » .

8 - الخمار الاعظم :

لم نتهمه بهذا ، ولم نرضه له ، ولا نرضى أن نسنده الى مسلم يعلم
ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمرة والعشرة المشتركين فيها ،
ولا يمكن أن يكون ذلك محل فخر مهما كان نوع (الخمر) الذى يوزع فيها .
ولكننا وجدنا هذا الفارس يفتخر بذلك وينسبه لنفسه ويفتخر به قال
فى صفحة 128 من الديوان :

أنا البحر الواسع	أنا هو الخمار !
نسقى كل سامع	كؤوس الاسرار
فكن لى تابع	ترفع عنك الاسرار
يذهب عنك المانع	تشاهد الانوار

لم يكفه ادعاء علم الغيب حتى نسب الى نفسه انه يكون سببها لتعليم
غيره كشف الاسرار .

9 - كل قطب - كل غوث - كل والى (كلا) خاضع له :

ثم يتابع الشيخ الحبيب رواد (حائته) فيقول : فى نفس (القصيدة) :
كل قطب بسارع صافى من الاكسدار

(50) - (51) الديوان .

فلى ينابيع	بالسر والاهوار
كل غوث شايع	واسع الافكار
هو عبدى تابع	قهارا وجبار
كل والى خاضع	لى بالانكسار
حكمى عليه واقع	بدون اختيار
ومن لى ينسازع	رافض الاقرار
هو غير تابع	سادات الاخيار

هذه صفة القاهر فوق عباده فاذا لم يكن هو الواحد الوجود - سبحانه -
فانه الجبار العنيد ، وقد قال سبحانه : « وخاب ... » .

10 - الفلك الدوار فى قبضته :

ونختم هذا النقل عنه - وهو المخلوق الفانى المغرور - ويقينا أن القارىء
قد أخذ عنه فكرة صحيحة - بقول له يؤكد دعواه الاولى ان الكون فى قبضته
قال فى نفس (القصيدة) صفحة 129 من الديوان :

كل الكون الواسع	والفلك الدوار
فى قبضتى ضايع	كحلقة فى القفار
والعرش المتسع	والشمس والاقمار
فى القلب يا سامع	موجة فى البحار
كل نور ساطع	ظلام وأنوار
كل ماء نابع	والليل والنهار

ثم يعذد بعد ذلك الصراط ، والميزان ، والكوثر ، والجنان والساجد والراكم
والعاصى والطائع . كل هؤلاء فى « رضاه » طامع !

والساجد والراكم	فى الليل والاسحار
فى رضائى طامع	ورفع الاستسار
والعاصى والطائع	فى المسوت والمحشر
ملجأ راجع	لى بلا انكار

ولا تظنن ان هذه (شطحة) منه يتكلم فيها بلسان الخالق - ولا تكون هذه القدرة الا لله - بل انه يزعم أخيرا انه كل هذا له من الله ! ولم يدع شيئا من ذلك نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ولا يدعيه من يعرف الله .

فهو يقول في صفحة 129 و 130 :

هذا معطي الصانع	ما فيه انكار
الا قول القاطع	فذاك مزمار
اعزم يا منازع	ودع كل عمار
واقدم لي سارع	تنال ذي الاسرار !

ونحن نجيبك بلساننا ولسان الخلو :

نازعناك ، وكذبنا بسلطتك وقواك ، وأسرعنا اليك لنرى الاسرار فوجدناك مت وأصبحت عظامك في قبرك رميما ، ولا شك انك أدركت الحقيقة يوم جاءك اليقين ، فعلمت أن من ركع وسجد في الليل والاسحار طامعا في رضاك لا في رضا ربه أو رضاك ورضا ربه قد كان من الهالكين ، لانه اشرك - في عبادته - برب العالمين وذلك مصير كل من عبد غير الله وكذلك من رضى ان يعبد من دون الله « إنكم وما تعبدون من دون الله خصبٌ جهنم أنتم لها واردون » .



الفصل الحادى عشر :

ثالثا - الشيخ عدة بن تونس هو ثالث الفرسان ليس دونهما - سوء قول - فى الميدان

ان الفارس الثالث فى هذا الميدان الشائك ، هو الشيخ عدة بن تونس الذى خلف شيخه (ابن عليوة) فى تحمل خلافة الطريقة ، ولعب فى حياته دورا كبيرا بصحبته ورفقته فى رحلاته ، والذب عن شيخه فى مقالاته وكتاباتة . اذ كان مسؤولا عن الاعلام فى حياة شيخه ومحورا فى جرائد الطريقة كلسان الدين ، والبلاغ الجزائرى ، وعند وفاة شيخه فى صالفة عام 1934 م ، خلفه فى المسؤولية والرئاسة لانه لم يكن له عقب حتى عام 1952 م . ثم اورثها عقبه من بعده الى الآن .

وأثناء قيادته لـ « الإخوان » انحسر مد الطريقة انحصارا كبيرا . ولم تعد تظفر بالاهمية التي كانت لها ، لظروف كثيرة لعل من أهمها ما كانت تتمتع به شخصية شيخه من قوة طاغية على (الإخوان) وكفاءة نادرة فى قيادتهم و (تنويمهم) ولكن لا يمكن اهمال أهمية انتصار الفكرة الاصلاحية انتصارا ساحقا ، وذلك بفضل اليقظة الكبيرة التى عمت مظاهرها فى كل الميادين : الدينية والسياسية والثقافية وانتشار الوعى ، ورفض الناس عموما والشبيبة خصوصا فكرة (تاليه) المخلوقات والايمان بان الشيخ هو الاله ، وليس سواه وانظر اليه تراه ، كما ان فكرة (ألوهية) البشر والشجر والبقر ، والشمس والقمر ، والبغال ، والحمير ، وأن الفانى هو الباقي - مما يثبت فى (أشعار) وحدة الوجود - لم تعد تجد من يميل الى سماعها والاطمئنان الى من يقولها . والتصديق الكامل بها .

رغم كل هذا فان ثالث الثلاثة من هؤلاء (الزعماء ، الدينيين - لهذه الطريقة . لم يكن دون سابقه ابن الحبيب وابن عليوة في تكرير هذه المزاعم، وفي الجهر بالسوء من القول .

وقد سماه « ديوان المحبين في مقامات العارفين » وعرف به هكذا للعارف المطبوع في مستغانم عام 1982 م ، وقد تضمن أشعار الفرسان الثلاثة ، وتضمنت أشعار الاولين 143 صفحة ، وألحق بها ديوان للشيخ عدة وتضمن 61 صفحة وتعتبر هذه طبعته الثالثة له . وصدرت منه طبعتان في حياة (الشاعر) صدرت الاولى عام 1947 م ، والثانية عام 1951 م .

وقد علمنا ذلك - بفضل ما نشر على الناس في (ديوان ابن عليوة) بالله ، والدال عليه المشهور بتلقين الاسم الاعظم الشيخ عدة بن تونس المستغانمي .

والملاحظ هو ان التعريف بالمشائخ واحد : كل منهم عارف بالله دال عليه ملقن لاسمه الاعظم .

والديوان نسخة من الديوانين السابقين في سوء القول وفساد المبني والمعنى : لحن فاحش ، وعربية تتبرأ من أسلوبها لغة العرب الفصيحة والدارجة ، ومعان سقيمة ، أولا تجد لها أدنى معنى ، تخليط عجيب لا يصدر الا عمن ليس بمسؤول عن قوله .

ولا نطيل في ضرب الامثلة من هذا الديوان ، فكفى ما مر من « الشيخين » فان لاحظنا شيئا جديدا لفتنا اليه النظر .

وكما مر ننبه الى ان اعتذارهم الدائم بان كلامهم « شطحة أو شطحات » لا يقبل لان « الشطحة » ينطق بها « الشطاح » في غيبوبة فتروى عنه وتنقل حينئذ . اما ان يكتبها هو بنفسه أو يملئها وهو في وعيه وينشرها ويروجها فهذا لا يكون الا عن « عمد » وسبق اصرار . وهذه أمثلة من سوء القول :

1 - من رآه رأى الله - تعالى الله -

هذا زعمه فيما نشر في حياته ونسب اليه بعد مماته اذ قال مقسما على قوله بالله - تعالى الله -

والله من رأى من غير ما شبه رأى الذى ما له فى الكون من عدد
أما العدد اذا حققت صورته وجدته واحدا ما له من قسدد
ورقم ثانية كرقم ثلاثة كل منها قائم بالاحد الصمد (52)
الذى ما له فى الكون من عدد هو الله الواحد الاحد فى ألوهيته وفى
ربوبيته لا شريك له ولا نظير ولا مثيل . واما الشيخ عدة فهو مخلوق ضعيف
فان ، فانى يكون الجائز الوجود نفس الواجب الوجود ؟
أليس هذا قول الحلج : أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا ؟ فكلنا ناقص
سكنا بدنا .

فاذا أبصرته أبصرتنى وإذا أبصرتنى أبصرتنا
أما ان يكون الثلاثة واحدا ، والواحد ثلاثة كما زعم فى قوله :
ورقم ثانية كرقم ثلاثة كل منها قائم بالاحد الصمد
فهذا ما لم يعهد فى اعتقاد المسلمين ، وانما النصارى هم الذين قالوا :
« ان الله ثالث ثلاثة » ثم علموا ان هذا يخرج بهم من التوحيد الى الشرك
فزعموا أن الواحد عين الثلاثة ، والثلاثة عين الواحد ! ولا يدرى أحد كيف
يكون الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحدا . فزعموا أن (الله) مركب من اقانيم
ثلاثة : الاب والابن وروح القدس ، تعالى الله عما يقولون .
2 - انت مخلوق وغير مخلوق :

ويقول فى صفحة 6 :

تنازعنى روحى وشبحتى فمن أنا ؟ لقد حرت فى أمرى فمن لى بمن يدرى؟
فان قيل روح بقيت بلا شبحتى وان قيل لى شبحتى فأين روحى تسرى؟
ضللت - ورب العرش - لولا دليله «هل آتى على الانسان حين من الدهر»
فايقنت ان الشئ روحى ومهجتى ولم يكن مذكورا فى عوالم الامر (53)

(52) الديوان - فى ذيل ديوان ابن عليوة المطبوع فى مستغانم عام 1982 ص 4
(53) الديوان الملحق بديوان ابن عليوة المطبوع عام 1982 ، ص 6 .

(3) هل يعلم رسول الله ما فى الضمير ؟

وهل يجوز له ان يعبد من دون الله ؟

يقول الشيخ عدة فى صفحة 37 :

الا يا رسول الله انى مقصر وأنت على علم من قصدى ومطعمى
الا يا رسول الله غثنى بهمة تقينى مما همنى وان عز منجى
أنا الضعيف ما لى سواك ينتصر ولولاك ما كنت ولا كان مشرعى (54)

ان محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله امره ان يقول :
« قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ
لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ » فلا يعلم من الغيب الا ما علمه الله ، وقد كلفه الله
سبحانه ان يحكم بالظاهر وهو وحده يتولى السرائر . وقد اذن - يوم
تبوك - لمن ادلى له بعذر قابلا منه ظاهره مما ادلى به فقال له الله :
« عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ، لَمْ أَذْنُتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الْإِيمَانُ مِنَ الْكَافِرِينَ » .
وقال أيضا فى هؤلاء المعذرين : « وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ، وَمِن
أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ » فإسناد علم الضمائر
- مطلقا - الى النبى اسناد باطل ومعتقد مبتدع ، ومن قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم : (أنت على علم من قصدى ومطعمى) دون ان يخبره بذلك
الرسول نفسه - فداء أبى وأمى - فقد بهته ، وقد حدث ذلك مرات أطلعه على
ما فى الضمائر كما فى قصة عمير بن وهب رضى الله عنه وما اتفق عليه مع
صفوان بن أمية من إرادة اغتياله ، وكذلك مع غيره من فتيان أرادوا به سوءا .
وأما دعاء الرسول واستغاثته - فيما وراء الاسباب - فانه صلى الله عليه
وسلم يتبرأ ممن دعاه كما تبرأ عيسى عليه السلام ممن اتخذوه وأمه إلهة
من دون الله .

وأما قوله : (أنا الضعيف - ما لى سواك ينتصر) .

فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخلقه ولا يصح ان يوجه اليه مثل
هذا التوحيد فقوله : (ما لى سواك) افراد له بالتاليه والدعاء ، وليس فى

(54) الديوان فى ذيل ديوان ابن عليوة ، ص 37 .

هذا تعظيم النبيء وتعزيره وتوقيره الا على طريقة النصارى الذين ألوهوا عيسى عليه السلام فتبرأ منهم «ما قلتُ لهم إلا ما أمرتني به أن اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ»

واسترسالا في منهجه يقول :

يا رحمة أنزلت في صورة أحمد فكانت رسول الله اليه مرجعى
الوذ به ، ومن يلوذ بجاهه تسامى به البخت الى اعل مرفع (55)
ان المرجع الى الله وحده ، الى الله مرجعكم جميعا ، وتقديم المجرور على
عامله يفيد الحصر ، وهو مقتضى التوحيد وديانة الموحدين . اما قول هذا فى
رسول الله صلى الله عليه وسلم (اليه مرجعى) فانه عليه الصلاة والسلام
سيُتبرأ منه . وانما يلوذ الموحّد ويستعيذ بالله .

4 - الموتى يتكلمون :

انّ ما نسبته للرسول صلى الله عليه وسلم أثبتته لشيخه ايضا فقال :
العلاوى يتكلم لمن ينده به الحاضرين سلم ردوا السلام عليه (56)
ومعنى الكلام واضح - فهذا المعرف بالله يقول لإخوانه الجاهلين ان الشيخ
العلاوى يجيب من دعاه (كلمة نده عربية صوت وفى عامتنا معناها استنجدته
وطلبه) فيسمع صوت استجابته ، ويسلم على الحاضرين فيردون السلام
عليه !

العلاوى يا لبيب - له صوت عجيب - ليت لك نصيب - منه لتدريه
تأتى لك العلوم - من الحى القيوم - تغنى عن الرسوم - بالذى يوحيه
ومعناه ايضا ان العلاوى يمتاز بسر عجيب من ملك نصيبا منه اتته العلوم
وحيا من الله الحى القيوم . واعتقاد المسلمين أن بوفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم انقطع الوحى وعلمه المسلمون واجمعوا عليه .

وفى صحيح مسلم أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ذهبا لزيارة أم أيمن
رضى الله عنهما لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزورها فى حياته .

(55) المصدر السابق ، ص 37 .

(56) المصدر السابق ، ص 39 .

فيما جاءها رحبت بهما ثم بكت فقالا لها : ما يبكيك ؟ قالت انى والله لاعلم ان ما عند الله خير لرسول الله مما عندنا ولكنى أبكى لانقطاع وحى السماء ، فبكيا لبكائها فاذا كان أبو بكر وعمر وأم أيمن يعلمون ان الوحي قد انقطع فمن زعم ان الوحي يأتيه أو يأتي شيخه من الحى القيوم فقد ضل وغوى ، وفى الكفر والهاوية هوى .

5 - من رآنى رآه فى حلتى :

فى القديم قال امام الحلولين الحلّاج (ما فى الجبّة الا الله) فاستحق الموت بعد محاكمة . وهذا ما يقوله مثله هذا (الشطاح) .

طبّت نفسا بالطرب والغنى ؟	وحسلا سكرى
بين عود والحنّ تجتنى	لسذوى الذكر
يا لها من سلوة (حضرته	والكأس مالى
وحبيب من بين أحبّتى	كالبدر العالى
من رآنى رآه فى حلتى	انه السوالى

6 - مولى سطوة !

ومن (شعره) ما يعلن عن مبالغات عظيمة فى تقديس المخلوقات ، وذلك اخلق بالعبادة وأقرب اليها ، وبسوء الاعتقاد والبعد عن السداد والخروج عن الرشاد اليق .

جاء فى مدحه شيخه - بعد موته - ما يجعله تارة يعتبر يده نسكا . تستحق التقبيل ، ويشبهها بالحجر الاسود أثناء نسك الحج والعمرة والطواف - والمسلمون لا يقدسون الحجر الاسود تقديس العبادة - وقد قال له عمر : والله ما أنت الا حجر ، لا تنفع ولا تضر ، ولولا انى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك .

ويقول الشيخ عدة فى يد شيخه :

يده كالحجر الاسعد الناس عندها تداول

أرطب من الحرير الفاني ! (57)

وتارة أخرى يزعم - انه من أهل الخلوة ، والسطوة ، والخطوة قريب ، حاضر ، جايز غير عاجز .

هذه الصفات بخلاف ما وصف به عمر الحجر الاسود الذي وضعه موضعه وصارحه انه لولا ان رأى رسول الله يقبله ما قبله ، فأمر تقبيله (تعبدى) غير معقول المعنى . اما (تقديس) هذا الشيخ فلانه مولى سطوة ، وصاحب خطوة قريب (ممن) ؟ حاضر (أين) ؟ غير عاجز (عم) ؟

قال الشيخ عدة فى ذلك :

سيدى من أهل الخلوة أحكيم عارف بالله فايـز
وأصل مولى سطوة عند مولاه جايـز
والى من أهل الخطوة قريب حاضر ماهوشى عاجز (58)
هل يريد ان يقول ان له سطوة عظيمة تخول له التصرف فى الكون ، وله
جاه كبير تجوز تصرفاته وهو - بعد ذلك - قريب ممن ناداه حاضر عنده
ينجده ويحقق له ما أراد منه ولا يعجز ، هل يريد ان يحول اليه ما جاء فى
قوله تعالى : « **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِِبْ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا
دَعَانِي** » .

7 - عبد الله ام عبد مخلوق :

ثم يتوجه اليه فيقول :

أنا عبدك مملوك من عبيدك معتوق أمحرر
صافى ما فيه شكوك فى مديحك ينسج ويعبر
ساقى من أهل السلوك فى مقامك يذكر ويعمر (59)

فهذا أقرب لدعاء (الرب) والتذلل اليه، وحتى من عبد هبل من أهل الجاهلية لم يعترف له بهذا وحتى فرعون الذى قال أنا ربكم الاعلى لم نعلم

(57) الديوان ، ص 42 .

(58) الديوان ، ص 51 .

(59) الديوان ، ص 51 .

انهم صدقوه وتذلّلوا له ، ثم تأمل التناقض فى اللفظ : كيف يكون من جهة عبدا مملوكا صافيا ما فيه شكوك ، ومن جهة أخرى محررا معتوقا ؟ ثم ان المؤمن يعمر مساجد الله ، فهى التى أمر ان ترفع ويذكر فيها اسمه . أما (المقامات) فقد أحدثتها الباطنية وعبدوا ساكنيها وطافوا بقبورهم كما يطاف بالبيت العتيق .

وفيه يقول :

رانى مهموم يا علاوى سيد القوم قلبى مكلوم حار عقلى فى الملاجى
جسدى محموم والعقل مايج مقسوم واعيتت نقوم ما نفع عومى فى أمواجى
غث المظلوم ما أبقى لى جهد اليوم رانى مغموم فى اعقالى كالواجى (60)

هذا دعاء حقيقى ، وتضرع من عاجز ذليل ، وعبء حقير امام القوى العزيز ، والذى لا يموت القادر على كل شىء ، فلا يكون من العبد الا امام الله .

اذ من المعلوم ان الدعاء هو العبادة ، او هو مخ العبادة كما جاء فى الحديث . فالحق ان هذا شىء جديد فى اقوال هذا (الفارس) الثالث لم يمر بنا فى اقوال شيخه وشيخ شيخه . بل راينا منهما دعوى القدرة والسطوة .

اما هذا فقد اعترف بـ (العبودية) لشيخه ، وتوجه اليه بدعائه وتضرعه اليه رجاء اىصال النفع او رفع الضر عنه ولو فعله فى حياته مستغيثا ان ينجده بالاسباب العادية لجلب نفع او دفع ضرر لوجد له عذر .

اما ان يتوجه اليه بعد موته طالبا دفع الضر وجلب النفع بما وراء الاسباب فانه لا محالة يصدق عليه قوله تعالى : « إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ ، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » والله العليم الخبير ، وهو ولينا وناصرنا ونعم المولى ونعم النصير .

8 - خاتمة هذا القسم :

اذا كان الشيخ أحمد بن عليوة لم يرث (مشيخة) الطريقة عن سلف له ، وانما أورثه أياها شيخه البوزيدى فنهض بها ، ونشرها ولقى فى ذلك

الاهوال حتى أتم تجديدها ثم لم يورثها لبنيه لأنه لا عقب له - فان الشيخ عدة له عقب أورثه (المشيخة) شأن نظام (الملكية) الوارثية ، وما جرت عليه (الطرق) فى بلادنا .

ومن شأن هذه النظم الوارثية ان تبدأ قوية نشيطة ثم يتطرق اليها الضعف - والوهن ويسرع اليها الخراب لانه يندر ان يكون فى (الخلف) قوة السلف وكفاءتهم .

وقد رأينا ما فى أشعارهم وأذكارهم من ذكر الشراب والخمرة ، والسكر والسكره، والرقص والاهتزاز ، والغناء والطرب، والارتجاج، والتغزل فى ليل وسعدى، كما كانت لهم اتصالات مربية فى الداخل وفى الخارج - مع الذكور والاناث من المسلمين، والاجانب والاجنبيات، ورجال الكنيسة والقداسة ، والسر والسياسة ، وجاء الاستقلال والدولة، والحكم والصولة، والقوم فى غواياتهم سادرون، حتى انكشف منذ سنوات وانجلي السر عن فضيحة كبرى فى مركز ، (المشيخة) ولم يسلم منها نفس العارف بالله والداال عليه ، و (الهادى) الى اسمه الاعظم .

واذا بالخمرة هى الخمرة التى تسكر حسا ومعنى منها الشامبانيا والويسكى - هى السكره ولا تقتصر على تناول الكحول ولكن تتجاوز ذلك الى (المخدرات) واذا بليلى وسعدى من الفاتنات هن مريان وليان من الباريسيات، وتدخلت الشرطة والعدالة ، وكانت فضيحة تزكم الأنوف .

أحق هذا أم هو من قبيل الدعايات ؟ لقد خاضت فيه الجرائد وكشفت مخزيات وزار العارف بالله السجون ومثل أمام القضاة .

وما كان هذا ليقع أيام الأولين ولكن صدق عليهم قول رب العالمين : « فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا »

« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » .

باب النشر من قوله :

الفصل الاول

النشر لا يقل - نكرا وشناعة - عن الشعر

ربما يقول القائل هذا شعر الشيخ ، أو شعره وشعر أصحابه - قد قرأناه وشربنا منه حتى الثمالة - فمجبنا وانكرناه . غير ان الشعر وحده لا يكفي للحكم . وقديما كان الشعراء يتهمون ويشترثون ، وقد قال الله فيهم : « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » فهو وأصحابه من الشعراء ، لم يشذوا عنهم ، ولا خرجوا عن سنتهم ، وما تبعهم في مزاعمهم الا الغاؤون .

وأقول : سؤال وجيه ، واعتراض من نبيه ، لو كانوا شعراء حقا ، وكان قولهم قصائد سليمة مقبولة في فن الشعر ، جميلة جمال نسجه . ولكن ما رأيناه - مما سموه شعرا - يتبرأ من شاعر يتهم به الانس والجان .

ومع ذلك فانك اذا نقبت عن (نثرهم) وجدت فيه ما في شعرهم ، أو ما هو أدهى وأمر منه في المبنى وفي المعنى .

لقد نسبت لشيخهم الاعظم كتب كثيرة ، وان عرف من الخاص والعام أنه أمي أو يكاد يكون أميا ، وما دام لم يتبرأ منها فهي له ، وان نحله اياها أقوام ونسبوا قولها له . وفي هذه التآليف ما يدل على عاميه وجهل واضح وتخليط عجيب لا يعرف عن عاقل يعرف (العلم) أو (الثقافة) وينتسب اليها ، بل من الحرى أن يترفع - لو كان يعلم - عن نسبة مثل ذلك الكلام اليه ، فضلا

عن التبجح به والتباهى بقوله • وقد تبجح الشيخ بشيء منه • أمام شهود عليه لا يتهمون كالاستاذ أحمد توفيق المدنى •

ومن هذا النوع من كتبه شرحه على (المرشد المعين) وهو كتاب الامام ابن عاشر ، منظومة فى 314 بيتا من رجز الشعر ، اشتملت على مقدمة فى علم الكلام (أصول الدين) وعلى خاتمة فى علم التصوف ، وبينهما الكلام على الصلاة ، وما يتعلق بها ، والزكاة ، والصوم ، والحج •

وكان هذا الكتيب المفيد قد نال القبول فى شعبنا ، والتف حوله العلماء والطلبة والعامّة كلهم يهتم به • فالعلماء يقرئونه ويشرحونه ، والطلبة يحفظونه ويدرسونه ، والعامّة يحضرون دروسه ويستفيدون مما فيه • فلا يكاد احد يجهله ، لا فى المدن والقرى فحسب ، ولكن حتى فى البادية •

الشيخ من العلماء :

ولما كان الشيخ ابن عليوة من العلماء ! - كما أكدّه العلامة أبو يعلى الزواوى رحمه الله فى مشائخ الطرق كلهم ، وان كان الخاص والعام يعرفون جهل أكثرهم - فقد عز عليه أن (يفلت) منه (ابن عاشر) والا يقول فيه •

وهكذا (درسه) لاتباعه أولا ، ثم أثبت عليه أريحيته الا ان يشرك غيرهم فى الانتفاع بدراسته فألف شرحا عليه • لكنه ليس شرحا عاديا ، بل هو خارق للعادة ! كما أن الشيخ خارق للعادة لان الذى يؤلف المتون والشروح والحواشى يجب ان يكون محصلا للعلوم ، معترفا له بذلك من العلماء مجازا منهم • وانى له ذلك ؟ ولم تسبق له دراسة ؟ لهذا جعل علمه فيه من نوع (العلم اللدنى) مما يمنحه الملك القدوس !

المنح القلوسية ، فى شرح المرشد المعين بطريقة الصوفية

بهذا سمي شرحه ذاك حتى لا يحتاج الى علم كسبى ، انما علمه (منحة) ولا الى علم يتعب فى تحصيله واتقان أبوابه وفصوله وفروعه • ففن التصوف يستطيع ان يتكلم فيه كل من هب ودب ، وحتى المجاذيب والمجانين ممن سقط عنهم التكليف ، فكم فيه من (شطحات) منسوبة اليهم • محفوظة عنهم معتبرة فى الحكمة وفصل الخطاب ! وهكذا زعم ان ما فى الشرح (منح) • وخصها بعلم الصوفية •

لابن عاشر ظاهر وباطن !

كنا نعلم ان أعداء الاسلام - من غلاة الشيعة الملحددين الحاقدين على الاسلام وأهله، العاملين لهدم شريعته ودولة العرب - أدعوا أن للقرآن الكريم ظاهرا وباطنا ، ظاهره يفهمه عامة الناس ممن طلب علمه ، وباطنه يختص به أئمتهم - أعنى أئمة الباطنية - لا بطلب وكسب ، ولكن يأتيهم العلم بالهام ووحى ونسبوا لهم العصمة وأوجبوا لهم الطاعة . وكم جاءوا - فيما أخبروا انه من العلم الباطن - بالغث والقبيح والسخيف المسترذل .

والباطنية المعاصرون - ومنهم العلويون لا بتسمية منا ، ولكن بتصريح منهم وادعاء - لم يكتفوا بدعوى اسلافهم من نسبة الظاهر والباطن لآيات القرآن ، بل عمموا ذلك حتى لمنظومة ابن عاشر رحمه الله ، وهذا ما صرح به الشيخ أحمد بن عليوة في شرحه ذلك اذ قال في مقدمته ، للشرح :

(وفقنى الله لفتح مغلفات هذا النظم المجيب المحتوى - ظاهرا - على اركان الدين وباطنا على مسلك من مسالك الاشارة غريب فوجدته ، قد أقبل على ظاهره جم غفير من أهل الظاهر وتوقفوا (كذا) في التفحص عن باطنه **أهل الباطن غيرة منهم على افشاء السرائر** ٠٠) الصفحة 7 (الطبعة الاولى) فهو الذى ذهبت عنه الغيرة من أهل الباطن ولم يتوقف وأقبل متبرعا - موقفا - الى كشف السرائر !

التنويه بعلم الباطن

وأهل السنة - منذ عهد الصحابة حتى اليوم جميعهم ينكرون ان يكون للشريعة ظاهر وباطن أو للقرآن معان غير التى تحتملها آياته والفاظه على مقتضى نسجه العربى ، وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أمر ، ونقله عنه أصحابه الى الامة الاسلامية فورثته بما أورثها الله اياه : « ثم أورثنا **الكتاب الدين اصطفينا من عبادنا** » .

اما الشيخ فقد اختار مذهب الغلاة من شيوخ الباطنية ، وأخذ يتحمس لعلمه الباطن الغالى ، وزعم ان من لا يكون له حظ منه يخشى على نفسه ، يقول : « علم القوم مأخوذ من كشف وعيان . . وهو باطن القرآن ، وظاهره منزله عن التغيير فاحرى بباطنه » ص 9 .

وها هو ينقل عن الغزالي ما زعم أنه قول مروي عنه فقال عن بعض العارفين : (من لم يكن له نصيب من هذا العلم - أى علم الباطن - أخاف عليه سوء الخاتمة ، وادنى نصيب منه التصديق به ، والتسليم لاهله) اه .
(ص 10 - 11) .

لابد من اشتراط هذا الشرط وهو (التسليم) لان المسلم قد يفاجأ بالدواهي والطوام من باطنى. يأتى بها علم الباطن فيثور ، لكن اذا كان من شرطه (التسليم) فانه سيذعن ويمد رقبته للذبح .

ولهذا نجد ان الشيخ انتهز فرصة نقل هذا الكلام عن الغزالي - ان صح النقل عنه او صدر منه - فقال لمريده (فتدلل - يا أخى - لهم لعلك تحظى بودادهم) اه . ونحن نقول لكل مسلم : لا تدل يا أخى - نفسك فان المؤمن عزيز بايمانه فاعتز - أيها المؤمن - ولا تدل الا لخالقك ، فان الذل لله عز ، والذل لغيره مهانة وحقارة وعبادة له من دون الله .

الفصل الثانى

العلم والولاية ، والتزهيد فى العلوم

والمعلوم من شريعتنا أنها رفعت من شأن العلم والعلماء ، وحكمت بأن العلم خير من الجهل وأشرف ، والعالم خير من الجاهل وأكرم . قال تعالى : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ؟ والاستفهام انكارى : أى لا يستوون ، والعلماء أعلى درجة . وقال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجاتٍ » وقال جل وعلا : « إنما يَخْشَى اللهَ من عباده العلماءُ » وقال - تقديست أسماؤه - « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » وأمر من علمه من لدنه حقاً بطلب الزيادة من العلم فقال : « وقل رب زدني علماً » .

وما كانت أمية النبي صلى الله عليه وسلم الا لاقامة الحجة على الناس - قديمهم وحديثهم - بصدق نبوته ، لانه جاء بما لا يمكن ان يعلمه او يأتى به بشر من عنده ، ولم يكن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تعلم ، وانما كان بعلم وتعليم من الله سبحانه قال : « وانزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضلُ الله عليك عظيماً » .

وأما شريعته فقد أمرت بالقراءة وطلب العلم ، وكانت أولى الآيات نزولا قوله تعالى : « إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم . . . » . ثم كان (ص) يقرأ القرآن الذى انزل عليه آناء الليل واطراف النهار ويعلم ويفهم ما فيه .

ولكن صاحبنا - لما كان أميا - كان داعية الامية والتزهد فى العلوم ، فهو يقول فى نفس هذه المقدمة للشرح عن الاولياء وعلم الباطن :

(لا يقفون مع ظاهر الالفاظ ، وانما ينظرون الى المعنى الدال على المراد ، ولا يلتفتون للحن ولا اعراب . بل يأخذون المعنى حيث وجدوها (كذا) فهم ناظرون لاشارة الارواح ، غافلون عما يتلفظ به اللسان . . ما اتخذ الله وليا جاهلا الا وعلمه ، وابتداء التعليم به ثم بأحكامه . واما بقية العلوم فليست هى شرطا فى صحة الولاية ، وانما هى شرط كمال ، وذلك كالنحو والصرف والمعانى والبيان وعلم اللغة ، وما أشبه ذلك من العلوم التى أكثر الصوفية لا خبرة لهم بها لعلو هممتهم وشرف رتبته عند الله وغنائهم بمعرفته . .) اهـ (صفحة 15 من الشرح المذكور ، طبعة أولى) .

لعله يعنى بقوله (جاهلا) ما هو فى لغة العرب (أميا) فالله سبحانه لا يتخذ (جاهلا) بالمعنى الشرعى - وليا له ، وأما الامى الذى لا يقرأ ولا يكتب فقد يكون عالما بالرواية والسمع والحفظ كالأعمى ، وكان بعض أصحاب مالك المواظبين على طلب العلم ، والذين أذن لهم مالك فى الافتاء لا يحسن الكتابة ، كان يكتب له أشهب بن عبد العزيز .

وهذه العلوم التى ذكرها وزهد فيها كانت فيهم سليقة كالنحو والصرف والمعانى والبيان وعلم اللغة ، فمن جهلها - فى عصرنا - أو فى العصور الاولى - لا يوثق بعلمه وفهمه لكتاب الله وسنة رسول الله .

وهذه العلوم التى خصها بالذكر وزهد فيها ، واستهان بها ، اشترطها كلها علماء الاصول لتحصيل رتبة الاجتهاد ، والمجتهد هو الذى يقوم مقام النبى (ص) فى الفتوى والتبليغ ولا يمكن ان يتوصل - الى ادراك معانى النصوص فى القرآن والحديث وهو يجهلها ، ولكن أكثر الصوفية يجهلونها . كما ذكر وهو الذى أوقعهم فى الطوام والدواهى . ومن كان منهم - حقا -

على الهمة ، شريف الرتبة ، لا يكون جاهلا بها ولا زاهدا فيها ولا راغبا عنها ،
ثم من أدراه بشرف رتبته عند الله ، وانهم عرفوه - حقا - ؟

انما يعرف الله حق معرفته من آمن به وبرسله وكتبه واليوم الآخر ، ولم
يشرك بعبادته أحدا ، واطاعه فلم يعصه وذكره فلم ينسه وشكره فلم يكفره ،
وكان فى سلوكه متبعا لا مبتدعا « قل ان كنتم تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ
الله » . وقد نهى الرسول (ص) عن الشهادة لاحد بعينه بالنجاة كعثمان
بن مظعون الذى كان من أعظم المهاجرين واتقاهم واعبدتهم وازهدهم فى الدنيا
فكيف بغيره من الاصحاب ؟

الفصل الثالث :

أمثلة من المعاني الباطنية !

لابد أن القارئ الكريم يود ان يسمع شيئا من هذه الاقوال الباطنية فى
شرح كلام ابن عاشرالذى أراد به تعليم الناس أحكام دينهم بالفاظ عربية بسيطة
سهلة وحقق غرضه ، وقبل الله عمله ، فجاء هذا الشيخ وزين له الشيطان ان
يزعم ان لكلام ابن عاشر ظاهرا علمه الناس ، وباطنا غاب عنهم ، وقد كشف
هو أسرارہ .

وفيما يأتى نذكر أمثلة تشبع فضول القارئ وان اثارته اشمئزازهم .
يقول ابن عاشر رحمه الله :

وكل تكليف بشرط العقل مع البلوغ بدم أو حمل
أو بمنى أو بانبات الشعر أو بثمان عشرة حولا ظهر

ومعنى البيتين واضح ، ففاقد العقل لا تكليف عليه ، ولا يخاطب بأحكام
الشريعة . والقوانين الوضعية - كالقوانين السماوية - تعفيه . كما ان
البلوغ شرط فى التكليف ، فالانسان الذى لم يبلغ لا يخاطب خطاب تكليف،
فلا اثم عليه ان ترك الصلاة أو الصيام لانهما لما يجبا عليه ، ولا عقاب عليه ان
عصى وأقدم على فعل محرم . وذكر علامات البلوغ منها (نزول دم الحيض
على الجارية ، أو حملها جنينا ، ومنها نزول المنى باحتلام أو بمعاشرة جنسية
أو بتذكر ... الخ . ومنها نبات شعر العانة والابطين ... ومنها بلوغ الفتى
أو الفتاة 18 حولا اذا لم تظهر العلامات المذكورة لعل ما .

هذا هو معنى البيتين في الظاهر .

فاستمع الى ما يزعمه الشيخ أحمد بن عليوة في شرحه الباطنى :

(ومعنى البلوغ هو أن يكون المكلف بالغاً في معرفة الله بالشهود ، ومبالغا بحيث عرف الله معرفة لا يعترىها وهم ، ويكون سبق له الاستغراق في الذات ، لا في وجود الصفات كان يكون حصل له الغناء في الاسماء أو في الافعال أو في الصفات ولم يكن له اطلاع على ما تقتضيه الذات من اضمحلال سائر المكونات ، فهذا ليس بمكلف ان يعرف الله بسائر التجليات لعدم البلوغ في مقام الرجال . واذا كان بالغاً كما ذكرنا فيكون في ذلك المبلغ فقيد العقل مخلوق وهو قد خرج من عالم الخلق ومثاله كالمجذوب فهو ليس بمكلف ان يجمع بين المقامين المذكورين لعدم العقل) (ص : 31 - 32) .

الفصل الرابع - الوهية البشر :

فتش عن نفسك تجد نفسك انت الله تعالى الله

وتكلم ابن عاشر على الصفات المستحيلة في حق الله فقال :

ويستحيل ضد هذه الصفات عدم الحدوث ذا للحادثات (ص39)

يعنى أن الواجب لله القدم والبقاء ويستحيل عليه عدم والحدوث ، ولكن الشيخ فسر البيت بأنه يريد انعدام كل شيء في الوجود لانه - عند أصحاب وحدة الوجود (ما في الوجود الا الله) .

قال الشيخ ابن عليوة (ص 39) : (أخبر هنا ان كل ما يستحيل في حق الله فهو واجب في حق العبد والعبد عند القوم هو العالم من عرشه الى فرشه أى كل ما تنفس من كلمة كن ، فهو غير ، والغیر يجب في حقه كل ما ذكره في البيت وهو قوله عدم والحدوث ذا للحادثات ، فينبغي لك - ياخى - ان تحقق وضعك وتنظر بعين قلبك لابتداء وجودك حالة بروزه عن عدم فاذا تحققت وصفك بمدك باوصافه . فمن أوصافك عدم المحض فهذا وصفك ووصف العالم بأسره ، فاذا أقررت بعدمك بمدك بوجوده ، وان نسبته لنفسك فقد بارزته بنعمه وكيف تنسيه لنفسك وبرهان عدمك في نظرك وهو حدوثك فقد تعلم من نفسك أنك كنت بالامس معدوما « هل أتى على الانسان حين من

الله لم يكن شيئاً مذكوراً ، فمن أين لك بهذا الوجود ؟ ومن أشهدك للمشهود
وابرزك للشهود ؟ فانت لم تزل معنوما والموجود لموجوده لقد قدره وظهر
فيه ولولا ظهوره في المظاهر ما وقعت عليه البصائر وذلك قول بعضهم
هو موجود الاشياء وعين وجودها ولولا وجوده ما بان وجودها

ومن أوصافك أيضا الفناء ، فانت يا أخى فان من قبل ان تفنى ، ومتلاش
من قبل أن تتلاشى، وزائل من قبل ان تزول، فانت وهم في وهم، وعدم في عدم،
فمتى وجدت حتى تفنى فما انت الا كسراب بقية يحسبه الظمان ماء حتى
اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده ، فلو فتشت نفسك لم تجدها شيئا
وتجد الله عندهما . أى تجده بدل ان تجد نفسك ولم يبق منك الا الاسم
بلا رسم لكون الوجود من حيث هو الله لا لنفسك فلا يمكن له ان يكون في
الشهود واقفا مع الحدود . . . فكيف يكون مع الحدود من غاب عن الوجود ؟
أم كيف يراعى الخلق من غاب في توحيد الحق ؟ أم كيف يثبت الأكران من لم
يجد لها مكان ؟ كان الله ولا مكان وهو على ما عليه كان . وهل تحيز في مكان
حتى يكون لذلك المكان مكان ؟ ما ظهر المكان الا في نظر الصبيان اذ لو كان
موجودا لكان بينه وبين الله حدود . . .) ثم قال : قال سيدى أبو مدين
الغوث :

فلا تلم السكران في حال سكره فقد رُفِعَ التكليف في سكرنا عنا
وحاصل الامر أن المكلف بالجمع بين الحقيقة والشرعية يشترط فيه أن
يكون عاقلا بالغاً كما ذكرنا . والبلوغ له خمس علامات ، فاذا وجدت واحدة
منهن في مريد التصوف وقع عليه التكليف وجوبا بحيث تراعى سائر
التجليات ويلزم أداؤها ، فمن علامات بلوغ المريد لمقام الرجال ان ينطق بالحكمة
أو فهم حقائق الاسماء ، أو يغيب عن حسه في مشاهدة ربه في ابتداء أمره
أو يتكلم على لسان ربه أو يشهد له بها شيخه واخوانه . فاذا ظهرت علامة
من هذه العلامات على ظاهر الفقير كلفناه بالادب في سائر المظاهر فهذه العلامات
التي تظهر على علمي ظاهره . . .) اهـ (صفحات : 31 - 32 - 33) .

فهل يخطر ببال عاقل أن مقصود ابن عاشر بيئته مثل هذا الهذيان ،
وانه يقول بحالة الشهود والاستغراق في الذات الالهية - تعالى الله عما يقول

المبطلون - والفناء فى الاسماء واقتضاء اضمحلال سائر المكونات والخروج من عالم الخلق وعدم مراعاتهم اذ غاب فى توحيد الحق ؟ واى علامات هذه التى جعلها للبلوغ ؟ وهكذا أبان الشيخ بنثره ما لم يستطعه بشعره فأعلن ان الانسان معدوم ، وانه ما زال معدوما ، فلم يكن شيئا مذكورا ، ولا كان ولن يكون ! وأنه فان قبل ان يفنى وزائل قبل ان يزول وأنه وهم فى وهم وعدم فى عدم !

وقد ضرب - لانعدام الانسان - مثلا سخيفا اذ قال : « ان الوجود - من حيث هو - لله لالنفسك ، فاذا صرت تحقق فيما هنالك وتأخذ ما هو لله بحيث تجرد نفسك عما ليس لها فانك تجدها كحبة البصل كلها قشور لانك اذا أردت ان تقشرها فتأخذ القشرة الاولى ثم الثانية ثم الثالثة حتى لم يبق من البصلة شئ فهذا هو مثال العبد مع وجود الحق » اهـ (ص 40) .

وهذا هذيان باطل فالبصلة حقيقة موجودة ، وهى كل مركب من قشور وورق وعروق وبذور اذا اجتمعت فهى بصلة واذا افترقت فهى أجزاء البصلة والانسان كله لله ، مخلوق له ، مسبوق بعدم ويلحقه العدم ، والذى خلقه هداه وأطعمه وسقاه وهو يميته ثم يحييه ، وليس فى الانسان ما هو لله ، وما هو لنفسه ، فان تجرد مما فيه لله لم يبق منه شئ ! ان الانسان كله لله لكنه ليس هو الله ليس كمثله شئ - فهل أنت - يا شيخ الحلول ووحدة الوجود شئ ؟ أم أنت كما قال السفسطائيون : لا حقيقة لشئ فى الوجود ؟

أنت صم لا تسمع

ومن قوله أيضا فى وصف الله بالسمع - وان الانسان يجب فى حقه ما يستحيل على الله (صفحة 84) .

« ومن أوصاف العبد - أيضا - الصمم ، فانت الآن - أيها العبد - اصم والسمع ليس من شيمتك ، فالله هو السميع وحيث نسبت السمع لنفسك فانك صرت اصم ، ومع وجود السمع لا تسمع ولو كنت تسمع لسمعت خطاب الله فى كل وقت وحال فانه سبحانه لم يزل متكلمًا والسكوت يستحيل فى حقه ، وأين سمعك من هذا الخطاب ؟ وأين فهمك من هذا الكلام فانك اصم ولا زلت فى طى العدم ولو برزت للوجود سمعت خطاب المعبود ... » (ص43) .

فالإنسان عنده معدوم ، وكل شيء في الوجود عنده معدوم - ما معنى هذا الكلام ؟ معناه : كل شيء في الوجود هو الله (تعالى الله علوا كبيرا) .

هل العالم قديم

علماء أصول الدين (التوحيد) يقررون ان الموجودات قسمان : قديم وحديث ، والقديم هو الله سبحانه وتعالى وحده والحادث كل ما سواه من العوالم وقد كفروا من قال بقديم العالم ، ونسبوا ذلك لبعض الفلاسفة .

لكن القائلين بوحدة الوجود يزعمون انه ليس في الوجود غير الله ، ويلزمهم ان يكون كل الموجودات قديم ، وهذا ما فسر به الشيخ ابن عليوة قول ابن عاشر في اثبات ايجاد الله سبحانه للعوالم وحدوثها في قوله .

لو حدثت لنفسها الاكوان لاجتمع التساوي والرجحان (ص45) قال في شرحه :

(المراد منه ان الحوادث لا يكون لها وجود ، حتى تظهر بنفسها ، وأين كانت قبل حدوثها لا مقام لها في حضرة القدم ، لا اسم لها ولا رسم ولا ذكر ولا خبز ، ولا وجود لها ولا اثر ، فكيف يثبت العدم مع محض القدم لقول ابن عطاء الله ... كيف يظهر الوجود في العدم أم كيف يثبت الحدوث مع من له وصف القدم ؟ قلت ما ظهرت بنفسها ولا بطبيعتها وانما ظهرت بظهور الذي اظهرها « **اللهُ نورُ السماوات والأرض** » لا لعله أوجدها ولا لغرض) (ص : 45 - 46) .

فهذا صريح في القول بوحدة الوجود ، وأن (كل) ما في الوجود هو الله ، ويفسر حلفه وقسمه (انك لستِ سواه) تعالى الله الواحد الاحد ، الله الصمد ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفؤا احد . اما ابن عليوة والبوزيدي ، وعدة فقد ماتوا وفنوا ولم يبق لهم - ولا لمذهبهم - ان شاء الله - ظهور ، وهذا يكذب ما ذهبوا اليه انهم (الله) .

انكار المحسوسات

وعند قول ابن عاشور :

لو استحال ممكن او وجبا قلب الحقائق لزوما أوجبا (ص 50)

زاد مذهبه ومذهب (وحدة الوجود) ايضاحا فانكر المحسوس وجاء بالمحال فقال :

(لو كان وجود الممكن - وهو ما سوى الله - واجب الوجود أو مستحيل الظهور لكان له اعتبار على كل حال حيث وصفناه بالوجود أو بالاستحالة (كذا) وانما هو لا وصف له ولا نعت ولا اسم ولا رسم لفقده واضمحلاله فهو عند القوم لا يسمونه لا بعدم ولا بوجود ، ولو اثبتوا له الوجود لكان ذلك شركا ، ولو حكموا عليه بالاستحالة لكان ذلك منهم اعتبارا له ، وكيف يعتبرون من ليس بموجود ، فالله واجب الوجود ، وما سواه مفقود . . .) (ص 56) .

وهذا غاية الفساد ، فابن عليوة كان موجودا ، وحاول ان يملأ الدنيا ضللا واحدا وجوده - الجائز - اثرا ثم لحقه العدم ، فلو كان هو (الله) أو جزأ منه (تعالى الله عن الجزئية والكلية علوا كبيرا) لما جاز عليه الموت والعدم ومثله (القوم) كلهم ، ونعوذ بالله من (القومية) وسوء أعمالهم وأثارهم .

أراد ابن عاشر تعليم التوحيد ، وأراد ابن عليوة محوه ، وكل ما قدمه ابن عاشر من أدلة - مقرررة في علم أصول الدين كر عليها الشيخ بما يبطلها في علم (القوم) وهكذا تتبع الشيخ كل ما جاء في توحيد المرشد المعين بنقض بمذهبه الفاسد ومذهب (القوم) كل ما غزله عبد الواحد ، ويخرب العقائد ، ثم تابع كل ما جاء في ابن عاشر عن الصلاة والزكاة والصوم والحج والتصوف بمثل هذا الهذر ، وسأذكر من ذلك أمثلة تكون عبرة لمن اعتبر . ليقتنع القراء بما وصل اليه استخفاف القوم بقول الامة واستبلاء الشعب . وما كنا لنغير هذا الباطل - بعد ان ذهب أصحابه - التفاتا ولكنا رايناهم يجتهدون في إعادة طبع هذه الكتب له والآثار ، ومحاولة بعث هذا الباطل ، فلا بد من صوت ينبه الى اخطارهم ، ويعيد الكرة عليهم .

الفصل الخامس - قوله في الطهارة والصلاة - الماء المطلق المتطهر به

يقول ابن عاشر :

فصل وتحصل الطهارة بما من التغير بشيء سلما (ص 83)
ومراده ظاهر فالماء هو آلة الطهارة لقوله تعالى : « وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ » . والماء الصالح للطهارة هو

ما صدق عليه اسم ماء بلا قيد ويشمل كل أنواع المياه من ماء السماء والبحر والأنهار والعيون والآبار ، والطهارة بقسميها الصغرى والكبرى تكون للعبادة : الصلاة والتلاوة ومس المصحف ودخول المسجد والطواف ... الخ . هذا في عرف المسلمين .

فاستمع الى الشيخ ابن عليوة وهو يقول : (ص : 83 - 84) .

(أخبر أن الطهارة تحصل بالماء المطلق وهو ماء الغيب ، والمراد به الصفاء المتدفق على عالم الشهادة المتنوع في ظهوره المتحد في تجرده الظاهر بنفسه الخافي لشدة ظهوره المطلق في تقييده فهذا هو الماء السالم من التغيير الذي يصح به التطهير ، وفيه قال بعض العارفين :

توضا بماء الغيب ان كنت ذا سر والا تيمم بالصعيد او الحجر
وقدم إماما صرت أنت إمامه وصل صلاة الفجر في أول العصر
فهذي صلاة العارفين بربهم فان كنت منهم فانضح البر بالبحر
فهذا هو ماء الغيب الذي يصح التطهير به ، وكل ما سواه بالنسبة اليه صعيد لا يستعمل الا عند فقد هذا الماء .) اهـ . ثم استرسل الشيخ في مثل هذا الهذيان .

وخلاصة ما تقدم من قوله ومن قول شاعره (العارف بالله) ان النبي وأصحابه ما توضأوا ولا بينوا للمسلمين ، أو أنهم لم يكونوا من أهل السر ، وقوله : « قدم اماما صرت انت امامه » يشير الى زعمهم ان الانسان يصلي لنفسه اذ يصلي لله فبصفته مخلوقا عليه ان يصلي الى خالقه وبصفته متحدا مع خالقه فهو يصلي لنفسه لانه يقول ان الوجود واحد ، وقد كان الرسول وأصحابه يصلون الفجر في وقتها والعصر في وقتها فلا الفجر تصلي في أول العصر ، ولا العصر تصلي وقت الفجر ، فهل يكونون من العارفين ؟ أنهم كانوا اعرف الناس بربهم واعرفهم ايضا بالشیطان ومكائده ومداخله .

ما هي فرائض الوضوء السبع ؟

قال عبد الواحد : فرائض الوضوء سبع وهي ... الخ : (ص 87) .

وقد بينها في متنه وسماها ، ويعرفها الصغار والكبار حتى العجائز ، وقد قيل لعجوز ما هي فرائض الوضوء فقالت :

« وَجْهِي وَيَدَيَّ ، وَرَأْسِي وَرَجْلِي ، وَالذَّلْكَ ، وَالْفُؤْرَ وَالنِّيَّةَ ، وَعُلَاشُ تُسَالُ عَلَيَّ » . أما الشيخ ابن عليوة فله رأى آخر فى فرائض الوضوء للصلاة فى (دينه) اذ قال فى شرحه : (المراد بها السبع صفات الازلية التى يطلب من العارف الفناء فيها حتى يصير طاهرا بتطهير ما وهى : القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ، فهذه فرائض الوضوء التى لابد لكل متطهر من الفناء فيها » اهـ .

الجمعة معناها وعلى من تجب ومن يحضرها ؟

قال ابن عاشر :

فصل بموطن القرى قد فرضت صلاة جمعة بخطبة تلت (ص 212)

والجمعة من أيام الاسبوع ، وصلاتها - الخاصة - معلومة من الدين بالضرورة ركعتان عند الزوال جهريتان فى المسجد فى جماعة بخطبة وامام ، وقد ذكر المصنف كل ذلك وأبانه الشراح ، ولكن ليس منهم صاحب كتاب المنح القدوسية فهو يقول فى شرح هذا البيت (ص 212) :

« هذا شروع من الناظم فى بيان اجتماع الاسرار فى حضرة تكل دونها الافكار وهى (حضرة) الطمس التى لا تكفى بمعنى ولا بحسن وبنوع ولا بجنس ولا يطبق اجتماع هذه الحضرة الا القليل ولهذا لم تكن واجبة الا على من تقدم فى قول المصنف ... انها لا تجب على عوام القوم ، ولا على خواصهم لعدم توفر الشروط فيهم انما هى واجب على خاصة الخاصة منهم ، ولو كانت واجبة على عامة القوم لما أداها منهم الا القليل ... ثم أعلم ان هذه الحضرة المعبر عنها بالجمعة لا يحضرها أحد الا من كان اسما بلا رسم والمعنى انه مفقود فى صورة موجود لكونها لا يدخلها مخلوق الا اذا أسبلت عليه حلة الخالق وحينئذ يحضرها بالله لا بنفسه ، ومن حيث اشتراط هذا الشرط لا يحضر مع الله الا الله فى هذه الحضرة ، ومن هنا نفهم قول الجنيد رحمه الله تعالى حيث قال : لا يرى الله الا الله لان الذات المقدسة لا تتحيز ولا تتميز حتى يقع البصر عليها الا اذا انطوى وجود العبد فى وجودها ورجعت الفروع لاصولها فهذا معنى الجمعة فحينئذ يدرك رؤية الذات ويكون البصر هو المبصر كما كان الباتر هو المستور وقد قيل فى هذا المعنى :

أعارتها طرفاً رآها به فكان البصير لها طرفها (ص 213)

الفصل السادس - قوله الزكاة :

الذهب والفضة - الحقيقة والشرعة

ولم يخل له باب ، من العجب العجائب ، فالشيخ ابن عاشر قال وهو يتكلم عن الزكاة ، وحصول النصاب من صنفين كالذهب والفضة ، والظان مع المعز ، والبر مع الشعير :

« ويحصل النصاب منهما أى الشريعة والحقيقة • المعبر عنهما بالذهب ولكن الشيخ (العارف بالله) لا يفسر البيت بهذا ، كما لم يفسر الصلاة ولا الزكاة بمعناهما فى اصطلاح أهل الشريعة فقال : (ص : 254 - 255) •

ويحصل النصاب من صنفين كذهب وفضة من عين (ص 254) والفضة • فالذهب عبارة عن معدن الحقيقة ، والفضة على عنصر الشريعة ، ومن جمع بينهما هو العروة الوثقى - (العروة الوثقى عنده من بنى آدم كما فسرهما فى شعره أيضا • وأما عند المسلمين فانها الكفر بالطاغوت والايمان بالله واليقين والتمسك بالدين قال تعالى : « فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى » - لكل من جمع بينهما ذوقا وحالا ، لا ايمانا ومقالا بل صار يأخذهما من أصلهما كما قال المصنف كذهب وفضة من عين أى أخذ الحقيقة من معدنها والشريعة من أصلها ، وهذا هو الجامع ، اهـ •

هل معنى هذا أنه استغنى عن تبليغ الرسول الذى قامت المعجزة على صدق ما يقول ؟ نحن مسلمون بهداية الله ثم بارشاد الرسل عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى : « وانك لتهدى الى صراطٍ مستقيمٍ صراطِ اللَّهِ » وقد سئل أبو بكر عن صاحبه أثناء الهجرة فقال رجل يهدينى السبيل وقد تركنا عليه الصلاة والسلام على المحجة البيضاء ليلها كنهارها وترك فينا كتاب الله وسنته فهما الشريعة ، وهما عين الحقيقة • وقال تعالى فى الاسلام : « قل جاء الحق وزهق الباطل » •

فان جاءك من يقول لك حذ عنى الحقيقة ومنى الشريعة ، دون المسرور على كتاب الله ولا سنة رسوله فاحذره وقل له اخساً يا ملعون نعوذ بالله منك.

الدخول على الله

وعندما تكلم على زكاة الفطر زعم أن الفطر عند (القوم) قال: هو الرجوع للخلق بعد الاعراض عنهم الا أن الرجوع يكون بالله واما الصيام عندهم لا يكون لهم ذلك الا بخروجهم عن هذا الكون وفنائهم في اسمه الباطن فاذا تم لهم ذلك، وأمروا بالرجوع ليتحققوا باسم الظاهر في جميع المظاهر فيكون لهم ذلك يوم عيد لما وجدوا الظاهر عين الباطن كما ان الاول عين الآخر ، (ص 263) ثم قال : « وحاصل الامر أن المرید لما يدخل على الله يخرج من عنده بعلم وهو يوم العيد المعلوم عند القوم فتجده يتكلم بأسرار عجيبة أمام اخوانه وفي الغالب أمام شيخه والكل محتاج لكلامه ، (ص 265) وكان استاذنا وولي نعمتنا مفيض هذا الشراب سيدى محمد البوزيدى . . . أكثر ما يحب أن يتكلم مع المرید في هذه المدة التى يأتى فيها بعلم قريب عهد من الله ويقول له : تكلم لكلام هو الكلام وكل كلام الغير عدم . . . » اهـ 265 .

ليس أكثر من هذا الكلام صراحة في ضرب الامثال لله « فلا تَضْرِبُوا لله الأمثال ، فالقوم - قبح الله مذهبهم - يدخلون على الله ، ويخرجون من عنده ، ويسمعون منه الكلام ، وينقلونه عنه ، ويحدثون شيخهم بعلم قريب عهده من الله .

الفصل السابع - قولهم في الصوم - صوم المسلمين وصوم (القوم)

أما صوم المسلمين الذى كتبه الله على المؤمنين فقد عرفوه من رسول الله(ص) ثم عرفه الفقهاء بانه امساك عن شهوتى البطن والفرج وكل المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس كما قال سبحانه وتعالى : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ » .

واما في شرعهم فقد عرفه الشيخ ابن عليوة في شرحه بقوله : « الصوم في اللغة مطلق الامساك، وفي شرع القوم هو الامساك عما سوى محبوبهم ولهذا المقام فرائض وشروط وموانع ومستحبات ، (266) .

اذا فللقوم شريعة لهم خاصة بهم .

وعندما تعرض لقول ابن عاشر :

« صيام شهر رمضان وجب في رجب شعبان صوم ندب » (ص 266)

قال : « تقدم معنى الصيام عند القوم وفيه قال صاحب العينية :

صيامى هو الامساك عن رؤية السوى وفطرى نحو اليك راجع
وقال غيره :

ونفسى بصومى عن سواى تفردت » (ص 266) .

ثم قال : « لكن يكون امساك العارفين عما سوى الله فى حضرة مخصوصة
هى حضرة الذات ، وقد يعبرون عنها بحضرة الجبروت واما فى حضرة الاسماء
والصفات أو الافعال فلا يكون شهود الذات واجبا لتعذرهم على لوحة الاسماء
والصفات ، . . . ولو تعدد رؤية الغير لم يستطع لان حقيقتها لا تقتضيه ، وان
خطر على قلبه ما سوى الله خرج منها ، وبطل صومه وقد قال سلطان
العاشقين :

ولو خطرت لى فى سواك ارادة على خاطرى سهوا قضيت بردتى !

(ص : 266 - 267)

هذا هو صوم (القوم) وهذا ما يبطله فالصوم هو الاشتغال - كل
الاشتغال بالمحجوب ، حتى لو خطر بباله غيره ولو سهوا بطل صومه وارتد عن
الاسلام عياذا بالله .

ولما قال ابن عاشر فى تعريف الصيام :

« فرض الصيام نية بليلة وترك وطء شربه وأكله (ص 267)

والقىء مع ايصال شئ للمعد :

فسر لفظ (المعد) بقوله : (ص : 267 - 268) .

« والمراد بالمعدة هى المعدة للتجلى الالهى وقد يعبرون عنها بسويد القلب
وهى المسماة (كذا) بالبصيرة لانها شريعة التفسير فليحافظ عليها المريد
ما استطاع ولهذا تجد المريدين حالة دخولهم على الله أغلب عملهم تفيض
العين وجمع الحواس وحالة الذكر وذلك من أهم الوسائل فى الطريق لان
المريد لا تجتمع همته الا عند انقطاع مادة الحس والحس له غلبة فى الظاهر، . .

واستمر الشيخ فى مثل هذا الكلام يشرح به أبيات المرشد فى الصيام حتى نهايته .

الفصل الثامن - فى كلامه على الحج - الحج عند المسلمين وعند (القوم)

والحج كالصيام يختلف عند المسلمين عما هو عليه عند (القوم) فحج المسلمين هو ما أوجبه الله عليهم فى قوله تعالى : « **وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** » . . . وذلك هو الحج عند ابن عاشر أيضا لانه من شيوخ الاسلام .

اما عند القوم فقد عرفه الشيخ بقوله :

« الحج : فى اللغة القصد مطلقا ، وعند (القوم) هو القصد الى مقام لا يمكن المزيد عليه ولا يساعد المساعدة التلفظ بكنهه وحقيقته ، لعدم وجود الالفاظ المساعدة فى التعبير على ماهيته فمن أجل هذا قل من يتكلم عليه كما قل من يصل اليه من عامة القوم لفقد الاستطاعة . . . » (ص 274) .

الميقات الزمانى والميقات المكانى

فى حج المسلمين يراد بالميقات الزمانى الوقت الذى يشرع فيه الحج ، ويصح بوقوعه فيه وابتدأؤه من أول شوال وانتهاءه بخروج شهر ذى الحجة - على الاصح - لقوله تعالى : « **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ** » وذلك مبسوط فى كتب الفقه .

واما الميقات المكانى فهو المكان الذى اذا بلغ اليه الحاج شرع فى الاحرام والبداية فى مناسك الحج .

اما الميقات فى دين (القوم) فهو ما قال فيه الشيخ ابن عليوة ما نصه : (ص 277) .

« الميقات الزمانى عند تحقق المريد بوحدانية الاله قائلا : (ما فى الوجود الا الله) فحينئذ اذا اراد الوقوف بأن اراد مقام الكل فيحرم عند ذلك ويتهيا للمسير لكنه الذات والاستغراق فى غوامضها والمطالعة على أسرارها ، واما قبل ذلك الزمن فلا يجوز له الاحرام ولا يطلب منه الحج لان الحج أشهر معلومات فلا يمكن أن يدخله قبل أوانه » اهـ . أى لا يتحقق بالوحدانية الا عندما يخرج من الاسلام باعتقاد (وحدة الوجود) وقد حقق العلماء انه يكفر اعتقاد ذلك .

ثم قال : « والميقات المكنى مبتدؤه من حدود الكون ، أو تقول سدره المنتهى أو تقول منهى التقييد ، ولكل ميقات يخصه - كما تقدم - فهو كناية على حالة خروج المريد عن التقييد وتشوفه للاطلاق فهذا هو الميقات من أى جهة كان ، سواء كان من العلو أو من الدنو أو من اليمين أو من الشمال أو من غاية الكيف أو من منتهى المثال بالمطلوب الخروج عن المكان والزمان ليتمكن له الغوص فى الاطلاق وأما قبل خروج المريد عن الظروف واحاطتها لا يتمكن له الاحرام المقرون بالتجرد عن الكل لانه يريد بطون الذات » اهـ (ص 278) .

ومكة عند المسلمين هى البلد الحرام الذى فيه بيته الذى رفع القواعد منه نبيه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وجاء ذكره فى القرآن . لكن (مكة) عند (القوم) غير ذلك ، قال الشيخ : (ص : 280 ط . أولى) .

« اذا دخلت الى الحضرة الواحدية المعبر عنها بمكة - وقد عبر عنها القوم بالذات المستحقة للالوهية وعليه فينبغى للمريد أن يجدد أدبه لان لكل مقام أدب ، فأداب الالوهية ليس كأدب الربوبية وقس على ذلك بقية الحضرات ، وقد يصعب الدخول على المريد لهذه الحضرة لوجود ظهرها » (ص 280) .

اذا فقد أعلن الشيخ أن مكة هى اله القوم ومعبودهم ، والمسلمون لا يعبدون البيت وإنما أمروا أن يعبدوا رب البيت « فليعبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » وقال سبحانه لنبيه : « قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

العمرة عند المسلمين وعند (القوم) :

والعمرة عند المسلمين هى الحج الاصغر ، فيها كل ما فى الحج ماعدا الوقوف بعرفة ولكنها عند القوم ما قاله الشيخ :

« المراد بالعمرة أى عمارة الاوقات بالحضور فى هذه الحضرة الشريفة لكونها حدا مانعا ولا يخشى صاحبها من السلب فى الغالب ومن أجل هذا عبر عنها بالبيت وهى حصن الله ومن دخله أمن عذابه ! » اهـ . لقد دخله أبو جهل وأبو لهب والمستهزئون الذين أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، فعذاب الله لا يسقطه دخول البيت إنما عبادة رب البيت والايمان به . والطاعة فى مكة مضاعفة ، والمعصية فيها مضاعفة .

الفصل التاسع والآخر :

توبة الانبياء والمخطئين ، وتوبة القوم : (التوبة انواع)

شهد الله أنه سبحانه : « **يَحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** » وقال في كتابه المبين : « **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** » . وقال جل من قائل : « **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى** » ، وتوجه ابراهيم الذي رفع مع اسماعيل القواعد من البيت الى الله وقال : « **رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وأرنا مناسكنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » . وقد استجاب الله دعاء خليه ابراهيم ونبيه اسماعيل فجعل بيته معمورا في كل حين ، وجعل من ذريتهما مسلمين وبعث فيهم رسولا منهم هو أفضل أنبيائه وخاتمهم وجاءنا الرسول فعلمنا الكتاب والحكمة ونسأله ان يغفر لنا ويرحمنا ويتوب علينا . فشرعية الاسلام تطالب كل عبد بالتوبة « **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ** » ، وكتاب الله يبشر التوابين سواء منهم المذنبون الذين أسرفوا على أنفسهم وكادوا يفتنوا من رحمة الله - أو الانبياء المقربون الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر قال تعالى : « **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** » . والدعاء هو العبادة أو هر مخ العبادة ، والقرآن الكريم قضى بوجوب دخول النار على من تكبر عن عبادة الله ودعائه فقال : « **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** » . قالت العلماء يستكبرون عن دعائي . والملائكة حملة العرش يستغفرون لمن تاب وآمن واتبع سبيل الله « **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا** : ربنا وسَّعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، ربنا وأدخلهم جناتٍ عدن التي وعدتهم، ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم، وقِهِمُ السَّيِّئَاتِ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم » .

فمنطوق القرآن كتاب الله ، وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن التوبة لله يؤمر بها كل المؤمنين ، ودعاء الله ورجاء الثواب والاجر على الاعمال ، والغفران للخطايا وللسيئات - محمود من كل المؤمنين وقد قال تعالى: **« واسألوا الله من فضله »** ، وليس لأحد من خلق الله أن يترفع عن التوبة والانابة والدعاء، ومن فعل ذلك سيدخلون جهنم داخرين أذلاء .

ولكن القوم لهم (دين) آخر ومذهب في التوبة والدعاء غريب ، ويقسمون الخلق الى ثلاث طوائف : العامة ، والخاصة وخاصة الخاصة ، فتوبة العامة هي ما علمناه من توبة الخلق وهم وحدهم المطالبون بالتوبة عندهم ، وأما الخاصة فانه حرام عليهم أن يتوبوا أو يتضرعوا لله لطلب الاجر والثواب عن أعمالهم ، ومن فعل ذلك منهم فهو عاص لله ، وعليه أن يتوب من هذا العصيان الذي هو دعاء الله وسؤاله ، وأما خاصة الخاصة ، فانهم يتوبون اذا خطر ببالهم أن الله سوى أنفسهم وما يرونه من مظاهر الكون ، يتوبون اذا رأوا سوى الله !

وهذا ما بينه الشيخ ابن عليوة عند قول ابن عاشر رحمه الله :

وتوبة من كل ذنب يجترم تجب فوراً مطلقاً وهي الندم
(ص 313)

اذ يقول : في تفسير الاطلاق في قوله (مطلقاً) :

« توبة العامة ، أو توبة الخاصة ، أو توبة خاصة الخاصة ، فتوبة العامة هي الرجوع الى امتثال الاوامر واجتناب المنهيات ، والاقلاع عن كل وصف مذموم ، والندامة والتاسف عما فات ، اهـ وهذا جيد في الجملة ثم يقول : « وتوبة الخاصة هي من رؤية العمل المنسوب للنفس ولو كان طاعة ، فيحتاج لصاحب هذا المقام ان يرجع لله في أعماله ، ويستغفر من نسبة لنفسه ، ولا يسأل اجرا عما فعل ، بل لا يرى لنفسه عملاً حتى يعجز عليه ، وكلما لاحظ لنفسه عملاً ، وطلب عليه جزاء فهو مرتكب الذلة ، ويكون عاصياً لربه تجب عليه التوبة على الفور والندامة على قلة حياته من الله... » اهـ وقلة الحياء حقاً ان يقال ان التوبة الى الله ودعاءه عصيان وتجب التوبة من ذلك . ثم قال :

« واما توبة خاصة الخاصة من رؤيتهم لما سوى الله ، واستماع الكلام من غيره فكلما وقع نظر (العارف) على وجود الغير ، او طرق سمعه كلام الغير فيعد ذلك من انواع المخالفة بالنسبة لحاله مع الله فينبغى له ان يرجع لله ويتوب ويقطع من حينه وان لا يتمادى على ما هو عليه لئلا ينسد دونه الباب وينسدل الحجاب بينه وبين ربه فهو احوج الى التوبة من غيره ، اهـ .
(ص : 313 - 314) .

وقد سأل موسى ربه ان يراه فقال له : « لن ترانى » وهذا (العارف) يزعم انه لا يرى سواه ولا يسمع الا اياه فهل هو اعظم عند الله منزلة من موسى ؟ من زعم انه افضل من نبيء كان مرتدا . ثم نقول :

اما التوبة العامة المذكورة فى هذا القسم فهى التوبة الواجبة على كل الخلق، من المؤمنين وغير المؤمنين ، فعلى الكافر ان يسلم وجهه لله ، وعلى المشرك أن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ويعبده وحده ، وعلى المؤمن ان يهود الى الله (1) ويتوب اليه ويمتثل اوامره ويجتنب نواهيه ، ويندم على خطاياہ وغفلته ويسال الله ان يهديه الى الصراط المستقيم ويستغفره فى اليوم والليلة مرارا .
وقد اخبر النبيء صلى الله عليه وسلم - وهو اكرم خلق الله - انه يستغفر الله سبعين مرة فى اليوم ، وقد جاءته البشارة أنه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر .

واما توبة الطائفتين الاخيرين - فى كلام الشيخ - فانه من أبطل الباطل ، وافسد الفاسد ، فكيف ينكر الانسان فعل نفسه ، واختياره فى القيام بعمله ومسؤوليته فيه واهل السنة الاشاعرة قد بينوا مذهباً معتدلاً - بين الجبرية والمعتزلة - فان كان (الشيخ وحزبه) منهم فان من الباطل ان يقول (توبة الخاصة هى من رؤية العمل المنسوب للنفس ولو كان طاعة) ، واذا كان معصية كالزنى وشرب الخمر وعقوق الوالدين واللواط والكبر والظلم فهل يقول الشيخ انه لا يصح ان ينسبه الى نفسه ؟ فالى من ينسبه ؟ ثم ان قوله : (كلما لاحظ لنفسه عملاً ، وطلب جزاء فهو مرتكب الذلة ويكون عاصياً لربه تجب عليه التوبة على الفور والندامة على قلة حياته من الله) .

(1) ما ذ الى الله : عاد وتاب اليه « وفى الآخرة انا هُذنا اليك » .

مثل هذا القول يصدر من (شيخ) يربى غيره ويعرفهم بالله من أعجب ما يطرق سمع المؤمنين ، ويبهت العارفين بالله حقا: **تجب التوبة من التوبة على الفور ، وتجب الندامة على من دعا الله** وسأله من فضله حسن الثواب والجزاء على صالح عمله ان هذا القول هو الذى لا يصدر الا ممن قل حياؤه من الله والناس حقا . فما زال الطيبون الاخيار من الانبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين والاولياء والصالحين يستغفرون الله ويتوبون اليه يسألونه لانفسهم وللمؤمنين حسن المآل .

وما زال المخطئون الذين أسرفوا على أنفسهم وكادوا يقنطون من رحمة ربهم ما زالوا كلهم يرجون رحمة ربهم ويستغفرونه ويستجيرون بنور وجهه الذى أشرقت له الظلمات من النار ويسألونه ان يدخلهم فى رحمته ، ويمتنعهم بنعيم جناته ، وينجيهم من عذابه الاليم ، نسأل الله الكريم ذا العرش العظيم ان يتوب علينا ويغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، والا يجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا انه الرؤوف الرحيم .

خاتمة : كلام أهوج ... وشيطان فى صورة انسان !

آن لنا أن نختم هذا القسم الذى عرف بالقوم وبمذاهبهم الدينى والدنيوى كما هو مستفاد من كتبهم ومن أقوالهم الشعرية والنثرية ، ومن أفعالهم وكفى بذلك حجة عليهم .

وكل من اطلع على شىء من هذه الدعاوى والاقوال ، وسمعه لأول مرة فى حياته - وهو فى كمال وعيه وادراكه ، خاليا من كل تأثير عليه - لابد أن يصدر حكما عليه ، لا يقل عن حكم الاستاذ أحمد توفيق المدنى - ولم يكن حينما اصدر حكمه - متحيزا ، لا لحزب الاصلاح ، ولا لحزب (الصوفية) بل كان ينشد الاتحاد بين صفوف أبناء الامة كلهم .

لقى الاستاذ توفيق شيخ القوم لأول مرة ، وحاوره فى موضوع نشاطه وسأله عن الاسس التى بنى عليها طريقته الجديدة فقال الشيخ : سأبعث اليك بكتاب ألفته وطبعته يبين لك حقيقة الامر .

وجاء الكتاب واسمه « المنح القدوسية فى شرح المرشد المعين بطريق الصوفية » ، وقراه وقال عنه :

« وأخذت أقرأ الكتاب ويالهل ما قرأت ! كلام أهوج ، وخرافات لا تنطلي حتى على الابله المسكين وأباطيل وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان ، ودعوة سافرة غير حكيمة لمذهب « وحدة الوجود » ، المنافي لعقيدتنا الاسلامية فاستعذت بالله من رجل اتخذ في ذهنى صورة شيطان فى جسم انسان ، وأصبحت أسائل نفسى هل درى أولئك البسطاء الى أين يسوقهم هذا الارعن المغرور ؟ وأخذت أوالى البحث عنه فاذا به خراز قديم بمستغانم وكانت مركزا من أهم مراكز الصوفية ، اه . (من كتاب حياة كفاح ، ج 2، ص : 81 - 82) .

وقد والى الاستاذ المدنى بحثه ، وذكر بعض ما يعرف عن مذهب (وحدة الوجود) وانها طريقة فى السلوك نبتدىء مع السالك بدرجة « السير نحو الله » وتنتهى الى درجة « السير بدون الله » وبعد ان يتجاوز درجة « السير فى الله » ويدعى حينئذ « العارف بالله » ويقال انه حينئذ قد ارتفعت عنه التكاليف الشرعية لانه يكون قد آمن بأنه جزء من الله وان الله هو كل ما فى **السموات وما فى الارض من حيوان ونبات وجماد** . . . اه .

ثم ذكر المدنى ان من شيوخهم جلال الدين الرومى دفين تركيا، ومحيى الدين ابن عربى دفين دمشق ، وابن سبعين الاندلسى . ومن زعمائهم « اليهودى الهولاندى (اسبينوزا) وهو الذى شرح النظرية الفلسفية لدينه (وحدة الوجود) دون طلاسّم ولا تعميمات ولا ظاهر ولا باطن ، اه . كتاب حياة كفاح ج 2 ، ص 73 .

والاستاذ المدنى لا يتهم فى حكمه ، فقد كان محايدا بعيدا عن المعركة بل كان منكرا على حزب الاصلاح عنفه وشدته فى مهاجمة الطريقة ، وخصوصا العلوية ، واذا بهم يضعون فى يده كتابهم الذى هو أساس طريقتهم فيكتشف مذهب الباطنية فى تأسيسه وايدى اليهود فى بثه فى المسلمين قديما وايديهم فى الترويج له حديثا بواسطة الفيلسوف الهولاندى الذى اراد أن يجعله عاما بين المسلمين وغيرهم . فقد ذكر ابن خلدون أن من أقطابه قديما النجم الاسرائيلى وقد فند ابن تيمية - رحمه الله - اقواله واقوال اقطاب وحدة الوجود فى كتاب له نشرته مجلة المنار فى سنة 1924 ، وذكر المدنى أن من أقطابهم حديثا (اسبينوزا) اليهودى الهولاندى .

ان من يدرس بامعان هذا الكتاب بعد أن درس الديوان وما فيه من أشعار
الفرسان الثلاثة لا يملك نفسه الا أن يستعيز بالله من الانسان الذي يتخذ
- فى الذهن - صورة شيطان ، ويزعم أنه الله أو جزء من الله ، لانه (ليس
فى الكون سوى الله) ، وكل ما فى العالم مظاهر يظهر الله فيها لعباده ، لذلك
فان الشيخ نفسه هو الله وانت نفسك انت الله - تعالى الله عما يقولون ،
فان الله سبحانه هو رب هذا الكون وخالقه ومدبره ، وفيه الانسان والحيوان
والجماد وفى الجماد الحجر ، وفى الحيوان البشر ، والكلاب والحمير والخنازير
والبقر ، فهل هذه آلهة أو اجزاء من اله ؟ تعالى الله • سبحانه ربك رب العزة
عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين •



القسم الثالث

القسم الثالث

هذا القسم (الثالث) من أهم أقسام هذا الكتاب ، فيه ما ينير بصائر الكتاب ، ويعرفهم بالملابس والظروف التي عاشتها نهضتنا أثناء فترة من أهم فترات تاريخنا ، وبما تعرضت اليه أمتنا من مكائد ومؤامرات على شخصيتها ومصيرها وحياة رجالها .

انه يتحدث عن اتصالات (القوم) بفرق مبتدعة تتآمر على الاسلام لمحوه وأبطاله وحرب دولته منذ القديم وحتى الآن ، أو باقطاب ديانة همهم محو الاسلام واحلال النصرانية محله والخروج بدين الله عن جوهر التوحيد الى مذاهب الحلول وتالية كل شيء في الوجود . أو بمخابرات الاعداء المهيمنين على مصائر أمتنا المتحكمين في رقاب الشعب واستغلاله وامتصاص دمايته للتعاون معهم وخدمة ركايبهم .

وقد جمع في هذا القسم - بأبوابه الاربعة - الوثائق المدعمة لهذه الاتصالات الثلاثة مما لا يدع مجالا للشك ، ونحن نضعها أمام القارئ وهم الحكم في هذه القضايا المعروضة ولهم ان يحكموا عن دراية وبيان .

والله المستعان

الباب الاول

العلوية - أخت القاديانية

أشياء أخرى كانت مما يتهم به « القوم » وشيخهم القطب ، وفرقتهم (الذاكرة) وينكرها عليهم « الشهاب » وحزبه أشد الانكار ، ويؤاخذهم بها كتاب المصلحين أعظم المؤاخذة .

من هذه الاشياء اتصالهم اما بفرق مبتدعة ، متفق على بدعتها قديمة ، وحديثة ، وقد ثبتت ادانتها ، والحقت بالاسلام وعقائده ومبادئه ، وبالمسلمين ووحدتهم ودولتهم أعظم الاضرار ، وما أسست - فى الحقيقة - يوم أسست - الا بقصد محو الاسلام والحاق الهزيمة بدولته العربية . ومن هذه الفرق فرقة الباطنية قديما والقاديانية حديثا .

واما باتصالهم بالكنيسة والتبشير و ببعض رجال المسيحية ، واعتناق بعض اقوالهم كالقول باللاهوت والناسوت واعتقاد بعض ما يعتقد النصارى - فى طبيعة المسيح عليه السلام - مع أن الاسلام يقرر أن المسيح (عبد) الله ورسوله ، ويعلن القرآن على لسانه : « **إني عبد الله آتاني الكتاب** » . والقول بالحلول أو بوحدة الوجود يثبت اعتقاد النصارى فى طبيعة المسيح .

واما بالاتصال بالاستعمار ، والتحالف مع بعض رجاله الظاهرين ، والعمل للوصول الى أغراضه ، وتنفيذ مشاريعه .

ومن عادة الشهاب - وخصوصا ابن باديس رحمه الله - الا يتساهل فى الاتهام ، ولا يؤاخذ بالظنة . ولا يلقي الكلام على عواهنه ، ولا ينشر ما لا يملك

دليلا عليه ، أقله وأهونه ان يصدر من جهة أخرى فينقله وينتظر التبرى منه
ممن قيل فيه أو عنه . واعظمه ان يكون اعترافا صادرا من « القوم » أو من
رجالاتهم ، ومن المعلوم ان سيد الادلة هو الاقرار والاعتراف .
وفيما يأتى تفصل بعض ما اجملنا ، ونذكر بعض ما اليه رمزنا .

الفصل الاول

الاتصال بالفرق المبتدعة

من هذه الفرق التى اشتد ضررها بالاسلام والمسلمين قديما وحديثا فرقة
الباطنية وتاريخها معروف . ولقى من شرها شعبنا ما هو ثابت فى التاريخ
أثناء حكمهم فى الدولة العبيدية من نهاية القرن الثالث الى أواسط القرن
الخامس ، اذ كان مذهبهم القول بالحلول ، وان الله قد حل بـ « أمامهم » تعالى
الله علوا كبيرا :

لذلك فقد جمع فى (ذاته) النبوة و (الالوهية) واطلع على الغيوب ، والى
ذلك يشير شاعرهم لما نزل امامهم المهدي (عبيد الله) بالقيروان ، وسكن
(رقادة) مساكن الاغلبة :

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح

حل بها (الله) ذو المعالى وكل ما سواه ريح !

وقد تحداه شاعر مسلم بلسان الشعب ففضحة وكشف جهله وسخر منه
سخرية مرة :

بالجور قد رضينا لا الكفر والحقاقة

يا مدعى الغيوب من كاتب البطاقة ؟ !

ولم يعرف كاتب البطاقة فافتضح واخزاه الله امام المؤمنين به . ثم كانت
عاقبة الحلولين خسرا .

ومن ممثلى الباطنيين فى عصرنا فرقتان - أو ديارتان جديدتان قد تبرأ
منهما المسلمون واجمعوا على كفر أهلها - وهما البابية البهائية ، بفارس
(إيران) والقاديانية أو الإحمدية بالهند والباكستان .

وكان اتصال القوم بهم ورميهم به نتيجة اعتراف (القوم) فقد نشرت عن ذلك مجلة (الشهاب) فى عددها 97 الصادر فى 17 ذى القعدة 1345 هـ الموافق 20 مايو 1927 م ، مقالا تحت عناوين باحرف غليظة جمعت بين آيات قرآنية ، وأمثال عربية ، ونصوص شعرية ثم شرح المقال بعض أقوال الباطنية ومزاعمهم ، وما لحق الاسلام من جراء باطلهم واعتناق « العليويين » لبعض أقوالهم ، ثم اعترفهم بالاتصال بمثلهم فى عصرنا واعتزازهم بهذا الاعتراف . وان الاسلوب (العلمى) التاريخى الذى كتب به المقال ليومى الى انه من انشاء صاحب الشهاب نفسه الاستاذ ابن باديس رحمه الله ، فانه فى مثل هذا الموقف يتقدم الى الميدان بنفسه . وقد امضاه بالحرف (ع) وهو أول حرف من اسمه .

وهذا نص المقال كما نشر مسبقا بعناوينه :

« رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ »

العليوية بالجزائر - أخت القاديانية بالهند

وشبه الشيء منجذب اليه .. (I)

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
شر الطوائف التى أصيب بها الاسلام من أوائل نهضته هى طائفة الباطنية
الملاحدة الذين جاءوا بعقائدهم المجوسية والهندية .

وحملوا عليها مقتطعات من الآيات والاحاديث حملا تتبرأ منه العربية التى
هى لغة القرآن وصاحب القرآن . وفهموا من تلك المقتطعات - بزعمهم -
ما هو مضاد تمام المضادة لما فهمه أهل القرن الاول من الصحابة وهم العرب
الاقحاح ، و « فقهاء الابرار ، والاتقياء الاطهار ، الذين اختارهم الله لصحبة
نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ وثقل دينه ونشره بين الامم بالقول والعمل .
وتعاموا عن مأخذ تلك المقتطعات من سوابقها ولواحقها وما طفحت به الشريعة

(1) صدر بيت لابي الطيب المتنبي وتمامه : واشبهنا بدنيانا الطغام .
والطغام : ارذال الناس وأوغادهم وأوباشهم يقال للمفرد وللجمع .

كثرة من النصوص المحكمات فظلموا وألحدوا في ذلك الحمل وذلك الفهم ،
وهذا الاقتطاع •

وزاد الى هذا كله ما جاءوا به من عند انفسهم من كلمات باطلة نسبوها
الى النبي عليه الصلاة والسلام • ثم عملوا لترويج هذا الكفر الانكر ، والتزوير
الاقذر بالتظاهر بسمة الصلاح والزهد والدعوة الى الخير ونشر الاسلام ،
فراجت دعوتهم على العامة وعلى كثير ممن يعدون من الخاصة ، ولم ينبج من
فتنتهم الا الفقهاء بالسنة ، والبصراء بأحوال العمران ، والمتمسكون بهدى
السلف في فهم النصوص والعمل بها •

وشر ما جاءت به هذه الطائفة من عقائدها الزائفة هي عقيدة حلول الخالق
في المخلوق ، ووحدة الوجود وأنه ما ثم الا شيء واحد ، هذه المراتب مظاهره •
فلا خالق في الحقيقة - عندهم - ولا مخلوق ، ولا رب ولا مربوب ولا عابد
ولا معبود •

وهنا يسقطون التكليف ، ويخلعون ربقة التشريع ولا يبقى عندهم معنى
للدين وهذا عند كل مسلم - بأدنى تأمل - من الكفر الصراح المنافي للقطعيات
الضروريات •

وهم لو ابتدأوا دعوتهم بهذا التصريح لقابلتهم عامة المسلمين بالاعراض
بل ربما نالتهم بالضرب والتقتيل ، ولكنهم - لخبثهم ودهائهم - يبتدئون
دعوتهم بتلقين ذكر سرى ... وحث على العبادة ومشاهدة الله ! ثم بالرقص
الذي تتهيج فيه الاعصاب وينفتح فيه الخيال • ثم بالخلوة والجوع والسهرة
فيها حتى تتغلب عليه سوداؤه ويستولى على عقله وهمه وخياله فيخرج وهو
يقول انه لا يشهد الا الله ، وانه ما في الكون الا الله ، وان الله هو ، وانه هو
الله الى هديانات لا تقبلها ملة ولا يصدقها عقل غير ملة الحلولية وعقل من
قضى مدة تحت تأثير الاوهام والمخدرات (2) •

(2) بعد استقلال الجزائر - وفي الستينات - هاجمت الشرطة المركز الاكبر
للقوم في مدينتهم واعتقلت بعض الاوروبيين والاوروبيات مشبهوهين
ومشبهوات وضبطت لديهم مخدرات ، واعتقل كبير القوم ، وكانت فضيحة
كبيرة •

هذه هي النحلة الحلولية التي جاء بها ابن عليوة ينشرها بين المسلمين
بديوانه ، وهذه هي النحلة التي جاءت ورقة الحلولين للدفاع عنها .

ولقد كان في ديوان الضلال كفاية للدلالة على باطن هذه الطائفة وسوء
التصوف ، والتمويه بالدفاع عنه لتغر العامة الجاهلين وتستتهوى أفئدة الطلبة
الجامدين .

ولقد كان في ديوان الصلاة كفاية للدلالة على باطن هذه الطائفة وسوء
قصدها ، غير ما ابانه الكتاب من قبائحها وفضائحها ، لكن الله تعالى أراد أن
يفضحها فضيحة من عنده على لسان جريدتها فنشرت في عددها الثامن عشر
رسالة جاءت الى مديرها من معتمد الجمعية القاديانية بالهند ، تلك الجمعية
التي تنتمي الى غلام أحمد الذي ادعى انه هو المسيح المنتظر ، وان الوحي نزل
عليه بذلك ، وتناول القرآن بالتأويل الباطل والتحريف الجاهل مثل فعل
ابن عليوة في تفسير سورة (والنجم) وغيرها .

أرسل معتمد هذه الطريقة (3) رسالته مبتهجا بتلك الجريدة ، ونشرتها
تلك الجريدة الحلولية في صدرها مبتهجة بها ، فتعانت الاختان ، واتحدت

(3) القاديانية ديانة جديدة كان الانقليز هم السبب في انشائها كيدا للمسلمين
وتفريقا لجمعهم وقد ضمن القدياني للانقليز اسقاط (الجهاد) من الاسلام ،
وكانوا يعانون من تمسك المسلمين الهنود به الثورات المتوالية في الهند
اعظمها ثورة 1857 م ، التي زعزعت نفوذهم . وتوالت تحركات المسلمين
ضدهم، وتزعّم الحركات الوطنية رجالهم ، وتعاونوا ضد الانقليز مع الهندوس .
ولما اضطرت عام 1948 م ، الى التسليم باستقلال الهنود وانشاء دولتين
في الهند ، احدهما البكستان للمسلمين - حرصت ان يستلم القاديانيون
مناصب هامة في الدولة وفي الجيش . ولكن الشعب البكستاني تملل ،
وثار ضدهم . ثم استطاع ان يتخلص منهم .

وقد افتي علماؤهم بطردهم من جماعة المسلمين ، وباعتبارهم اقلية غير
اسلامية يتمتعون بحقوق الاقليات ، لا بحقوق المواطنين حتى لا يتسربوا الى
المناصب العليا ويكيدوا لدولة المسلمين .

وقد افتي علماء رابطة العالم الاسلامي بمكة بانهم غير مسلمين ، كما افتي
بذلك المجمع الفقهي وعلماء مصر والعالم الاسلامي ، واستند الجميع في
تكفيرهم على قولهم بنبوة غلام أحمد القادياني ونزول الوحي عليه ، وبعدم ختم
النبوة ، وبامكان استمرار ارسال الرسل . اثر هذه الفتاوى أقر البرلمان
الباكستاني قانونا باخراج جماعتهم من المجتمع الاسلامي ، واعتبارهم من =

الطريقتان ، وما بقى علينا الا ان نعرف المسلمين بضلال هذه الطريقة القديانية الضالة أولا - ليعلم بالقطع ضلال العليوية اختها المبتهجة بها . لان الضال لا يلتصق الا بمثله ، والشكل لا يحسن الا لشكله .

وثانيا : ليحذر اخواننا الجزائريون من غائلة القديانية التي ارادت ان تتخذ جريدة العليويين الحلوليين ركوبة لها تنشر عليها ضلالاتها في القطر الجزائري وموعداً بذلك الاعداد الآتية والله المستعان ، اهـ .

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين »

ثانيا - العليوية بالجزائر - أخت القاديانية بالهند

وشبه الشيء منجذب اليه ..

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

الفصل الثانى

حقيقة القاديانية

عاد (الشهاب) الى هذا الموضوع فى العدد 99 الصادر فى 2 ذى الحجة 1345 هـ - 2 جوان 1927 م ، وثحت العناوين التى سبق ذكرها فى عدد 97 وهى المذكورة أعلاه ، قال :

« كنا وعدنا بنشر شيء عن حقيقة القاديانية الحلولية ليتقى الناس شرها ولا يغتروا بما تنشره لها جريدة هى اختها عندنا ، وليكونوا على علم من حقيقة هذه الاخت وغاياتها .

= اصحاب الاقليات الدينية فى الباكستان كالنصارى واليهود والمجوس والهندوس ، يحميهم القانون بمثل ما يحمى به هذه الطوائف ولكن لا حق لهم فى الاستيلاء على أهل مناصب الدولة ، لانها دولة اسلامية وعلى هذا الاساس انفصلت عن الهندوس .

وفاء بذلك الوعد ننشر فى هذا العدد وتواليه مقتطفات من مجلة (المنار) بقلم صاحبها العلامة الاستاذ السيد رشيد رضا ، وقد كان السيد أول من فضح القاديانية ورد على صاحبها فى حياته ، وعلى أصحابه بعد وفاته فلفصيلته خبرة تامة بها .

نشرت فى ج 8 ، م 24 ، تحت عنوان (المسيحية الاسلامية القديانية الملقبة بالاحمدية .

» نجم بمصر هذه الايام قرن بدعة (ميرزا غلام أحمد القاديانى بعد ان كانت محصورة فى الهند ، ثم بثت دعوتها فى أوروبا والبلاد الامريكية فصارت كالبهائية ذات دعاة وأتباع يبثون تعاليمها فى رسائل يطبعونها ويوزعونها ومقالات ينشرونها .

كانت مسألة الاعتقاد بالمهدى المنتظر مثار فتن كثيرة وبدع كبيرة . وسفك دماء غزيرة ، كانت آخر مظاهرها فى البلاد الافريقية مهدى السودان ، وفى آسيا (الباب) الذى ظهر فى ايران (4) .

وكان امثال هؤلاء المبتدعين غافلين عن مسألة الاعتقاد بنزول المسيح على الارض فى آخر الزمن حتى قام بها البهائية ونظموا دعوتها وجعلوها قاعدة دعوتهم للنصارى ، كما كانوا جعلوا قاعدة دعوتهم للمسلمين مسألة المهدى المنتظر ولكل من الدعوتين عندهم درجات كسلفهم من باطنية الاسماعلية ... ولكنها مناسبة لحال هذا الزمان ، وآخر درجاتها دعوى الألوهية والربوبية لزعيمهم البهاء .

(4) آخر فتنة أثرت هى التى اشتعلت يوم آخر ايام ذى الحجة 1399 هـ . بالمسجد الحرام ببطن مكة واستقبل بها هذا القرن الخامس عشر من الهجرة ، واحتل فيها بيت الله الحرام ، وتعطلت فيه الجمعة والجماعة بضعة عشر يوما وقتل فيه عشرات من الانفس البريئة وتدخلت دول اسلامية . بجيوشها لآخمادها . وبهذا الباطل حاول معتوه زعم بأنه « المهدى المنتظر » أن يبدأ عهده الذى سيملا الدنيا عدلا بعد ان ملئت جورا . ووجد من يصدقه . ويطلق الرصاص على المسلمين فى المسجد الحرام ! وكان ذلك بعد نشر هذا المقال ب 54 عاما .

ثم ظهر ميرزا غلام أحمد القادياني في الهند ، فادعى انه هو المسيح المنتظر وان **الوحي نزل عليه** بذلك ، وقد رددنا عليه في عصره ورد علينا ، وهجانا في مصنف خاص أملاه عليه وحيه الشيطاني ، وكان من وحيه هذا ان صاحب المنار « سيهزم فلا يرى » ولو نزل بنا قضاء الله تعالى بموت أو بنكبة يبطل بها المنار لكان ذلك أكبر فتن اتباعه الاغرار ولكن ظهور الكذب والخذلان مما ينسأه أو لا يراه امثال هؤلاء العميان .

ضل كثير من المسلمين بدعوتي البهائية والقاديانية ، فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة لهما في الهند وايران وفلسطين ومصر وكلهم مخلصون لها يؤيدون لسياستها وقد كان حسين ، روى أفندي البهائي أمين معتمدها في الحجاز منذ بدء الثورة الحجازية .

وقد كنا نظن أن بدعة القاديانية لا تتجاوز بعد موته ما نسخه من أحكام الشريعة وأهمها « وجوب الجهاد » ثم علمنا انهم يدعون استمرار الوحي والنبوة في اتباعه وقد نشروا في هذه الايام رسالة مطبوعة في الدعوة الى دينهم المسيحي الاسلامي ، وضعها بالانكليزية ميرزا بشير الدين محمود أحمد زعيم الحركة الاحمدية من قاديان - بنجاب - بلاد الهند وترجمها بالعربية الرحالة عبد المجيد كامل صاحب (رحلة في بلاد الناس) وطبع على نفقة الحركة الاحمدية بمصر .

اصل ارتدادهم عن الاسلام :

موضوع الرسالة (الصلاة عند الاسلام) وصلاتهم صلاة المسلمين في الصورة وانما تخالفها في المعنى والعقيدة ، فقد علق واضع الرسالة على تفسير « صراط الذين انعمت عليهم » تعليقا صرح فيه بأصل ارتدادهم عن الاسلام (5) .

وهذا نصه :

ملحوظة - لقد وضع كل دين من الاديان المتبعة نموذجا خاصيا ، ولا شك أن أفضل تلك النماذج هو ما وضعه الاسلام . ان هذا الدعاء لارشاد

(5) يعنى الاستاذ محمد رشيد رضا : بأصل ارتدادهم قولهم باستمرار الوحي وعدم ختم النبوة ، وأن ميرزا أحمد غلام يوحى اليه ، وأن من بعده يمكن ان يوحى اليهم . ومن اعتقد هذا فهو مرتد عن الاسلام .

المسلم بان يتوسل الى الله ان ينعم عليه بمثل ما انعم به على أولئك المنعم عليهم الذين قيل عنهم في موضع آخر من القرآن ما يفهم منه انهم أصحاب النبي والصديقون والشهداء والصالحون . وقيل في موضع آخر :

« واذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين » .

وجاء في آية أخرى ان الذين انعم الله عليهم انما هم الانبياء (6) .

فالنبوة اذا هي اسمى المراتب التي يتطلع اليها المسلم ، لذلك ابتهل الى الله سبحانه وتعالى ان يحشره في زمرة الانبياء ، وهو نموذج لم ينسج على منواله دين من الاديان على الاطلاق ، بل جميعها سلت طريق الوحي الإلهي في وجود العالم ، فالدين الاسلامي وحده هو الذي يرشد تابعيه الى ان طريق الوحي لا يمكن ان يسد في وجوه الناس اذ ان الله الذي خاطب الناس وقتا ما لم يكف على هداية شعبه ومخاطبته .

ان هذا النموذج فضلا عن كونه ناف (؟) الاستحالة فانه يفتح أمام ذوى القلوب الظاهرة طرق النجاح التي لا نهاية لها ، ويرسم طريق السعى للاتصال بالله خالق الاكوان ومنبع كل قوة ومحبة .

ولقد أنبأنا النبيء الاقدس صلى الله عليه وسلم أحد اعظم أولئك الذين أنعم الله عليهم واسمه « المهدي » والمسيح فهو يدعى « المهدي » لانه يهدي مسلمي وقته الذين انغمسوا في الخطايا ونسوا أوامر الدين الاسلامي حتى لم يعد في أقوالهم وأفعالهم أثر لجمال الايمان . وسمى المسيح لانه يتم النبوات المختصة بعودته .

(6) علق المنار هنا - ونقله الشهاب بقوله : « يعني بهذه الآيات قوله تعالى في سورة مريم : « أولئك الذين أنعم عليهم من النبيئين من ذرية آدم » الخ . وهي لا تدل لغة على ما ذكره من حصر المنعم عليهم في الانبياء ، ولو دلت على ذلك لكانت معارضة لغيرها من الآيات التي ذكرها أو أشار اليها ، ولكن هؤلاء اعاجم لم يتقنوا اللغة العربية فجهلهم به كجهل مسيحيهم » اهـ - يعني بمسيحيهم القادياني ، مسيحيهم في زعمه وزعمهم ، ولم يكن جهلهم هو الذي دعاهم الى ما فعلوه فقط ، وانما حربهم للاسلام وكيدهم له وللمسلمين فهم يحرفون ويستبلمون المغفلين والبله .

ولقد ظهر ذلك الذات فى الهند وبمحل يقال له (قاديان) (7) ، وفى ظرف ثلاثين عاما من حياته الرسولية فى دعائم الاسلام بمعجزات جديدة من عند الله وقد يوجد الآن آلاف من حواريه يستمعون الوحي الالهى .

ولقد عاش عيشة ملؤها الهداية الروحية بين أشياعه الذين فازوا فوزا مبينا باتجاه العالم اليهم ، فهناك الشيخ (فاتح محمد سيال) وحضرة (عبد الرحمن نيار) يبشر بالاسلام فى انجلترا ، ومفتى (محمد الصادق) فى أمريكا ، فلا غرو أن اعلام الناس به من الممكن الحصول على الوحي فى أى وقت ، وقد كان من الاخبار السارة التى تدعو الى تشجيع المسلم الحقيقى فى كل آن ، وتعد قياسا للحكم بين الاديان المختلفة .

ان الدين الصحيح الحى لهو الذى لا يخلو من الثمر ابدى ولا ثمرة للدين الا الاتصال بالله وهذا لا يمكن ان يكون الا بالوحي ، وليس الاسلام كغيره من الاديان التى تتمشى باتباعها الى احط الدرجات بل هو يسمو بتابعيه الى أعلى ذروة الخيال الذى يمكن ان يصل اليه فكر الانسان ، وعلى ذلك فهو وحيد الاديان الذى يشفى غلة الطبيعة البشرية وأن اكبر حجة يتمسك بها الملحد ضد جميع الاديان انما هى قوله انه اذا كان هناك اله كما يدعون فلماذا لا يظهر بنفسه للناس ؟ اما هذا الاعتراض فلا يمكن ان يوجه الى الاسلام الذى لا يعتمد فى براهينه على القصص الماضية بل يعلن بان هناك رجال (؟) حتى الآن يوحى اليهم علمهم (الزعيم الروحي) ومهدى هذا الزمان) اهـ . الى هنا انتهى المقال الثانى وهو منقول عن المنار فالقاديانية مرتدون عن الاسلام بزعمهم استمرار الوحي بعد ختم الرسالة . و « القوم » يقولون ان الله يظهر لعباده فى اكوانه اذ ما فى الكون الا الله !

وفى العدد 103 من الشهاب الصادر فى 30 ذى الحجة 1345 هـ ، الموافق 30 جوان 1927 م ، نشرت الحلقة الثالثة مسبقة بالآية : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » .

وهو منقول عن المنار ايضا بعنوان واحد وهذا نصه :

(7) توجد هذه القرية - اليوم - فى الاتحاد الهندى ، وهى عند القاديانية مقدسة يحجون اليها ويدبرون مكائدهم فيها ، وهم يوجدون بالهند والباكستان وبافريقيا الشرقية والغربية ، وبأوروبا وأمريكا ، وحيثما وجدوا فهم متعاونون مع الانقليز ومع دويلة اسرائيل .

الفصل الثالث

بقايا الباطنية

لا يزال القراء على ذكر مما نشرناه في بعض الأجزاء السابقة عن الطريق القاديانية بالهند وعقيدتها الحلولية نقلا عن مجلة (المنار) الكبرى .
تلك الطريقة التي نشرت الجريدة العليوية مقالا لاحد دعائها مبتهجة به ،
مظهرة تمام السرور بتوطيد العلاقات بينها وبين حزبه .

واليوم ننقل رد المنار على القادياني الدجال ، وبعد ذلك سنعرض للكتب المنسوبة لشيخ العليويين وننشر منها على القراء نبذا تكشف عن عقيدته وحقيقة أمره غير معتمدين في ذلك الا طريق البحث والاستدلال (8) .
قال المنار :

« ان بين مسيح الهند الدجال وبين (باب) ايران شيها فكل منهما كان مصابا بجنون الهوس الديني حتى لا يبعد ان يكون معتقدا لما ادعاه ، وفي ان تأثيره كان محصورا في الاعاجم : اذ تصدى كل منهما لتأويل القرآن والاحاديث بجرأة وجهل واسراف في الكلام ، فافتتن بهما بعض جهلة الاعاجم اذ صدقوا انهما بالالهام والوحي أمكنهما ان يجولا تلك الجولات الواسعة في كيان الله عز وجل .

ولو كانوا يفهمون العربية لسخروا من هوسهما ووحيهما الشيطاني .
وكان القادياني أعلم بالعربية وآدابها من (باب) فهو قد عنى بفنونها وآدابها

(8) نلاحظ اننا - بمراجعة اعداد الشهاب الموالية لهذا العدد لم نجد وفاء بما وعد به . ولعله سكت عنهم لانهم أوقفوا - على الاقل في الظاهر - اتصالهم بالقاديانية ، اذ لم يصرح أحد - من بعد - انهم نشروا في جريدتهم شيئا عنهم أو لهم في جريدتهم ، بعد هذه الهجمة الموفقة . ولعل الباعث على السكوت هو ان نشر هذه النبذ مما يشيع قولاً فاحشا في حق الله وحق رسوله : ومن شك في ذلك فليراجع قولهم في العشق - مثلا قصيدة الشيخ في (ليلي) - وقد يكون الشهاب رجاء ارعواهم وفيئهم الى أمر الله ، لكنهم لم يفيئوا حتى الآن وجعلوا ينشرون كتب امامهم .

لهذا وفيينا بما وعد به الشيخ ابن باديس ، ونشرنا في هذا الكتاب نصوصا من شعرهم ومن نشر امامهم الشيخ ابن عليوه ، فاطلبه في غير هذا المكان .

كل العناية فكان يحفظ مقامات الحريري ، والمعلقات السبع وكثيرا من المنظوم والمنثور ، ولكنه على هذا كله لم يحصل على ملكة الأعراب ، ولا ذوق الآداب فيها فكان كثير اللحن والغلط فيما يقول ويكتب وكثير الخطأ والشطط فيما يفسر به الكلام . وكان لصا جريئا على السرقة ليمزج شعره ونثره بما يحفظه بعينه أو بتغييره ما فيه ، فكان أتباعه يخدعون الأعاجم بذلك .

وتجرا هو على دعوى إعجاز كلامه كالقرآن العزيز ، ولذلك عظم عليه الأمر عندما قلت في ردي على كتابه « إعجاز احمدي » انه كثير اللحن والغلط واللغو الذي لا يفهم له معنى صحيح في هذه اللغة . وألف كتابا خاصا في الشكوى والتبرم من ردي ظهر فيه من ضعف نفسه واضطراب حدسه ما يدل على انه مخذول لا مؤيد عن الله تعالى . ولولا تناقض هؤلاء الموسوسين لعدوا هذا دليلا على انه متعمد لقول الزور ، غير مخدوع بنفسه ولا مغرور فقد عهد مثل هذا التناقض من امثاله :

سوري مغرور يدعى النبوة :

ادنى رجل سوري النبوة وجاء ليظهر نبوته في مصر ، فلما بلغ بور سعيد أرسل منها برقيات الى الخديوى ، ولورد كرومر ، ورئيس النظام ، ورئيس تحرير الأهرام وصاحب المنار يبشرهم بوقت تشريفه عاصمة ملكه .

وكان يتردد علي ويقول : « انك تكون مني كابي بكر من النبي صلى الله عليه وسلم » ثم كان يقبل يدي أحيانا ويتذلل لى لأساعده على إظهار دعوته .

مثال ذلك أنه ترجح عنه ان يستبدل الاستانة بالقاهرة فكلفنى ان أكلم رؤوف باشا المعتمد العثماني بان يطلب له من الدولة اسطولا أو باخرة حربية لأجل نقله الى الاستانة قلت له : انى ان اطلب هذا من رؤوف باشا يعتقد اننى سلبت عقلي ، ولو طلب هو هذا من الاستانة يعتقدون انه جن ، ويستبدلون به غيره ، واما أنت فيمكنك ان تدفع تهمة الجنون عن نفسك بمعجزة تظهرها للباشا ان كنت نبيا كما تقول ، .

قلت : ان هؤلاء قد ضلوا بجهل العربية ، وهذا شاهد قطعى على وجوب هذه اللغة على كل مسلم ، فاذا كان من ادعى أنه المسيح المؤيد بالاعجاز فى كتبه يزعم ان البسملة تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى مسيحيته

هو فلا عجب ان ادعى هو واتباعه أن قوله تعالى : « **إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » يدل على طلب النبوة بدليل ان المنعم عليهم « انما هم الانبياء » ! فعلى هذا يكون المفروض على كل مسلم أن يطلب من الله تعالى فى كل ركعة من صلاته ان يجعله نبيا ليوحى اليه ! !

هذا الفهم الذى جاءنا من هؤلاء الاعاجم قد فات الصحابة والتابعين من العرب الخلفاء وموالمهم ، وفات جميع واضعى فنون هذه اللغة لضبط الفاظها ومعانيها وفلسفتها وآدابها وأسرار بلاغتها ، وجميع من فسر القرآن من السلف والخلف ، حتى قام بعض اعاجم الهند فى القرن الرابع عشر يزعمون انه أصل الاسلام وركنه الاعظم الذى امتاز به على جميع الاديان !!!

لقد كنت اظن ان ضلال هؤلاء المسيحيين القاديانيين قد وقف عند حد لا يتجاوزه : هو دعوى ظهور المسيح والمهدى المنتظرين وان هذه الدعوى ستموت ويخجل أهلها منها بظهور كذب مسيحهم فى دعواه انه ابطال الحرب والجهاد من الارض ، واستبدل بهما السلم العام وقد ادعى البهائية عين هذه الدعوى ، اذ كان كل منهما يتوهم ان أوروبة تبنت ذلك .

تكذيب أوروبا للدينين الجديدين

ثم كذبت أوروبة الدينين الجديدين بحرب طرابلس الغرب ، وحرب البلقان ثم بالحرب العامة ولم يسبق لها نظير فى تاريخ العالم باتساع شرها وعظائم ضررها (9) .

ولكن ظهور كذب دعوى البها والقاديانى لا يرجع من قلدوهم تقليدا اصم أعمى ، كما ان تكذيب السواد الاعظم من المسلمين والنصارى لدعواهم لم يمنعهما من الاصرار على ادعاء هداية أهل الدينين وتغيير حال الارض . اهـ . كلام صاحب المنار » . اهـ .

هذا ما جاء فى الشهاب فى موضوع الاتصال بالمتدعة .

(9) كتب هذا المقال عام 1345 هـ (1927 م) ثم قامت الحرب العالمية الثانية فانست بفظائعها وضحاياها أهوال ما وقع فى الاولى .

ونلاحظ ان العليويين سكتوا فلم يتبرءوا من تهمة الاتصال بالقاديانية
- كما شهد عليهم الاستاذ محمد سعيد الزاهري - كما انهم لم يدافعوا عن
(اصحابهم) القاديانيين .

والحق اننا بمراجعة اشعارهم وأقوالهم المسجلة والمنشورة نجد نفس
ما يدعيه القاديانية من استمرار الوحي اليهم واتصالهم - مباشرة - بذات
الرحمن وتلقى القرآن منه أو من اللوح المحفوظ ، وقد استعمل في اشعارهم
نفس لفظة الوحي بل ادعى شيخهم بان العارف لا يسمع الا كلام الله !
فالصلة المبدئية لا شك فيها - واما الاتصال بالمراسلات ونشر المقالات فالظن
فيهم انهم اغتروا بثناء جاءهم من (الشرق) فحسبوه من اخوان مسلمين
فنشروه وهم يجهلون حقيقتهم ، ولو عرفوهم على حقيقتهم ونكرانهم لختم
الرسالة لتذكروا لهم فهذا هو الظن بهم .

وما زال اكثرنا يهتم أعظم الاهتمام بكل ما يأتى من (الشرق) ، ويسلم
له ويحتقر بضاعة الوطن ولو فاقت وراقت ! ويعرض عنها .



الباب الثانى

الاتصال برجال الكنيسة

التهمة بالاتصال برجال الكنيسة واعتناق آراء شبيهة برأيهم فى طبيعة المسيح - عليه السلام ، ونيل الرضى - بهذا - من فرنسا وحكامها - مما كان يتهم به القوم ، وشيوخهم ، كان هذا قبل الاستقلال ، وظهرت علامات له حتى بعد الاستقلال .

ان هذه التهم من اشنع ما كان يرمى به « القوم » وما انتشر عنهم فى المجتمعات والجرائد ، ولم تكن التهمة اعتباطا ومجرد اشاعة ، وانما كان عليها ادلة ، وشهد بها شهود لم يكونوا من الخصوم ، وانما كانوا من المحبين ، ولم يريدوا بهم شرا وانما أرادوا بها لهم خيرا ، فكان من الواجب الاهتمام بها لانها تمس الصالح العام .

الفصل الأول

المجلة الأهلية تفضح الاتصال

من هذه الشهادات ما نشرته مجلة فرنسية اللسان هى (المجلة الاهلية) فى عدد نوفمبر - ديسمبر 1927 م ، بقلم صحافى ينشر بها تحقيقات هو : ج . هبروسبت بيرابيس .

وقد ترجم المقال الاديب الكبير الاستاذ عبد الرحمن حساني - وكان يتقن اللغتين العربية والفرنسية ، ويشغل بالترجمة مقسما على الأمانة فى النقل -

وباعثه على الترجمة المصلحة العامة ومعرفة ما يقولون عنا ، ولذلك نشره الشهاب وقال في تقديمه (بعث الينا بهذا المقال الأديب السيد عبد الرحمن حساني ورغب منا ان ننشره في باب (ذكر الرجال بالأعمال) فنشرناه حسب رغبته) .

والأديب المذكور من خريجي - مدرسة الشيخ ابن باديس ونبغاء طلبته، وكان من أوائل المشتغلين بالتجول باسم الشهاب والكاتبين فيه ، وهو من عائلة كريمة في مدينة (قالمة) تخرج أخ له من الأزهر ، واضطهد بعد رجوعه . وكان أخوه السيد عبد الله حساني عمدة الحركة الاصلاحية في مدينة قالمة ورئيس شعبة جمعية العلماء بعد تأسيسها ، ونعم المدرب لشبيبته ، لقيته عام 1937 م ، وتعلمت منه بعض تجارب الحياة .

نشرت ترجمة المقال في عدد الشهاب 142 الصادر يوم الخميس 21 شوال 1346 هـ - الموافق 12 أبريل 1928 م . وهذا نصه بعنوان كاتبه :

ذكر الرجال بالأعمال :

الشيخ سي أحمد بن عليوة - الم رابط العصري وصديق فرنسا -

كنا طلبنا - في محادثة سابقة ان تقلد المدام (أوريلي التيجاني AURÉLIE TIDJANY) وسام الشرف فهي أيم الاخوين رئيسى الطريقة التيجانية الموالية لفرنسا ، تلك الطريقة التى جندت لفرنسا زمن الحرب جيوشا متطوعين . وهى المرأة التى أعطت للاستعمار المئات هكتارات من الارض ، وأدارت أعمال رئيسى الطريقة (ومن جاء بعدهم ادارة عادت بالنفع الجسيم على الدولة .

واليوم بعد الاياب من الجولة التى جعلناها بقصد دراسة أحوال القطر الجزائري يجب علينا ان نشنى على همة الزعيم الديني لكبير محب التقدم وصديق فرنسا الشيخ سي أحمد بن عليوة المستغاني .

فهذا العالم الروحي العظيم يبت في أتباعه - وهم يفوقون المائتى ألف في سوريا ، واليمن ، ومصر ، وطرابلس ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب (10)

(10) مثل هذا العدد مبالغ فيه ولا شك ، وهو من تهويل الدعاية العليوية لبيان أهمية الطريقة وانتشارها .

— حب بلادنا (فرنسا) على قلة المرابطين المسلمين الذين يؤيدون فرنسا (11) بتأثيرهم الادبي . فلا غرابة اذا نحن مدحنا كل من كان مواليا لسياستنا . وهذا الشيخ ابن عليوة من أصل وضيع ، قضى أعواما طويلا في دراسة العلوم العربية بالقاهرة ومكة وسوريا (12)، ولما آب الى الديار الجزائرية لم يكن يبت في أتباعه روح التعصب بل كان هو المثال الاعلى للتسامح . وان نظرة واحدة في حال الشيخ تدلنا على سعة فكره وفسحة صدره فهو يدارس قسيسا كاثوليكيًا بجيرفيل (البيض — وهران) ويبحث معه في الوسائل السهلة الاستعمال لمزج أرواح المسلمين وارادتهم بأرواح المسيحيين وارادتهم .

إعجابه بالمسيح وبالإنجيل

وهو معروف لدينا بشديد إعجابه بالمسيح والإنجيل (13) . وهذا ما أخذه عليه المتحمسون الاقلمون المتعصبون . وهو لا يشتغل بالسياسة (14)

(11) لم يكونوا قلة وخصوصا في المغرب والجزائر وتونس ، ولا يعتبر ابن عليوة شيئا مذكورا بجانب عبد الحى الكتانى بالمغرب ، الذى كان يأمر وينهى فينفذ مراده . (12) وهذه مبالغة في اثبات درجة الشيخ العلمية ، وهو نفسه يحقرها ويدعى هو وأتباعه ان علمه (لدنى) لم يكتسبه بالدراسة وانما تلقاه (وحيًا) من الله مباشرة كما هو موجود فى كتابه فى التفسير ومن نص كلامه نفسه . (13) كل مسلم لا يصح منه الاسلام الا اذا آمن بالمسيح عليه السلام انه عبد الله ورسوله أنزل عليه الانجيل فبلغه ، وأحل لبني اسرائيل بعض ما حرم عليهم فى التوراة . لكننا نختلف مع النصارى الكاثوليك وغيرهم فى طبيعة المسيح فهو عندهم اله ، أو جزء من اله ولا يقبلون بحال أن يعترفوا أنه (عبد الله) ويسهل عند معتقد الحلول أو وحدة الوجود ان يستسيغ بعض معتقداتهم اذا كان يعتقد أنه هو نفسه الله ، وليس سواء . وأبعد الناس عن التعصب علماء المسلمين حقاً، فالله عندهم كرم بني آدم وأوجب الحق والعدل والاحسان .

(14) اذا كان يدعو أن يكون حب فرنسا من الدين ، ويرضى ما تعامل به المسلمين من قهر وظلم واضطهاد فهو محمود ، لا يشتغل بالسياسة . أما اذا كان يضع فى صدر صحيفته الحق والعدل والمآخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات فهو مشتغل بالسياسة وتجب مضايقته . هذا هو منطق الفرنسيين وسياستهم . وهو الذى أدى الى طردهم شر طردة والحمد لله .

ويحرر صحيفة عربية الغرض منها تلقين العامة الثقافة الروحية ، وهي تطبع بمطبعة مستغانم تحت اسم التقدم الجزائري (15) .

ودعاية الشيخ تعتنى بتقريب المعارف لاذهان البسطاء ، وحركته تمتد في الاوساط الفقيرة والاطراف العاملة وهو يقبل أحيانا الهدايا (ولكن شيء مستغرب من مرابط لا يطلب الزيارة) . وهو يعيش من ايراد املاكه البسيطة ومن انتاج الخاصة نقية لا يسلك فيها طرق البذخ ، بل ياتر الزهادة .

وناهيك بزاوية مستغانم فهي مضاعة بالكهرباء ، وفيها تلقى دروس علمية بالاساليب الحديثة ، وعلى اللوحة السوداء ، لا ترى بالزاوية أثر البذخ ، ولا الابهة ، وهي مبنية بايدي اتباعه الحازمين ، ولقد ابتعد الشيخ عن فخفة سابقه من المرابطين ، وأراد ان تكون زاويته مفيدة وبسيطة جدا .

وابن عليوة هو الشيخ الوحيد الذي أسس زاوية بفرنسا وله فيها قاعة للصلاة واجتماع اخوانه بباريس في شارع سان جرمان عدد 26 .

وبالزاوية مقدم وبعض اتباع الشيخ المخلصين كان التأثير الشافعي على قسط وافر من العمال المسلمين المنتشرين في الدائرة الباريسية ينتشلونهم من شرور الكحول والفجور .

وبالقطر الجزائري توصل الاخوان العليويون ان يهذبوا جما غفيرا من برابرة القبائل والبيبان ، وبابور ، وبثوا روح الاستقامة في كثير من سراق المواشي قبلا ، وكسروا شرة نفوس أولئك الافراد الذين كانت تدب جنادح شرهم سابقا .

استحقاقه للمكافأة :

واينما كان العليويون يقل عدد السارقين من الاهالي وأخيرا فان اتباع ابن عليوة يضايقون الطريقة الرحمانية ببلاد القبائل ، تلك الطريقة التي

(15) علق الشهاب هنا بقوله : البلاغ هي صحيفة الشيخ ابن عليوة اما التقدم فانها ل : م . بنتامي اه . ولم تكن سياسته مرضية وهو الذي قدم جريدة « البرق » للمحاكمة وطالب بارجاع قانون (لانديجينا) ، وكانت « التقدم » على صلة حسنة بالعليويين ، وسيئة بالمصلحين .

تبت دعاية ذات شبهة . ولا يخفى ان الطريقة الرحمانية فى فرعها الممتد ببلاد القبائل كانت افتضحت بأعمالها فى الفتن والثورات المستعرة ضد فرنسا (16) فنظرا من هاته الوجهة يجب على الولاية العامة بالقطر الجزائرى ان تجل اخوان ابن عليوة وتحترمهم . ولكن بعض الشيوخ من الطرق الاخرى العتيقة يفترون على العليوية ويبشون أكاذيبهم فى الاوساط الاهلية ، وذلك حسدا للرجال الذين يستقلون عن سلطتهم الروحية وينزعون طاعتهم عن رقابهم . يتعين اذا أن نعرف قراء «المجلة الاهلية» بالمرايط المستغنى وبمرمى عمله . ان فرقة الاشراف تنعى على ابن عليوة كونه ليس من أصل قرشى وتسخر به انه كان حذاء ولكن غاب عن ذهنهم ان السلاطين لم يكونوا قرشيين ، وتاريخ الفلسفة الاوروبية يعد حذاء فيلسوفا روحيا عبقريا وهو جاكوب بوهان (17) .

(16) كانت الطريقة الرحمانية فى بلاد القبائل تقوم بدور هام فى نشر الثقافة الاسلامية العربية والمحافظة عليها ، وكان لبعض زواياها نظام جمهورى بأتم معنى الكلمة حيث يتولى الطلبة شؤون تعليمهم وغذائهم تحت اشراف علماء الشريعة الذين يحصلون على علمهم بالدراسة الطويلة والاجتهاد الكبير ، وفيهم علماء كبار درسوا القرآن رواية ودراية وكتب الفقه والتفسير والحديث والعربية : النحو والصرف والادب ، والفلسفة الاسلامية : المنطق والتوحيد ، والرياضيات من حساب وهندسة وميقات الخ . وقد أشار الى اسماء بعضهم العلامة الشيخ أبو يعلى الزواوى فى بعض مقالاته - وهو منهم فهؤلاء لا يقبلون قطعا دجل ابن عليوة ودعاويه التى على رأسها ان علمه علم أهل الحقيقة ، لا ينال بالاكتساب وانما ينال بالرياضة والوحي ! لهذا انضم أكثر علماء القبائل الى الحركة الاصلاحية وأيدوها وكانوا مع الثورات الاسلامية التى رفع أهلها السلاح ، وهذا ما يشكو منه هذا الكاتب . والطريقة الرحمانية او (الخلوتية) هى أوسع الطرق انتشارا بالشرق الجزائرى والشمال ، وربما تكون أكثر الطرق اتباعا وهذه شهادة تشرفها ولا تشرف من سيقنت له وكان للشيخ ابن باديس - فى أول أمره اتصال بـ « اخوانها » يريد - بلا شك - أن يؤثر فيهم ويكتسبهم ، وهذا ما لم يفهمه بعضهم ، ومن أهم معاهدتها العلمية أيضا معهد الهامل ، ومعهد طولقة ، ومعهد وادى سقان لكنها لا تشارك فى الثورات . (17) لم يحتقر المسلمون أحدا منهم لمهنته أو ضعة أصله، ان أبا حنيفة كان بزازا وهو أكبر أئمتهم المجتهدين ، وكان كبار العلماء من المسلمين ذوى مهنة واحتراف . ولكن ابن عليوة لم يكن فى كبار العلماء ، وانما كان يزعم ان له علما لم يكتسبه ، وانه به يتقدم على غيره ، وانه بحث عن نفسه فوجد نفسه هو الله ، وليس سواه ! تعالى الله .

اطراء بمعلومات فاسدة :

والفضل يثبت لابن عليوة - وهو من أصل وضيع - بدأ دراسة العلوم الادبية والكلامية والرياضية وهو اذ ذاك فى العقد الرابع من عمره وقضى عشر سنوات حتى برز فيها (18) .

والغوغاء تتناقل اساطير عن الشيخ مكذوبة . ومن ذلك انه كالحلاج الذى مرق ببغداد يقول : انه هو الحق ، وانه يرى اتباعه مناظر سحرية . . . الخ . ولكن استفدنا من الارشادات التى اعطيت لنا من اوروبين عاشوا فى كنف الشيخ وصادقهم وصادقوه ان ما يقال عليه محض خرافة أجاد صوغها الخيال الشرقي .

ابن عليوة مسلم متسامح روجي سني تلقى مبادئه من الشاذلية ، وعلى الخصوص استاذة الشيخ حمو المدعو أيضا السيد محمد البوزيدي الصوفي المشهور .

ثم ان الشيخ ابن عليوة صوفي عقيدته ، روحية تواترت عن علي صهر النبي وهو : كل شيء من الله ، ويعود الى الله ، ولا موجد فى الحقيقة إلا الله . وهى عقيدة الأساتذة الروحانيين المشهورين فى الاسلام مثل محيى الدين ابن عربي الذى استقى من مؤلفاته (دانت) وكأمثال الغزالي (19) .

يقول الشيخ ابن عليوة ان الانسان الهى بروحه يجب عليه ان يظهر هذه الشعلة الربانية التى كثيرا ما يدنسها العقل بالمادة وهى عقيدة المسيحيين من قبل ، من دولا كروا والقديسة تيريز .

(18) هذه دعوى لا برهان عليها ولا يعترف العليويون ان علمه مكتسب !
(19) علق المترجم على كلمة (دانت) بقوله : عالم روجي طاليانى ألف كتابه المشهور (الكوميديا الالهية) ويقال انه انشأها على اثر قراءته ترجمة رسالة الغفران للمعري) اهـ . ثم ان مذهب وحدة الوجود من المذاهب المبتدعة ، وهو أجنبى عن الاسلام كفر العلماء معتقديه ولا تصح روايته عن علي كرم الله وجهه فضلا عن وصول الرواية الى حد التواتر، واذا جاز ان تجوز على هذا (الصحافي) هذه الخرافة فيجعل هذا المذهب عقيدة الروحانيين المشهورين فانها لا تروج على العارفين بالاسلام ، وبمذاهبه وعلمائه . واذا كان ابن عربي حقا من اصحاب مذهب وحدة الوجود فان الغزالي حجة الاسلام من علماء الاشاعرة ولم يعد احد من اصحاب الحلول .

وابن عليوة - كجميع المعلمين الروحيين يريد ان يوقظ القلوب ، ويقود الارواح في الطريق المستقيم ، يقول بوحداية الله ، وبالاخوة الصادقة بين الناس ، يأمل ان يشاطره أشقياء العالم وضعافه احساساته وتهيجاته الحادثة من حياته الروحية الداخلية وهو ليس بجاهل متبلد ، فان كتبه تشع روحا رفيعة وهي مكتوبة بأسلوب جلي كما اعترفت له بذلك مجلة العالم الاسلامي .
ولقد وشى بابن عليوة المفاتي وسكان مدينة الجزائر واتهموه بالميل الى الشيوعية وهذا كله ليبغضوه للسلطة الفرنسية .

ونحن نعلم ان الطريقة العليوية تقول بوجود الطبقات وتدعو الى الطاعة **لاولى الامر الشرعيين (20)** والى احترام العوائد والقوانين وتنتهى عن كل ضغط وتآمر بالاستسلام .

وان ادارة الشؤون الاهلية تحققت منذ زمن قديم ان هذه التخرصات وأمثالها فى حق الشيخ ابن عليوة محض سخافة ، وهي ترتاح للاجتماع الذى يعقده الشيخ ابن عليوة لآخوانه بالجزائر فى شهر اكتوبر من كل سنة ، وفى ذلك الاجتماع يجرى البحث فى المسائل الدينية والادبية والاخلاقية باللغة العربية والفرنسية ، ولا زالت الجرائد العربية والفرنسية تعطينا تفاصيل عن ذلك الاجتماع .

وجميع الزائرين الذين لهم اهتمام بالمسائل الاجتماعية يعلمون ما قدمنا ولقد رأينا من المحتم ان نفصله للجالية المقيمة .

ان انشاء طريقة فى القرن العشرين تحت رئاسة مرابط عصرى محسوب للرقى وفرنسا قادر على خدمة قضيتها الكبرى خدمة جليلة من ائتلاف العنصر الاسلامى بالفرنسى فى امكانه ان يرقى مستوى الامالى الادبى وان يجتث منها **الاهواء السيئة والاغراءات الشريرة** ، ان انشاء طريقة هذه حالها ليعد حادثا ذا أهمية عظيمة .

(20) هذه شهادة رائعة فى حقهم ! ان يعتبروا سلطة فرنسا سلطة شرعية ومع ذلك فهو يقول : انهم لا يشتغلون بالسياسة ! شهادة لا تعد لها شهادة : محب لفرنسا قادر على خدمتها ، يجتث الاهواء السياسية من شعبه ، والاغراءات الشريرة ! وما هى ؟ كالدعوة للثورة والاستقلال مثلا ! أليس ذلك شرا عندهم ؟!

وبقدر ما نسلق بألسنة حداد المرابطين ذوى الاغراض السيئة مثل
سى عزيز رئيس الثوار فى عام 1871 يجب علينا ان نشجع ونؤيد الحركة التى
يقوم بها المرابطون المحبون للخير الاذكياء مثل ابن عليوة فهم - اذا احسن
استعمال تأثيرهم - خير اعوان عاملين فى سبيل الترقى الادبى فى الاوساط
الاهلية وفى سبيل المسلمين فى افريقيا الشمالية .

ج . هـ . بروبست براين

عن المجلة الاهلية ، عدد نوفمبر - ديسمبر 1927 م .

الفصل الثانى

اصحيح هذا ام باطل ام مبالغ فيه ؟

قد يتساءل المرء - بعد قراءة هذا المقال للمجلة الاهلية ، عما ورد فيه :
اصحيح هو ام باطل ام فيه مبالغات ؟

والذى يظهر للباحث المنصف ان فيه صحيحا واضحا وفيه باطلا فاضحا ،
وفيه ما يحتاج الى توضيح ممن تناوله الكلام ، وتصحيح بالنفى أو الاثبات
فهل وقع شئ منه ؟

أول ما نلاحظه على كلام المجلة الاهلية أنه رفع درجة الشيخ العلمية فادعى
انه «قضى أعواما طوالا فى دراسة العلوم العربية بالقاهرة ومكة وسوريا» وانه
« بدأ دراسة العلوم الادبية والكلامية والرياضية،وهو اذ ذاك فى العقد الرابع
من عمره،وقضى عشر سنوات حتى برز » .

ان صحافيا آخر من الفرنسيين - هو محرر الديبش القسنطينية - نسب
اليه ما يشبه هذا،وجعل مدة الطلب ثلاث سنوات فقط،ولكنه حصر طلبه
(العلم) فى نوع خاص منه .

والذين كتبوا عن الشيخ من الجزائريين ، وعرفوا حياته فرووها - سواء
منهم المريدون والاصدقاء المعجبون أو الخصوم المعادون - لا يلصقون بالشيخ
مثل هذه (التهمة)،تهمة رسوخ قدمه فى العلم !

وهي نقطة الضعف فيه يستترها محبوه ، ومقتل من مقاتله ياتيه منه خصومه .

فالشيخ سعيد الزاهري يعلن انه يعرفه شخصيا ويعلم عنه انه يكاد يكون أميا ، لا يتصور منه ان يؤلف في تفسير القرآن، كما نشر عنه انه ألف تفسير سورة « والنجم » فوقع في كلامه من مذاهب النصرانية ما يؤاخذ به . ونسب الشيخ الزاهري تأليف ذلك التفسير الى حركة التبشير ، ودسته على الشيخ بدليسا على المسلمين، وإن ما صدر عن الشيخ من أشعار في الديوان ، ومن شرح لمتن (المرشد المعين) ليؤيد ما ذهب اليه الزاهري من قصوره في التأليف وضعف منزلته في العلم .

وحتى من شهدوا له من الأنصار والمحايدين في كتاب « الشهاد والفتاوى » لم نجد أحدا منهم أشاد برحلاته العلمية ، ودرجته السامية ، وانما شهدوا له بصحة عقيدته ، واجتهاده في العبادة والذكر ، واحسانه في التربية والسلوك لمريديه . ولو كانت له رحلات الى المعاهد الاسلامية العالمية ، الخاصة منها أو العامة في عواصم البلاد الاسلامية لنوهوا بها ، وأشادوا بذكرها . وقد صرح المترجمون له ان ما عنده من علم لم يكن باكتساب وتحصيل ، وانما كان بفيض من الله على قلبه من العلم « الدني » الباطني .

وهذا ما أشار اليه الاستاذ الطاهر برقة في مقدمة لكتاب « البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور » جاء في مقدمة الاستاذ برقة ان « سر الحقيقة في القرآن كما تتجلى في قلوب أهل العرفان (21) » ، ولا يتوصل اليها الا الراسخون في العلم من عباد الرحمن الذين امدهم بفيض من بحر القرآن بعد تحققهم في مقام الاحسان، أولئك الخواص المحمديون الموسومون في الآية الكريمة بقوله : « فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمةً من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً » ذلك العلم الذي اخذ منه الأستاذ قبساً لعلكم تسطلون بنوره (22) .

(21) كتاب منسوب الى الشيخ ابن عليوة قال انه أملاه على كاتبه السيد صالح التلمساني الذي فرغ من كتابته بخطه عام 1934 وطبع بمطبعة العليوية في مستغانم عام 1982 م .

(22) مقدمة الكتاب المذكور في الصفحة الاولى تحت عنوان « مقدمة التفسير »

وهو ما يؤخذ أيضا من قول هذا الاستاذ فى مقدمة الطبعة الاخيرة من ديوان الشيخ الصادرة فى مستغانم عام 1982 م ، محتجا على ان علمه فيض من العلم « اللدنى » بقوله تعالى : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » (23) .

واصرح من هذا ما جاء فى مقدمة التفسير المومىء اليه منسوباً الى الشيخ نفسه بأن له حظا وافرا من هذا العلم الفيضى اذ يقول : « **والحمد لله اطلعني الله على البعض من جواهره** » (24) ، ويقول فى الذى يتلقى القرآن ببصيرته : « يراه الآن ينزل به **الروح الأمين** ، واذا قرأه يقرأه **من إمام مبین** ، وأعظمهم درجة من تلقاه من **ارحم الراحمين** ، و**قليل ما هم** ، ولا تستبعد ذلك فان الكلام كلام الله (25) » .

وهذا كلام فى درجة عظيمة من الخطورة ، لانه يحذف واسطة النبىء (ص) فى تبليغ القرآن ، وانما وصل اليها القرآن بتبليغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه يجعل درجة أعظم هؤلاء فوق درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقرأه من اللوح المحفوظ « من امام مبین » او يتلقاه - مباشرة - من الرحمن الرحيم فى زعمه !

ان القرآن الكريم انما جاءنا بواسطة رسول الله بلفه اليه جبريل الامين رسول الوحي من الله الى عباده المرسلين. يقول الله تعالى : « **وَإِنَّهُ لَكُنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ، وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ** » فالرسول انما تلقاه ولم يقرأه فى اللوح المحفوظ ، وقد قال له الملك فى غار حراء : « **اقرأ** » فقال ما بقارى أى لا احسن القراءة ، ولم تكن أميته قادحا فى رسالته بل كانت آية صدقه الكبرى .

ولما كان الصحافى الفرنسى يكتب بعقلية قومه الاوروبية التى لا تتصور « عالما ، كبيرا ، له تأثير ساحق على مئات الالوف - فى زعمه وزعم أصحابه - فانه اخترع له دراسة طويلة ، ورحلة دامت فى عواصم الاسلام عشر سنين ! فلعل هذا من باطل ما جاء فى المقال .

(23) مقدمة الديوان .

(24) مقدمة التفسير ، ص 20 .

(25) مقدمة التفسير ، ص 18 .

ومن الملاحظ أيضا ان صاحب المقال اعتبر ما نسب الى الشيخ - من القول بمذهب الحلاج في الحلول ، وانه يرى اتباعه مناظر سحرية - من قبيل الاساطير المكذوبة التي تناقلتها الغوغاء ، واستشهد على بطلانها بما اعطى له من ارشادات من أوروبين عاشوا في كنف الشيخ . وانها خرافات أجاد صوغها الخيال الشرقي .

وهذا دفاع باطل ، وكان بإمكانه - لو لم يكن متحيزا - أن يتحقق صحته أو فسادة ويبرهن عليه ، لكن غرضه ان يبرر حصول الشيخ واتباعه على مكافأة فرنسا ودولتها :

ان القول بالحلول - كقول الحلاج أو أكثر كالقول بوحدة الوجود - ثابت شائع في كلام الشيخ واشعاره التي كانت رائجة في الاسواق ، ومنها البيت الشهير :

فتشت عليك يا الله لقيت روعي أنا الله

رواه الشهاب في كلمته الصريحة .

ولنفرض ان هذا البيت - الذي شهد بوجوده في الديوان المطبوع بتونس عام 1920 م ، شهود كثير لا يتطرق الى عدالتهم في الرواية شك كالشيخ ابن باديس ، والشيخ العقبي وجلة من علماء المغرب وكتاب الجزائر ومنهم السيد توفيق المدني - على حد قوله ان صح - وهو من أرف الناس بالشيخ - لنفرض انه لم يقله لعدم وجوده اليوم في ديوانه - فان في هذا الديوان - الذي طبع اليوم خمس مرات - كثيرا من مزاعم الحلاج واقواله ، ومنها قوله الشهير : « ما في الجبة الا الله » يعني انه « هو الله » .

وفي مثل هذا يقول ابن عليوة في الديوان - وهو موجود فيه حتى الآن : « سره في جمعنا - خمره في كأسنا - علمه في نطقنا - تالله لسنا سواء » (26)

ويقول في نفس هذه القصيدة :

من زالت عنه الستور لا يرى ما سوى الله

(26) الديوان ، ص 18 .

واما قضية المناظر السحرية، فانها نتيجة « الخلوة العليوية » التي لا ينكرها هو ولا مریدوه ، بل يعتبرونها من لوازم بلوغ درجة الكشف عندهم وارتفاع الحجب والوصول الى علم الغيب والبرهان على القبول . وقد شهدت بوجودها مقالات المشائخ المنتقدين ، ومنهم الشيخ العربي التبسی الذي انكر شرعيتها ، وطالب بالبرهان عليها ، وقد وجد من يجادلهم ويحاول ان يجعل لها سنداً، ونشر جداله في جريدتهم .

فدفاع الصحافي عنه بانكار هذا لا يجديهِ ولا يدفعه عنه . وقد نسب اليه الصحافي اقوال الصوفية القائلين بوحدة الوجود كمحي الدين ابن عربي وامثاله من كبار علماء الروح كما قال .

وقال عنه : « ان عقيدته أن الانسان إلهي، بروحه .. وهي عقيدة المسيحيين من قبل من جان دولاكروا والقديسة تيريز » وانه يدارس قسيساً كاثوليكياً بيجريفييل ويبحث معه في الوسائل السهلة الاستعمال لزوج أرواح المسلمين واراדתهم بأرواح المسيحيين واراדתهم وهو معروف لدينا بشدة أعجابه بالمسيح والانجيل

هذه الاقوال مدحه بها، لكن الشيخ يتضرر من صدقها اذا صدقت . وقد أثبتت ذلك جريدة (البلاغ) وشكت منه ، وكان قد صدر من الاستاذ الزاهري اتهام بشبهها وقدم له سؤالاً يطلب الجواب منه ، غير ان الشيخ ومريديه أبسوا ان ينطقوا بما يفيد البراءة أو الاثبات رغم إلحاح الخصوم في طلب الجواب .

وانما انتقدوا (الشهاب) انتقاداً مرا لانه نقل هذا المقال عن (المجلة الاهلية) واتهموه بانه يحاول ان يشوه سمعة الشيخ واتباعه ، وكما جاء في المقال بقلم الصحافي الفرنسي - انه مستخدم للحكومة ، وأنه وضع الاصل ، وانه غير سالم العقيدة .

وقد أجاب الشهاب عن النقطة الاخيرة - وهي عدم سلامة العقيدة بقوله : « اذاً، فقد أدرك هذا الكاتب أن ما في تلك المقالة ليس من سلامة العقيدة ، واذا كان من حقه أن يسعى لدى جناب الشيخ في نفي ذلك وتكذيبه والبراءة منه ، وكنا نحن ننشر ذلك في صفحات الشهاب خدمة للحقيقة وحبا بانصاف .

واذا كان قصر هو - يعنى الكاتب - فى ذلك فنحن ندعوه اليه ونحثه عليه ، فاننا لا نحب ان يبقى ذلك الذى اعترف الكاتب أنه ليس من سلامة العقيدة ملصقا برجل من عامة المسلمين فضلا عن كان بمنزلة جناب الشيخ - ها نحن بالانتظار - اه - وطال الانتظار .

الفصل الثالث

سكوت مريب

وقد كان ابن باديس وغيره فى انتظار مثل هذا التكذيب ، ولكنهم لحقوا جميعا بربهم ولم يقع ، ذلك لان التهمة به واقعية ، والصحافى الفرنسى كتب فى ذلك عن علم ومعرفة مما يعتقد مفيدا للشيخ وطائفته عند قومه ودولته . ومن قبله وجه الصحافى الجزائرى الشيخ سعيد الزاهرى سؤالا الى جريدة البلاغ موضوعه يشبه ما نسب الى الشيخ من طرف المجلة الاهلية ونصه : « لماذا فسر شيخها العليوى سورة والنجم بتعاليم يسوع المسيح عليه الصلاة والسلام وبما جاء فى الاناجيل ولم يفسرها بآيات القرآن الحكيم ولا بسنة النبىء عليه الصلاة والسلام » ولم يتلق جوابا عن هذا السؤال الذى شهد ابن باديس بانه :

« سؤال علمى بحث ، نرى حقا على الشيخ ان يجيب عنه ، وانتظرنا ذلك الجواب من حضرته راجين من ورائه فتح مناظرات علمية تفيد القراء وتكشف الحجاب لكل جانب عن قصد الآخر وتقرب أسباب المفاهمة وتظهر مكانة الشيخ للناس . هذا ما كنا ننتظر ولكن - ويا للأسف - لم يكن شئ من هذا ، فان الرصيفة لم تنشر كلمة واحدة عن هذا السؤال بل نشرت فى مفردات اسبوعها تشبه الزاهرى بالكلب والتعريض له بالقذف . (الشهاب عدد 144) .

أما الزاهرى فقد القى السؤال لإثبات تهمة الاتصال بالمبشرين والتآمر معهم ، وفى ذلك يقول عن السؤال الموجه الى البلاغ :

« سألتهما هذا السؤال لأنى أعتقد أن مبشرا مسيحيا من المبشرين ب : « ابن الله » قد كتب هذا التفسير ثم أخرجه للناس باسم الشيخ ابن عليوة الطرقي العصري ليفسد على المسلمين دينهم الحنيف . ذلك أن هذا التفسير

مكتوب بقلم مسيحي لا شك فيه وذلك بانى أعرف الشيخ ابن عليوة معرفة شخصية وأعرف انه لا يقرأ ولا يكتب الا قليلا فيبعد عندى ان يكون من رجال التأليف والتفسير ، وقد كنت أتمنى ان لو كذبت البلاغ نسبة هذا التفسير الى شيخها فتكون برأت نفسها وطأفتها من الدعوة « المسيحية الاسلامية » ونزهت شيخها من ان يكون - بين المسلمين - مبشرا من المبشرين بالمسيح « ابن الله » ولكنها مع الاسف لم تنبرأ من هذا كله وسكتت عنه ، والسكوت قد يكون رضى واعترافا كما سكتت ولم تنبرأ من قبل من جمعية المسيح أحمد القاديانى « (27) وقد انكر ابن باديس على الزاهرى رميهم بالتبشير المسيحي ، ولعل مراد الزاهرى المبالغة فى الاثارة ليعلنوا براءتهم من الاتصال بالقس والمبشرين ، والتأثر بأقوال مسيحية تقرب فى اعتقادهم بين المسيحية والاسلام كما ترغب فى ذلك الحكومة الفرنسية والكنيسة وبعض الصحافيين ولكن لم يقع جواب .

براعة ابن باديس فى رد الكيد :

وقبل أن أختتم هذا النص أنبه الى عبقرية ابن باديس رحمه الله فى رد كيد الكائدين فى نحورهم فى براعة لا نظير لها .

فى المقال المترجم شهادة من الصحافي الفرنسي ومن الصحيفة الفرنسية بان ابن عليوة كان فى خدمة الحكومة وعونها ، وهذا مما يعلى درجته ويسارع فى استحقاقه المكافأة عنده وعندهم .

ولكن الامر ليس كذلك عند الشعب ، فان كل قريب من الحكومة بعيد منه ، ولهذا كان هذا (الاتهام) المضى من كاتب فرنسي من باب « وشهد شاهد من أهلها » .

وقد تنبّهت الى ذلك صحيفة البلاغ فكان أول ما أخذت به الشهاب - مع ان الكلام ليس كلامه - بانه يريد ان يشوه سمعة جناب الشيخ بانه « مستخدم للحكومة » .

هذه تهمة خطيرة فى تلك الايام - يمكن اذا ثبت على الشهاب - بانه ضد من يستخدم فى الحكومة ويعد ذلك سبة فيه - قد تسبب له اضرارا فادحة منها ان يعطل .

(27) الشهاب ، عدد 138 ، الصادر فى 9 رمضان 1346 هـ - 1 مارس 1928 م

فكيف أجاب ؟ انه قلب الامر على الخصم فقال عن كاتب البلاغ :

« ثم عد مما يشوه سمعة جناب الشيخ أنه مستخدم للحكومة ! واعجبا لهذا الكاتب ! كيف يعتقد أن خدمة الحكومة تشوه سمعة صاحبها ؟ فهل هذا هو رأيه في جميع المستخدمين ؟ (عدد 144 من الشهاب) .

هذه بلا شك - براعة نادرة في قلب التهمة ورد الكيد، اما ان يعترف الكاتب أو ينكر .

الفصل الرابع

حقيقة شعوره نحو « مستخدم » الحكومة

قد يتطلع القارئ الى معرفة حقيقة شعور ابن باديس نحو من يستعمل الدين لخدمة حكومة فرنسا التي تسلطت على وطنه وعملت بكل قواها لقهر أمته وخراب دينه ، وأنا لا أبخل عليه بما يعرفه بحقيقة الامر .

لقد أخذ عليه العهد استاذة ومربيه الشيخ حمدان الونيسي الا يقبل وظيفة من الحكومة وان لا يجعل علمه سلما لخدمة الوظيفة ، لما في ذلك من معاونتها وفقدان حرية التعبير ومداهنة المستعمر فضلا عن « خدمته » وهذا ما كان يؤمن به ويعمل لغرسه في تلاميذه .

وذلك أنه لما شغل منصب الافتاء في مدينة سطيف واستعدت الادارة لاجراء امتحان لعمارتة - زينت النفس الأمانة بالسوء لأحد كبار تلاميذ الشيخ محمد البشير الابراهيمي النجباء وأحد أركان الاصلاح في مدينته أن يشارك في الامتحان فاستعد له ، وقدم طلبا - ولو فعل لحصل عليه لا محالة اذا كانت الكفاءة العلمية هي الحكم وهو الكفء لها .

ولكن ظهر له - في آخر لحظة - ان يعرض الامر على الشيخ عبد الحميد ابن باديس ويستشير فيه ، فذهب اليه وشرح له الامر ، وطلب منه ان يبدى له ما عنده . فأجاب به جوابا غليظا تركه مبهورا اذ قال له ما فحواه : « لان

تتكسب بحماية مومس خير لك من التكسب بمثل هذه الوظيفة» أو قال له اذهب وافعل ذلك خير لك . فكان ما سمعه كلمة الفصل (28) .

واشتغل بعمل تجاري بآرك الله له فيه ، واستمر فى عمله الاصلاحى فاحتل مكان قيادة الحركة فى مدينته ، وبلغ الذروة فى القيادة الشعبية بعد الاستقلال ، وما زال - والحمد لله - حيا يرزق (29) .

من هذا نعلم شعوره الحقيقى نحو من يسخر دينه لخدمة عدو دينه وشعبه ، وانما اراد بما قاله لكاتب البلاغ رد الكيد فى نحره !

(28 - 29) هذا الشيخ هو صديقنا الاستاذ المطاعى « مزعاش الطيب » ، وكنت قد كتبت من الذاكرة الحادثة ثم لقيته يوم 30 مايو 1983 م فأكد لى ذلك وقال : « فاجانى الشيخ بهذه الكلمة ، وكنت أعدها كبيرة جدا لما عندى له من الاحترام » وبارك الله للشيخ المطاعى ، وقام فى مدينة سطيف بأعمال عظيمة قبل الثورة ثم هاجر الى تونس لما عزموا على اغتياله ، ثم انتخب بعد الاستقلال شيخا للمدينة فى السبعينات تحت راية الجمهورية الجزائرية . وما يزال فى خدمتها عزيزا .

الباب الثالث

الاتصال بالادارة الفرنسية الاستعمارية والتعاون معها

لم يكن الامر - فى الحقيقة - يختص بالطريقة العلبوية وحدها وانما كان خطة سياسية انتهجتها الادارة الفرنسية ، وعملت لإدراكها - وان كانت لم تبلغ مع الطرق - عموما - ما بلغته مع هذه الطريقة بالخصوص فى محاولة التفاهم (الروحي) بين المسيحية فى طبيعة المسيح عليه السلام، وبين الاسلام عند القائلين بالحلول ووحدة الوجود .

الفصل الأول

هذا التعاون قديم من عهد روش

فى عام 1938 م ، نشرت جريدة (الهوبولير) الباريسية لسان حال الحزب الاشتراكي آنذاك مقالا - عربته مجلة (الشهاب) ونشر تحت عنوان : ما يقولون عنا - جاء فيه ان الجنرال بيجو هو الذى خطط لاستخدام الاسلام لفائدة فرنسا بعد ان رأى أن المقاومة الشعبية ما تزال متأججة باسم الدين ، ويرفع آياتها مشائخ الطرق ، ومنهم الأمير عبد القادر الذى كان أبوه محي الدين شيخ طريقة ، فقررت فرنسا ان نعتال فى جعل سلطتها من سلطة الدين ، ونجحت فى الموضوع ايما نجاح - «ويوجد نص هذا المقال فى مكان آخر من هذا الكتاب» ويؤيد هذا قصة جاسوسها الكبير (ليون روش) واعترافه الذى سجله فى كتاب ألفه تحت عنوان (ثلاثون سنة فى الاسلام) وقد نشر مقال عن ليون روش

وكتابه فى مجلة الفتح القاهرية ونقلته عنها جريدة (الشهاب) فى عددها 161 الصادر عام 1928 وقدمت به بكلمة ذكرت فيها أسباب اعدامها على نقله . ومنها (ما فيه من شهادته على شيوخ الطريقين) .

لقد جاء فى اعتراف ليون روش قوله :

« اعتنقت الاسلام زمنا طويلا لأدخل عند الامير عبد القادر دسياسة من قبل فرنسا ، وقد نجحت الحيلة، فوثق بي الامير وثوقا تاما واتخذني سكرتيرا له » (1) ثم ذكر انه استطاع ان يتصل بالعلماء (شيوخ مشايخ الطرق) فى الجزائر وتونسي ، ومصر ، والحجاز ، وان يسخر بعضهم لخدمة فرنسا وختم كلامه باعرا به عن احتقارهم واشمئزازهم من خيانتهم دينهم فقال :

« ان الاسلام دين المحامد والفضائل ، ولو انه وجد رجلا يعلمونه للناس حق التعليم ، ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين واسبقهم فى كل الميادين . »

ولكن وجد بينهم شيوخ يحرفون كلمه ، ويمسخون جماله . ويدخلون عليه ما ليس منه .

وانى تمكنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ فى القيروان والاسكندرية ، ومكة، فكتبوا الى المسلمين فى الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين ، وبأن لا ينزعوا الى الثورة ، وبأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس ، وكل ذلك لم يكلفني غير بعض الآنية الذهبية ، اهـ . لم يكفهم - لشقايتهم - ان يخونوا دينهم حتى قبضوا ثمن الخيانة ثمنا زهيدا من آنية الذهب وهى حرام استعمالها فى دينهم .

والحق ان تعميم هذا الحكم فى كل العلماء او مشايخ الطرق لا يصح ، فقد أفتى علماء المغرب - كالشيخ التسولى وغيره - بوجوب استمرار الجهاد وبارتداد المتعاونين مع الفرنسيين ، كما رفع راية الجهاد عند كل ثورة كثير من هؤلاء المشايخ ، ومنهم الشيخ بلحداد وابنه الشيخ عزيز المساعد الأيمن للمقراني رحمه الله . وقد استحق الشيخ عزيز ذم المجلة الأهلية !

(1) ما زال المسلمون يؤتون من هذا الباب ، فقد بلغ الانقليزى عبد الله فليبي منزلة عظيمة عند بعض ملوكهم ، وخدعهم لورانس بلباسه العربى .

غير أنها بقيت خطة تلجأ إليها فرنسا وتعتمد عليها ، وانتفعت بها كثيرا كما صرح بذلك صحافي فرنسي . يعتب على دولته في استمرار دعمها لهؤلاء (الخلفاء) اذ يقول صاحب جريدة (لو كرى مروكان) في عددها 214 الصادر في 23 جويلية 1927 م ، « نعيم نحن لا نكذب في ان تلك القوة كانت لنا عوناً فيما سلف أما الآن فغايتها مقصورة على اسعاباد الشعب وتضليل افكساره بالخرافات المنافية لروح القرآن » .

ولم يكف المتعاونين مع الفرنسيين منهم وساطتهم في اقناع الشعب بالاستسلام والخضوع بفتاوى شرعية كما صنعوا في عهد (ليون روش) لان الشعب لا يثق بهم في الموضوع ولا يجوز عليه ان ينصح الفرنسيون لهم في دينهم أو دنياهم ولكنهم تسفلوا الى الوشاية بمن يحاولون النهوض بالمسلمين، ويعملون لإنقاذ الاسلام من الدجل والخرافات والعقائد الزائفة الملصقة به .

يقول الأستاذ اليزيدي - من كتاب المغرب الاقصى في مقال له نشر بالشهاب عدد 90 الصادر 27 أكتوبر 1345 هـ (31 فيفري 1927 م) :

نفور الشعب من العملاء :

ان أرباب الطرق عندما يذهبون الى تلك القبائل يحلزون كل الحذر ان يواجهمها بمدح الحماية ، اذ انهم لو باحوا بذلك لفر منهم البرابر ، ولما حصلوا على مرغوبهم، وهو كما لا يخفى ملء كيوسهم ذهباً أو فضة

ويقول (مسلم غيور) يظهر انه الكاتب الكبير محمد غازي في مقال له نشر في (الشهاب) عدد 80 - 1345 هـ (1927 م) هذا نصه :

« كان قطرنا المغربي آخر من تأثر بالأفكار الحرة السلمية، فنبع فيه أفراد يعدون على الأصابع زاحموا إخوانهم على أنهار الصحف والمجلات، فقامت قيامة الدجالين من المشائخ، وأبرقوا، وأرعدوا، وهرعوا للوسوسة التي هي سلاح العاجزين .

افسحت هذه المجلة - يعني مجلة الشهاب - لبعض الشبيبة الفاسية فنشروا على اعمدتها ما عن لهم نشره مما لا يخرج عن بيان حقيقة الدين الاسلامي ، وشرح المفاصد التي انجرت له من رؤساء وأرباب الزوايا فرأى هؤلاء ان البلاء قد حاق بهم من كل جانب فوسوسوا للحكومة ما وسوسوا مما اضطر ادارة

الاستعلامات الى التوجه من وراء أفراد بعض الشبيبة « . . . الخ . ثم يقول :
« هذا آخر سهم فى كنانة الطريقين المشعوذين رُمى به كبيرهم فى هذه
العاصمة » .

ويعنى بالعاصمة مدينة فاس ، وبكبيرهم عبد الحى الكتانى، عميد مشائخ
الطرق لا فى المغرب وحده ولكن فى كامل افريقيا الشمالية، وكان هذا الرجل
بالمرصاد لكل نهضة سياسية أو دينية حتى انتهى به الامر الى التآمر ضد
السلطان محمد الخامس رحمه الله ، وفى الجزائر حاولت فرنسا به ان تكون
قوة دينية رهيبة ، فجاءت به ونصبته على رأسها لتقوم بحرب الحركة الاصلاحية
والنهضة الدينية وجاءت به الى مؤتمر اسلامى وقع بتونس عام 1949 م ،
وحضرت لقاء مع باى تونس وسمعت تطفلا منه لدى الباي - وكان محمد الامين
رحمه الله فزجره زجرا عنيفا (2) .

ولقد الحقوا - فى ظنهم - ضررا بليغا بالاستاذ محمد غازى الذى اشتكى
منهم فى الكلمة السالفة ، وفضحهم فضيحة كبيرة فى مقال علمى بديع نشرته
الشهاب له بعنوان « لا تخف انك أنت الاعلى » يخاطب فيه ابن باديس بمناسبة
العدوان عليه . والمقال منشور فى القسم الرابع .

وكان الاستاذ محمد غازى يتولى ادارة المدرسة الناصرية بعاصمة فاس .
فاستعمل عبد الحى نفوذه ، وأخرجه من الادارة ، بل نفاه من مدينة فاس .
ولم يكن قد مر من الزمن - على نشر مقاله - وقت طويل فقد نشرت الشهاب
فى عددها 99 الصادر فى 2 - 12 - 1345 هـ الموافق 2 - 6 - 1927 م نبأ
ما أصاب الاستاذ من شرهم تحت عنوان : « ما زادوه الا شرفا » .

« تحقق عندنا أن الاستاذ السيد محمد غازى صرفه مؤسسو المدرسة
الناصرية بفاس عن ادارتها وسعى بعضهم عند الادارة فى نفيه فضغطت عليه
الادارة ونفته الى بلدة مكناس (3) » .

(2) اثناء المقابلة أخذ عبد الحى يثنى على بعض شيوخ تونس من المقربين اليه
والى حكومة الحماية المفضوب عليهم من الباي ومن تونس فقال له : « نحن
أدرى برجال بلادنا - سيادتكم تعرف رجال بلادك ، واحنا نعرف رجال بلادنا »
فبهت .

(3) المراد بالادارة هنا حكومة فرنسا فى المغرب ، والمسировون لها . وكثيرا ما =

ان قراء الشهاب لا يزالون على ذكر من مقالته الرنانة فى الدعوة الى الحق والارشاد والى سبيل الدين الصحيح والعمل على الاصلاح الدينى الذى هو الشرط الاصلى لتقدم المسلمين فى العلم والمدنية والعمران فيسوءهم جدا ان يعامل مثل هذه المعاملة وان كانت ما زادتة الا شرفا ...

... فمن العجب المؤسف ان يكون فى بعض رجال الادارة هناك من يسمع فيهم لاقوال قوم لهم مصالح حيوية فى جهل العامة وجمودها ، وهم لذلك أبغض الناس فيمن يحارب الجهل والجمود سواء كان عربيا أو فرنسا ... اهـ وقد امتدت عداوة العليويين للشهاب وحزبه من الجزائر الى تونس والمغرب ، واذا كانوا بتونس ليس لهم نفوذ فى الدوائر العليا ، فان لهم فى المغرب نفوذاً وأى نفوذ بعدد العليويين الموجودين بكثرة فى المغرب ، وبحلفائهم الدرقاوين وهم منهم .

لهذا تابعوا مساعيهم فى تنظيم صفوفهم ، ومحاربة (الشهاب) وحزبه بالجزائر وبالمغرب ، واستطاعوا ان يقنعوا الادارة الفرنسية بالاضرار التى تحدثها مجلة الشهاب ، وب (التخريب) الذى يصيبهم من جراء كتابه حتى توصلوا الى استصدار أمر بمنعه من دخول المغرب كل ذلك كان بمساعيهم وتأثير زعيمهم الاكبر عبد الحى ، وكان فرح العليويين بنجاح سعيهم لا يوصف فارسلوا الى مدير الشهاب برقية عاجلة (ييشرونه) فيها بمنعه من دخول المغرب . وقد نشر الخبر والتعليق عليه فى العدد 104 تحت عنوان : « شماتة كاذبة وسعاية خائبة » .

= يعبر الشهاب اذا أراد أن يشتم فرنسا - بكلمة الادارة حتى لا يقع تحت طائلة قانون سب فرنسا ، وعقاب ذلك شديد عسير على من يتهم بعداوتها أو يثبت عليه سبها !

الفصل الثانى

نجاحهم فى منع الشهاب من دخول المغرب

جاءتنا برقية هذا نصها مترجمة :

« الجزائر عدد 12001 17 21 8 38 أقدم لكم تهنئتى بتحجير دخول جريدتكم (الشهاب) الى المغرب الاقصى » .

الامضاء (بلاغى)

وقد علق الشهاب على هذه البرقية بقوله :

« لا ريب ان اظهار الشماتة بهذه اللهجة التهكمية لا تكون من رجل شريف وما كان غير الشريف ليصدق » .

فبادرنا بارسال برقية لاحد أصدقائنا نستجلى منه حقيقة الخبر فجاءنا منه الكتاب الآتى :

مجادة الاديب المحترم ناصر الملة والدين سيدى أحمد بوشمال . بعد السلام أوف الى مسامعكم أنى تلقيت رسالتكم البرقية سائلا عن منع الشهاب الدخول الى الايالة السعيدة ، وحيث ان المسألة محتاجة الى تفسير طويل فقد اخترت الجواب عنها بكتاب عوضا عن التليفراف .

ان مجلة الشهاب غير ممنوعة الدخول حيث انه لم يبرز فى شأنها ظهور رسمى من قبل مولانا السلطان ولا قرار حربى من قبل سيادة رئيس القوات الحربية . وانما هى تحت مراقبة ادارة الاستعلامات التى لا تسوغ تفريقها وبيعها قبل مطالعة جميع فصولها . وبسبب ذلك صارت ربما تتأخر فى الادارة اياما معدودات .

والحامل للسادة الحكام على ذلك هى الحملة التى أقامتها بعض الجرائد الفرنسية بالمغرب ضدها وضد جريدة (البرق) متهمة لهما بضدية الحكومة الفرنسية والقائم بذلك هو بعض الطريقين لا السادات الفرنسيون أنفسهم وهم معذورون فيما يفعلون لان شيطنة أعداء الدين يهولون لهم المسألة ويظهرونها لهم على غير مظهرها الحقيقى » .

وفى تعليق الشهاب الاخير يقول :

« ٠٠٠ ولينظر القراء - بانصاف وتجرد - كيف يسلك رؤساء الطريقين ضد اخوانهم الاصلاحيين طريق السعاية الكاذبة التى تؤدى - اذا لم يلحقها حاكم بصير متثبت - الى الضرر الفادح فى النفوس والاموال والاعراض . وليصدروا بعد ذلك حكمهم على هؤلاء الشيوخ المقدسين ٠٠٠ » .

هذا ما كنا نتوقع

ولكن المخبر (البلاغى) الذى أرسل البرقية السالف ذكرها كان - مع الاسف - يستند الى مصادر عليمة لانه كان على اتصال صحيح له بها ، فقد منعت الشهاب من دخول المغرب قبل وصول البرقية بأكثر من أسبوع ، ومراسل الشهاب هو الذى لم يكن له علم بالامر . حتى جاء الخبر اليقين ونشرته جريدة (السعادة) وهى جريدة الاستعلامات الفرنسية ، وعنها نقلت مجلة الشهاب فى عددها 106 الصادر فى 21 محرم 1346 هـ (21 جويلية 1927 م) تحت العنوان السابق - خبرا نصه :

« جاء فى عدد 31 من جريدة (السعادة) التى تصدر بالرباط بعنوان « تحجير جرائد » ما يأتى :

« أصدر سعادة الجنرال القائد الاعلى لجنود المغرب - حسب اشارة صاحب السعادة المعظم المقيم العام م . ستينغ أمرا مؤرخا بـ 29 يونيو تحت عدد 787 منع دخول جريدتى الشهاب والبرق التى (؟) تصدران بقسنطينة بالجزائر الى المنطقة الفرنسية بالمغرب وعرضهما للبيع ونشرهما بالمحلات العمومية » اهـ ، وفى تعليق الشهاب يقول :

« الشهاب خلى به ان يتوقع هذا الضغط على الصحافة والمفكرين لأن موقف الطريقين النفعيين بازاء ذلك موقف ذوى الارادات السيئة ومحفوف بالخطر كما هو دأبهم فى كل ما يرون فيه بصيص اصلاح كيفما كان نوعه متى كان مصادما لاهوائهم والعهدة - بحذافرها فى مثل هذه المخازى على سدنة الخرافات الوبيئة لان حركتنا اصلاحية دينية بحتة . وهؤلاء المكسورون اثواب الختل والخور ما فتئوا مناهضين لكل حركة اسلامية حرة

من شأنها - فى زعمهم اذا انتشرت فى الشعب - نضب ما تعودوه من منافع
الفلس و . . .

وما كان لمفكر - قتل افكار خربى الذمم الواشين بحثا - ان يلقي العهد على
من سواهم . . . وقد كانت ورقة الطريقين ارادت اذاعة هذا النبأ قبل صدوره
ان تظهر الكرامة . . . والبركة . . . والتفوق على غير طائفتها بنشر هذه
التنبؤات والتكهنات .

ونحن ننزه حضرات الطريقين بلاء الشعوب عن التنزل الى عقيدة النبوة
الروحية لماذا ؟ لانهم عبدة المادة ، وذلك مما يدل على ان ذلك التنبؤ ناجم
عما قدمت أيدي زملائهم هنالك بطرق . . . عملية محسوسة !
ونحن نقول لهم : ذلك شأنكم ولسنا مثلكم .

ومثل هذه الغايات السافلة والتحجير الخائق مما يضاعف للشهاب
الشرف وعلو السمعة وقد تعودنا هذه التشريفات منذ استشهد (المنتقد)
وقد برهنتم على الفشل والعجز فى مضمار الحقائق الناصعة بالالتجاء الى . . .
ونكرر لكم القول : هذا القلق ، هذا الاضطراب أقوى معوان على تفشى
الدعوة الاصلاحية واتساع نطاقها كما هو طبيعة كل دعوة ونهضة .

وقد شيدتم لنا - جهلا وغباوة - ما أردتم لنا هدمه ، وما علينا الا ان
نقابل هذه البساطة الجاهلية بالعزيمة الفولاذية والثبات الراسخ اللذين هما
العامل الاقوى فى جميع انتصاراتنا المشهودة .

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على اقدامنا تقطر الدما (4)
لا يقع الطعن الا فى نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل
لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا (5)

(4) البيت من شعر الحماسة فى (ديوان الحماسة) لابی تمام . ومعناه اننا
نقتل مقبلين على العدو لافارين من المعركة ، ودماء المجروح مقبلا تسيل على
أقدامه ودماء المدبر تسيل على اعقابه .

(5) البيتان من شعر كعب بن زهير يصف فيها - فى قصيدته بانث سعاد -
المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد صدق ، والبيت
الاول فيه معنى البيت المتقدم عليه . والبيت الاخير فيه ما أوصى الله به
« لَكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » . لا تبطروهم النعمة ،
ولا تئسهم المصيبة .

وهكذا نرى شدة الاتصال بين هذه الطائفة ، وبين الادارة الفرنسية : تسارع الى ارضائهم وكما يسارعون الى ارضائها ، فاذا نادتهم لاستعمالهم قالوا (لبيك وسعديك) ! وابن باديس اذ يتحداهم لا يقصدهم - وانما يقصد سادتهم ، لان ضرباتهم لا ترهبه ولكن الضربات الاستعمارية يقرأ لها حسابها ، ويعلن لاصحابه ان عزمته الفولاذية وثباته - وحزبه - الراسخ هما العامل الاقوى فى الانتصار والانتصار الذى يقصده هو النصر النهائى ، فالمحارب قد يخسر معركة ، ولكن العبرة بالنهاية وقد جاء هذا النصر والحمد لله .

الفصل الثالث

مقال لصحفي فرنسي حر

ما كان ابن باديس يرحم بالغيب - عندما اتهم خصوم (الشهاب وحزبه) بان لهم يدا فى التضيق على الشهاب ، واتصالا بالادارة الاستعمارية ، وتسخيها منها ، وهذا ما حققه صحافى فرنسي حر الضمير سليم التفكير معاتبا ادارته الفرنسية أن تستمر فى الاعتماد على التعاون مع قوم لم تبق لها فيهم فائدة .

ففى العدد 108 من الشهاب الصادر فى 5 صفر 1346 هـ - 14 أوت 1927م نشر تحت العنوان أعلاه مقالا - قدم له بمقدمة ، وعربه عن صحيفة فرنسية وهذا نصه :

صحف محجرة

تحت هذا العنوان نشرت رصيفتنا (لوكري ماروكان) فى عددها الصادر فى 23 جويلية المنصرم مقالا رئيسيا بقلم محررها م . كاريط بوفى فى شأن منع مجلة الشهاب من الدخول الى المغرب الاقصى . ولما فيه من الحقائق المبنية على الخبرة والتجرد - آثرنا تعريبه لقراء (الشهاب) شاكرين لرصيفنا المحترم م . كاريط بوفى غيرته الحققة على بنى مهنته ، وانصافه الصادق فى بحثه وتحريره ، راجين لجميع رصفائنا الجزائريين ان تكون لهم هذه الروح الشريفة : روح التضامن الصحافى عند الملومات .

قالت الرصيفة المحترمة :

وقع التحجير لعدد كثير من الصحف العربية المختلفة المصادر ، وقد ذكرنا فى عددنا الاخير التحجير الواقع على « البرق » و « الشهاب » وما طرقتنا مسألتهم الا بعد أن خاضت فيها جريدتا « لا فجى ماروكان » و « ليكودى ماروكان » وقد اظهرتا فرجهما بذلك .

نحن لا نعرف « البرق » (6) . ولكننا نعترض على ما ابدته الجريدتان من الكلام الباطل المبني على الحقد فى مجلة « الشهاب » (7) ، وهاتان الجريدتان الفتا أن لا تنقلا من الاخبار الا ما كان مثيرا للافكار . فهلا اثبتنا ما تنشران ؟ لكن هيهات ان يمكن لهما ذلك ، وهما لا تطمحان اليه .

الشهاب مجلة تطبع بقسنطينة أسست لمطالبة الحكومة بجعل نوات من المسلمين بالبرلمان الفرنسى لانها ترى ان الحق يعطى لمن يؤدى قسطا وافرا من الضرائب حتى التمثيل بالبرلمان .

ثم ان تلك المجلة التى يرأسها صحافى مقتدر وهو رصيفنا السيد عبد الحميد بن باديس خرجت فى بعض الاحيان عن هاته الخطة كى تتصدى لمقاومة الطرق التى تقف عقبة فى سبيل التطور والرقى بالجزائر والمغرب .

لكن - ويا للأسف - ارباب الطرق يعضدهم رجال الحكومة الفرنسية التى يظهر لها ان تكون حريفة (كيان) لهم (حسبما يقتضيه هذا اللفظ فى اللاتينية) لان ذلك يقلل تعبها ، ويسهل لها الوصول الى مقاصدها .

(6) جريدة عربية اقتصادية سياسية اصدرها الصحافى الجزائرى السيد رحمونى عبد المجيد القسنطينى واشترك فى تحريرها الصحافى الشهير السعيد الزاهرى وكانت عنيفة فى لهجتها مما سبب لها حرجا كثيرا وعرضها للمحاكمة والتغريم ، وكانت تطبع فى مطبعة الشهاب فسببت لها ضيقا لانها لم تكن منتظمة ثم حاولت ان تطبع فى تونس فمنعتها الحكومة فاختنقت . وهى من مفاخر صحف النهضة الوطنية .

(7) من اسخف ما وجه الى الشهاب وأختها البرق من اتهامات الصحف الفرنسية ومصادرهما انهما كانتا تخدمان السياسة الانكليزية المناهضة للسياسة الفرنسية فى المغرب العربى ، وحجتهم على ذلك ان الصحيفتين مرتبطتان بالحكومة السعودية الوهابية ! حليفة الانكليز وتهمة الوهابية كانت توجه الى المصلحين لمحاربتهم عبادة القبور وساكنيها .

ان ارباب الطرق يعترضون بكل قواهم لكل جديد ، وعللهم تماثل علل رجال (الفاتيكان) فى هاته المسائل ، والمسألة استيلاء ، ومسألة فلوس . ان هذه المقاومة من الغموض الذى تعيش تحت ظله اقلية تريد الاستيلاء على الاموال باسم الدين .

قبل الثورة الفرنسية كان أهل الاديرة ورجال الدين يؤثرون تأثيرا سيئا فى الامة بكثرة الالحاح عليها فى الصدقات الدينية وكانوا يمثلون دورا كالذى يقوم به الآن رجال الطرق فى افريقيا الشمالية .

فمجلة الشهاب تحت رئاسة ابن باديس صاحب القلم الشديد الوقع - تجسد فى سعيها ودفاعها عن التقدم - أمامها هاته القوة مصادمة لها .

نحن لا نكذب فى ان تلك القوة كانت لنا عوننا فيما سلف ، اما الآن فغايتها مقصورة على استعباد الشعب ، وتضليل أفكاره بالخرافات المنافية لروح القرآن فالطرق هى أعظم عقبة تقف بافريقيا فى سبيل نشر أفكارنا وآرائنا ، فهى تنافى حتى روح الجمهورية ببثها التعصب بين طبقات الامة ، وبمحاربتها للتعليم زد على ذلك انها تتخذ ذلك التعصب نفسه وسيلة للاستيلاء على ارباب الحكومة حتى لا يلبثوا ان يعتقدوا ان نفوذهم منوط بتأثير الطريقين .

يجب على الانسان ان يتخذ احسن الوسائل ان أراد ان يصرح بالحقيقة . ولا ريب اننا اذا أوضحنا للناس كيف يستغل الانسان أخاه فاننا نقوم بواجبنا نحو الوطن نعم ليس هناك استغلال أفظع من الذى يكون باسم مذهب أو عقيدة .

ان (السعادة) التى هى جريدة الاستعلامات الاهلية نشرت كلاما معناه ان (الشهاب) منع من الدخول الى المغرب بأمر من الجنرال « فيداليون » بعد ما أشار بذلك م . ستيغ .

وهذا غلط فى الانشاء تريده رصيفتنا الشبيهة بالرسمية ، لانها تعلم يقينا أن عبد الحى الكتانى هو الذى قدم قرارا للجنرال دوشامبران الحاكم بناحية فاس فى شأن رصيفنا الفاضل ابن باديس . ولم ندر هل أوقع مقيما فى الغلط أم روت السعادة خبرها عن مصدر كاذب !

وعبد الحي هذا هو نائب الطريقين بفاس ، وان شئت قل سفيرهم
ذو الرجلين القصيرتين والبطن العظيم . أما اسمه فيُنطبق عليه غاية المطابقة ،
اذ معناه عبد القبيلة (الحي) بلغة العرب . . . والطريقون ، بين المؤمنين
كشبه قبيلة خصوصية ألفت لجمع الصدقات والنذور بدعوى الصلاح والولاية،
والله اعلم بصدق ذلك أو كذبه . . .) اهـ . المراد منه .

الفصل الرابع

مبدأ الشهاب الديني والدنيوي

وقد علق الشهاب على بعض فقرات الكاتب : منها على مبدأ الشهاب السياسي
الذي حصره في المطالبة ببنياية جزائرية في البرلمان الفرنسي وأن الشهاب خرج
أحيانا عنه ليتصدى لمقاومة الطرق التي تقف في طريق التطور فقال :

« ان المبدأ الذي أسست عليه هذه الصحيفة هو وجوب اعطاء جميع
الحقوق لمن يقوم بجميع الواجبات ، ومن حقوق الجزائريين تمثيلهم في
البرلمان مثل اخوانهم الاوروبيين ، فالتمثيل البرلماني واحد من الحقوق
الكثيرة الداخلة تحت ذلك المبدأ العام .

وكما أسست هذه الصحيفة لخدمة المبدأ السياسي المتقدم كذلك أسست
لخدمة مبدأ ديني وهو الرجوع بالمسلمين الى جوهر دينهم الاصلى البرىء من
جميع الضلالات والخرافات والتعصبات المحرر للعقول المهذب للنفوس
والساعي بالانسانية فى الصراط المستقيم الى سعادة الدارين .

ولما كانت الطرق فى معظم أمرها - منبعا لكثير من هذه المهلكات وقف لها
(الشهاب) وقفاته المعروفة لنقدها ومحاولة اصلاحها . فكلامه هو مقتضى
خطته » اهـ .

الشهاب كان موضوعيا

فالشهاب كان موضوعيا فيما اتخذه من موقف : كان يسعى لترقية المسلم
الجزائري فى دينه ودنياه .

والذى نلاحظه نحن ان خطة الشهاب - الذى تأسس عام 1925 م ، كانت أهم أهدافها : ايقاط الشعب ، وبث الوعي الدينى والسياسى فى الجماهير ، فالشعب وحده - اذا استيقظ - هو الذى يستطيع ان يصلح ما فسد فيه من عقائد ، ويقوم ما اعوج من عبادات واعمال فى الدين ، ويستطيع ان يفتك ما اغتصب من حقوقه فى الحياة ، ولا رجاء فى المستغلين ان يتنازلوا من أنفسهم عما استغفلوه عنه ، ولا طمع فى المغتصبين ان يعيدوا اليه ما اغتصبوه منه .

ونقد سمعت - بأذننى - من الشيخ مثل هذا مرارا ، وانه ما كان يتوقع ان تفعل به فرنسا خيرا ، ويتحقق أن الشعب سيصدمه الحائط فيستيقظ ويتفطن فيعمل ، فعمل الشعب لنفسه أجدى وأثبت وأقوى ، وهذا ما كان يؤمن به جمال الدين الافغانى رحمه الله .

وكان قد أعلن فى الشهاب مبدأ الدينى والديوى (السياسى) فاتخذ قولاً للمالك بن أنس مبدأه فى الدين وهو « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها » ، لهذا قاوم البدع والخرافات والزيغ فى الاعتقاد ، واعتمد على الكتاب والسنة لان بهما صلح أول هذه الامة . وفى الاصلاح السياسى أنشأ قولاً من عنده وهو : « الحق والعدل والمؤاخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات » ومعنى هذا ان الشعب الجزائرى قد فرضت عليه فرنسا واجبات - كما هى مفروضة على بقية السكان ، فدفع ضرائب المسال والدم والتضحيات كلها كالنصارى واليهود والمتفرنسين من أسبان وايطاليين ومالطيين وحتى اللبنانيين المسيحيين المستوطنين - وعند أخذ الحقوق استوفى جميع الاجانب عن الجزائر حقوقهم ولم ينل الجزائريون شيئاً ، فأين الحق ؟ وأين العدل ؟ وأين المؤاخاة ؟ وأين المساواة ؟ فالحق وما عطف عليه لا يتم الا باعطائهم كسائر « أبناء » فرنسا - كما تزعم - حقوقهم .

وبقى هذا فى مبدأ الشهاب مسجلاً على غلافه الى ان جاءت حكومة (الواجهة الشعبية) الحكم فى فرنسا ، ووعدت وعودا كثيرة أخلفتها ، وخانت الحركة الوطنية وهى : « نجم شمال افريقيا » التى كانت حليفة لها - فى الواجهة الشعبية - فحلتها ونكلت بزعمائها ، حينئذ رأى ابن باديس ان الوقت قد حان لتغيير الاسلوب ، وإعلان

اليأس من فرنسا ، وهذا ما قام به بالفعل عام 1938 م - قبل وفاته بعامين - فكتب في الشهاب بأسلوب حماسي واضح مقالا عنوانه « هل آن أوان اليأس من فرنسا ؟ واعلن ان اليأس يدفع الى « المغامرة » ، وان هذا ما على الشعب ان يستعد له ، وان اليأس لا يدفع بنا الى الاستسلام ، لان خلق المسلم ألا ييأس من روح الله ، وغير الشعار مما كان الى شعار جديد ليس فيه ما يفهم التطلع الى (عطاء) من فرنسا وانما فيه العمل على افتكاك الحق منها وكتب مكان الشعار القديم هذا الشعار :

« لا نعتمد الا على أنفسنا ونتوكل على الله » .

والحقيقة أنه تدرج - استعدادا - لهذا التغيير الذي بدأ يوم اعلن في كلمته الصريحة « أن الجزائر ليست فرنسا ، ولا تريد ان تكون فرنسا ، ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو أرادت » . وتبع ذلك تحديه لمن سأله هل تستطيع أن تستقل الجزائر؟ أن ذلك ممكن، وان الجزائر فوق مستوى بعض تلك الامم التي حصلت عليه . وقد أثر عنه في هذا العهد تعبيرات ثورية ، وفي نشيده الذي أنشأه يوم عيد المولد النبوي عام 1356 هـ (1937 م) خطة ثورية :

يَا نَشْرُءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدْ اقْتَرَبَ
خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلَاحَهَا وَخُضِرِ الْغُطُوبَ وَلَا تَهَبْ
وَأَقْلِعْ جُلُودَ الْخَائِنِينَ فَمِنْهُمْ كُلُّ الْعُطْبُ
وَأَذِقْ نَفُوسَ الظَّالِمِينَ السُّمَّ يُمَزَّجُ بِالرَّهَبِ
مَنْ كَانَ يَبْغِي وَدْنًا فَعَلَى الْكِرَامَةِ وَالرَّحَبِ
أَوْ كَانَ يَبْغِي ذُلًّا فَلَهُ الْمَهَانَةُ وَالْحَرَبُ
هَذَا نِظَامُ حَيَاتِنَا بِالنُّورِ خُطٌّ وَبِاللَّهَبِ
حَتَّى يَعُودَ لِقَوْمِنَا مِنْ مَجْدِهِمْ مَا قَدْ ذَهَبَ

وفي نشيد آخر له يشهد السماء ونجومها اننا للعلی وللخلود ، وان جيلنا سيري خافقات البنود ، واننا للحمى سنكون الجنود، فنزيح البلاء ونفك القيود، ونذيق الردى كل عات كنود، وننيل الرضى من وفى بالعهد . واننا هكذا سنعود .

الفصل الخامس

النيابة فى البرلمان

وربما ظهر لمن يعيش فى عصرنا ان فى مبدا الشهاب السياسى من ارسال نواب عن الشعب الى البرلمان الفرنسى ما يخالف المبدأ الوطنى ويسلم بتبعية الجزائر لفرنسا ، ويسلم بمبدأ الاندماج !

ونقول ليس الامر كذلك .

أولا : لانه لا يمكن وصول صوت الجزائريين لاسماع الفرنسيين واسماع العالم اجمع الا بواسطة وصول منتخبين الى البرلمان ولهم حصانة فى الكلام . وما دام قانونهم يسمح بهذا الحق فلم لا نستعمله حتى نصل الى تحقيق غرضنا فى الانفصال ؟ .

وثانيا : لأن الإرلنديين كان لهم نواب فى مجلس العموم البريطانى ولم يمنعهم ذلك من (انفصالهم) عن انقليترا وحصولهم على الاستقلال .

ثالثا : هذه القضية من ابن باديس كانت مرحلة لابد منها ، وقد اعلن - قبل وفاته بنحو عامين عدوله عن هذا المطلب وافتى فتوى شرعية سياسية بانه - ما دام الفرنسيون يحتقروننا ، ويمتهنوننا ويشتمون ديننا ويشترطون علينا للحصول على النيابة التكر لديننا وقوميتنا والبراءة منهما فانه حرام علينا ان نرتضى تحت أقوامهم ، وان نلج عليهم ان يعطونا هذا مثل هذا المطلب - .

فابن باديس جعل ذلك مرحلة تتقدم غيرها من المراحل .

رابعا : لم يكن هذا رأيه وحده بل كان رأى جميع الذين اشتغلوا بالسياسة من الوطنيين المخلصين وبرهنت الايام على صحته وسلامته ولم يؤد الى الاندماج - فقد ندمت فرنسا على ما كان منها ، ثم تبرعت بالاعتراف للجزائريين ، بعد ان اجمع ساستهم وأحزابهم جميعا على المطالبة بحكومة جزائرية بهذا الحق .

وارسل شعبنا نوابه الوطنيين باسم البيان ، ثم باسم (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) فلم يؤد هذا الى الاندماج والاعتراف بالتبعية لفرنسا ، بل اعلن للعالم كله شخصية الجزائر وكفاءة رجالها ، واحقيتها فى الحياة ، وقامت الحجة على لفرنسا ، وكان بعض أولئك البرلمانيون من أول من رفع لواء الجهاد يوم أول نوفمبر 1954 م . فأول رئيس للحكومة المؤقتة ، ووزير خارجيتها كلاهما سبق له ان كان من النواب البرلمانين .

فالنظرية فى أساسها كانت سليمة ، وهى مرحلة كان لابد من سيرها لدخول حصون العدو وتفجيرها من الداخل .

مع هذا التطور المستمر فى سيرة هذا الرجل : من العمل الصامت فى تكتم وحذر الى السير الهادف فى حكمة وسداد ، واستعداده الى الاعلان والتصريح الواضح بالثورة والرشاد مع كل ذلك نجد بعض (العاقين) يشككون فى (ثورته) وفيهم من يتهمة وحزبه بـ : الاندماجية ! فمن كان لا يعرف معنى البهتان فهذا منه !

الفصل السادس

اتصال العلويين خاصة بالإدارة

وقد بان مما تقدم اتصال العلويين بالادارة وعملهم تحت أوامرها ، ولكن أمرهم انكشف بوضوح أكثر بعد ان تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . فقد استعرت الحرب بين حزب الاصلاح والعلويين وخصوصا بعد العدوان على شخصية ابن باديس .

ثم ان الشيخ عبد الحميد بن باديس دعا مرة ثانية الى الحسنى ، وجاء فى دعوته التى نشرت فى العدد 103 من الشهاب .

« مهما اختلفت مذاهب المسلمين وتشعبت طرقهم وكثرت فرقهم فانهم - بحمد الله - متفقون على اصل دينهم الذى لا يكون احد من اهل الدين الا به ، وذلك الاصل الذى بينه حديث جبريل فى بيان الإيمان والإسلام والإحسان لما جاء يعلم المسلمين دينهم ، فكلهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكلهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان

ويحجون البيت متى استطاعوا اليه سبيلا - أو يقرّون لذلك وإن لم يفعلوا - وكلهم يقولون بلسان المقال أو لسان الحال : رضينا بالله ربّا وبالإسلام ديننا ، وبمحمد عليه الصلاة والسلام رسولا ، فقد حظوا بحول الله ما لم يحظ منه غيرهم من الخلاف فيما يكون به المسلم مسلما» .

وللحصول الى تفاهم بالحسنى قال الشيخ لكتاب المصلحين والطريقين : « اقلعوا عن المهاترة والمشاتمة والمغامزة والملازمة مما هو حرام بإجماع المسلمين ، واسلكوا فى المناظرة طريق القرآن العظيم بيان لقول الخصم دون تعرض لشخصه ، واقامة للحجة التى تردده عليه ، مع حسن السلوك والقصد فى الوصول الى الحقيقة والاذعان لها اذا حضرت على أى لسان ، ومع الشعور بان السراد والمردود عليه إخوان يريد كل واحد منهما ان يهدي أخاه الى ما يراه خيرا له ، ويصرفه كما يراه شرا له ، لانه - كما يأمره الاسلام - عليه ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لها ، فان من لم يحسن السلوك يكون خابطا أو مرائيا ، ومن لم يكن ذا إذعان للحقيقة يكون معاندا ولم يعصر قلبه روح الاخوة ينقلب عدوا مؤذيا . ومن اتصف بهذه الصفات أو بعضها كان شرا وبلاء - والعياذ بالله - على نفسه وعلى غيره . »

نقول هاته الكلمة الحقّة البارة لجميع الكتاب راجين ان يقبلوها ويعملوا بها واننا سنكون أول عامل بها ، فلا ننشر - كما لم ننشر - ما يخرج عن دعوتها ، ونحسب ان سيكون العمل بها سببا فى زوال الفرقة ان لم يكن فى إزالة الخلاف . »

الفصل السابع

تأسس جمعية العلماء

وانتخاب ابن باديس رئيسا

وانزعاج فرنسا ودسائسها بواسطة - عملائها

وكان لهذه الدعوة اثرها فى تحسن الجو وبدء نوع من التعارف ، وجدت الدعوة لتأسس جمعية العلماء ، وقد اقتنع بالضرورة لذلك اغلب علماء الجزائر ، فلما كان الاحتفال بمرور قرن على الاحتلال وما صحبه من مظاهرات صليبية

وعجرفة استعمارية، سهل ان تخرج فكرة جمعية العلماء من العدم الى حيز الوجود . ونشرت مجلة الشهاب مقالات كثيرة فى الدعوة لتأسيسها، فنضجت الفكرة . وكان الاجتماع التأسيسى الأول لها هو يوم 17 ذى الحجة 1349 هـ ، الموافق 5 مايو 1931 م ، وقد حضره علماء من الجانبين الاصلاحى والطرقى ، ولم يكن ابن باديس حاضرا ، ولكن اتفق الحاضرون على انتخابه رئيسا للجمعية وهو غائب ، ثم لحق بهم ، واعتذر عن تخلفه ، وحضر المأدبة التى أقامها لهم نادى الترقى، وخطب فيها، واعلن رضاه عن تأسيس الجمعية وقبوله لمسؤولية رئاستها ، واعتبره تكليفا واجبا عليه القيام به .

ويروى أستاذنا الشيخ محمد خير الدين ان تغيب الشيخ عن الاجتماع الاول لتأسيس كان بتواطىء مع جماعته حتى لا يكون حضوره داعيا للحدرد والفشل ، فالحج لم يكن خالصا، وقد دعى للحضور م . ميرانت مدير الشؤون الاهلية من طرف اللجنة التحضيرية ، فلما أصبحت الجمعية حقيقة واقعية أخبر بذلك فحضر فورا . وهى رواية مقبولة ودهاء من حزب الاصلاح .

وقد ضم المجلس الادارى الأول علماء من الطرفين الاصلاحى والطرقى كما مثل فيه جميع المذاهب الموجودة فى الجزائر ، ومثل المذهب الاباضى العلامة المرحوم الشيخ إبراهيم بيوض ، وكان كثير من الكتاب والأدباء الاباضيين من فرسان « الشهاب » مثل الشيخ الطرابلسى والفرقد ، ورمضان حمود ، وإبراهيم بنوح رحمهم الله .

اتصال مباشر بين ابن باديس وابن عليوة :

وسكتت الاقلام عما يثير الفتنة ويدعو الى الفرقة وعقدت الرحلات لوفد الجمعية ، ولما وصل الوفد الذى يرأسه الشيخ عبد الحميد بن باديس الى مدينة مستغانم اجتمع مع الشيخ ابن عليوة فى ضيافة العلامة الشيخ بلقاسم ابن حلوش ثم استضاف الشيخ ابن عليوة الشيخ ابن باديس فقبل ضيافته . وقد حدثنى عن هذه الحادثة الفذة فى التاريخ الاستاذ محمد بن الصادق جلولى المليانى ، وكان حضرها بجانب الشيخ ابن باديس الذى كان يرافقه سواء كان بقسنطينة أو فى رحلاته الوهرانية كحارس شخصى ، وليس له سلاح سوى حب مكين ، واخلاص متين واشفاق كبير مع عصية (مطرق)

يحسن استعماله كسيف فى الهجوم أو الدفاع (على الطريقة الوهرانية)
احتياطا لما عسى ان يدعم من الاحداث .

قص على كثيرا من أخبار هذه الرحلة والتقاء الشيخ بكثير من الشخصيات
الجزائرية الموالين والمعارضين ، فكان بين ابن باديس وابن عليوة كل الاحترام
الشخصى مع تسليم العليوي لابن باديس بالفضل والتقدم فى العلم ، وطلب
منه القاء درس، فكان موضوعه يتصل بالتصوف والسلوك الصحيح للنسك
والزهاد والعلماء المنتسبين له ، دون ان يكون فيه مساس ولا تعريض ولا غمز
ولا همز . مما استمع اليه « الإخوان » بكل أدب واحترام ، وكان على رؤوسهم
الطير .

تدخل فرنسي ناجح ثم الفشل :

لكن فرنسا لم تكن ليرضيها ويروق لها ان يتم التصالح بين طائفتين
متخاصمتين من المسلمين ، أو يقع الانسجام والتعاون والسلام بين قادة
جماهير المتدينين ، فشرعت تكيد لتعكير الجو بين الطائفتين ، وإحلال الخصام
من جديد محل السلام ، وتدير مكر لتشتيت الجمع والقضاء على الجمعية التى
كانت تجمع الطائفتين المصلحين والطرقين : اما بالاستيلاء عليها وتسخيرها
لأغراضها ، واما بمحوها وسحقها .

وكانت وسيلتها تدخل مديرها للشؤون الاهلية م . ميرانت وهو شخص
قذر يحقد على المسلمين ويزدرى بوجودهم ، و « يدجن » كل فعل منهم ان
استطاع ، وله اتصالات متينة مع السيد عمر اسماعيل التاجر الثري ورئيس
اللجنة الدائمة بالجزائر للجمعية ، وأحد أعضاء اللجنة التأسيسية، وله اتصال
كبير بالطريقة العليوية وشيخها .

ولما حان وقت انعقاد الاجتماع السنوى العام - فى السنة الثانية، وفيه
يتجدد أعضاء المجلس الاداري بانتخاب من الأعضاء العاملين ، أخذت
مؤامرة تدبر لاحداث انقلاب بطرد العلماء المصلحين من الجمعية ، وكان الذى
تولى كبر المؤامرة السيد عمر اسماعيل صديق وكان صديقا لم . ميرانت ولشيخ
العليويين . وقد استدعى م . ميرانت لحضور الاجتماع . وفاحت فى الجو
رائحة المؤامرة الكريهة ، فشمها « عفاريت » الاصلاح وحذروها .

وكان من فصول المؤامرة ان يكون الانقلاب بواسطة الانتخابات .
ولا ينتخب من الاعضاء - حسب القانون الاساسى - الا من
يملك بطاقة عضو عامل - وهو من يصدق عليه لقب « عالم »
فى الجزائر - وقد تكفل العليويون بسد هذه (الثلمة) واغراق
الاجتماع بسيل من هؤلاء « العلماء » وأخذ السيد عمر اسماعيل يوزع بطاقات
هذه العضوية على كل مرشح لها يقدم اليه ، ولا يشترط الا لحية مرسلة ،
وسبحة طويلة وقد يكون معهما - معلقا بالجانب - (بوسعادي ماضي) !
فلما شرع فى الاجتماع بانتهى علامات لا تبشر بالخير ، فرفع الرئيس
الجلسة فجأة ، وأمر باخلاء القاعة حتى لا تقع حوادث تتسبب فى حل الجمعية
وحتى يستبعد كل غش .

الفصل الثامن

تأسيس جمعية علماء السنة

وهكذا احبطت المكيدة المدبرة من الإدارة الفرنسية بواسطة اعوانها
المنفذين لاوامرها . ولم تنته هذه الدورة الا بانقسام فاصل ، وتأسست
جمعية جديدة دعيت « جمعية علماء السنة » . وعين لرئاستها الشيخ المولود
ابن الصديق الحافظي الفلكي الأزهرى .

وهو عالم كبير ، وكاتب شهير ، ولكنه كان شاذاً فى العلماء ، متهاكاً على
الشهرة والرئاسة ، من كتاب الشهاب ، نشبت بينه وبين كتابه المصلحين
معارك قلمية ، كالميلى والعمودى والزاهرى ، وابن عمارة ولا شك
انهم - أى خصوم الإصلاح - كانوا يعدونه ليخلف ابن باديس فى رئاسة
الجمعية .

وهكذا عادت الحرب كأشد ما تكون عنفاً ، وكشفت الإدارة الاستعمارية
عن وجهها الكريه ، بتدخلاتها الوقحة ، وشرعت فى مقاومتها العنيفة لجمعية
العلماء ومشاريعها واضطهادها لاعضاءها ووقوفها بجانب خصومها .

الفصل التاسع

سياسة الضغط والإرهاب

ومن قراراتها - فى هذه الفترة - منع العلماء الأحرار من استعمال المساجد الرسمية فى التدريس والخطابة ، وبدأت بمنع الشيخ العقبى من التدريس فى الجامع الكبير بالعاصمة ، وعممت المنع فى سائر انحاء القطر ، ولما أنشأوا الصحف الاسلامية عطلتها واحدة اثر الاخرى ، ثم اصدرت قرارا تمنعهم من اصدار أية صحيفة عربية . بينما كان خصومهم أحرارا فى اصدار ما شاءوا ، وتوصلوا الى اصدار جريدة باسم « المعيار » كانت تستعمل أقذع السباب وأقذر الشتم والقذف ، ومكثت هذه الجريدة حرة تنغ فى أعراض العلماء وخاصة الشيخ ابن باديس ، فتأسست لجوابها جريدة باسم « المجيم » كالت لها بمكيالها ، وكلمتها بلهجتها ، ولكن الادارة بادرت بإغلاقها بعد نحو شهر فقط من بروزها . ونظرا لمحتواها ولغتها فانها لم تعلن عن مصدريها ولا عن مطبعتها ، وبحث الداخلية عن طابعيها حتى توصلت الى اسم « المطبعة » وقدمتها للمحاكمة ، وغرمتها .

اما العليويون فقد كانوا يتمتعون - كعهدهم من قبل - بكل عطفها وتأييدها واستطيع ان اضرب مثلا محسوسا يعرب بوضوح الى أى مدى بلغت ثققتها بهم ، وتعاونها معهم ، واعتمادها عليهم ، ومساعدتهم فى تكوين « اخوانهم » واطارتهم .

هذا المثل ننقله من كتاب لهم اصدروه للدفاع عن « شيخهم » وجمعوا فيه « شهادت وفتاوى » ، وسجلوا فيه شهادات كثيرة منها ما هو صادر من اقطابهم ، ولما جاء ذكر كبيرهم الشيخ عدة بن تونس قال صاحب الكتاب فى ترجمته :

« ان فضيلة المشار اليه حقيق بان يعتبر كبيرا بين أقرانه ، ولو مع صغر سنه لما جبل عليه من حسن الاستقامة وجميل الاخلاق زيادة مما اعطى من سلامة الذوق وصحة الوجدان ، وقد رأيت اقدامه وكريم شيمه الاستفادة من تعاليم الاستاذ ما يسحق الذكر ، ومن ذلك انه انخرط فى سلك العسكرية الفرنسية على ما يقتضيه القانون الجبرى وصار مقره (القشلة) بدل المسجد

فَعَكف على عمله الذى هو من عادته ، وكان يستعطف من حوله من أفراد الجند ليستميلهم الى العمل بالدين ويحبب لهم الذكر والذاكرين الى ان صارت كلمة الاخلاص تذكر ليلا نهارا داخل القشلة بأصوات مرتفعة ، ثم اشتدت الرغبة فى الذكر على الاسلوب المعتاد عند الفقراء الى ان استحسن رؤساء الجند من الفرنسيين تلك الانعام فألزموا الجند ان يكرر كلمة الاخلاص بتلك الصيغة أثناء مشيهم النظامى ورجوعهم من التعاليم الرسمية فكان الجند يدخل بكلمة الاخلاص يتقدمهم فضيلة السيد عدة مع من كان معه من الفقراء ، وقد كان له ابلغ معين فى ذلك أحد اخوانه فى هاته النسبة يدعى ابن عبد الله بن قطاق وكان ذلك بمدينة مستغانم .

وبلغنى انه « انتقل الى مدينة رأس الماء من حدود الصحراء فقل ما يقرب من ذلك من جهة تصير من حوله من العساكر فى صفة الذاكرين فكان مكثهم بالمسجد أكثر من مكثهم فى غيره » (انظر كتاب الشهاد والفتاوى) .

وهذه الشهادة الحية تعطينا مثلاً رائعاً لما كشفتته المجلة الأهلية فى مطالبة الحكومة الفرنسية بوجوب نجدة الشيخ ابن عليوة الم رابط العصري وحبیب فرنسا .

فقد تدخل ضباطها واصدروا أوامره للعساكر كلهم ان يلتزموا «الذكر» العليوى ، وينخرطوا فى هذه الطريقة فعلا ، ويستعملوا شعاراتها .

وقد كادت هذه الطريقة ان (تآكل) جميع الطرق ، لا الطريقة الرحمانية وحدها ، كما أوصى وحرص صاحب مقال المجلة الاهلية . ولولا وقفة ابن باديس وكتاب الاصلاح - وذلك لما أراد الله من خير بهذه الامة - لكانت العاقبة انغماس شعبنا فى مذهب الحلول ، ودروشة وجنب وانحطاط فكرى لا مزيد عليه .

واننا نختم هذا الفصل بما آل اليه أمر هذه الجماعة «جمعية علماء السنة» رغم ما (حشد) لها من وسائل الانتصار والتأييد .

ففى السنة الثانية من تأسيسها كان رئيسها يقوم بجولات لنشر دعوتها ، ويزور العواصم لدعم نفوذها . وقرر ان يزور مدينة عنابة وكانت الطريقة

تعدّها من قلاعها ، لوجود طائفة نشيطة منها فيها . ولكن حزب الاصلاح والوطنية لم يكن فى عناية ضعيفا .

حل الرئيس الحافظى بعناية ، واعلن انه سيلقى درسا كبيرا فى جامعها الكبير ، بينما كان اعضاء جمعية العلماء ممنوعين من القاء مثله فى المساجد الرسمية فى سائر أنحاء الوطن . وغازم مثل هذا الوضع الشبان المصلحين والوطنيين المخلصين ، وهم الذين كانوا يمثلون الوطنية قبل وجود الحزب فى الجزائر ، ودبروا للشيخ مقلبا كان آخر عهده بـ « النشاط » .

وقد سمعت تفاصيل المكيدة من رواة ثقة ما زال بعضهم بالحياة ؛ فقد جماعة منهم بباب المسجد ، وأمامهم صناديق من « الطماطم » ومن « البيض » ومن جاء للدخول الى المسجد ناولوه « بيضة » أو « طمطمة » فاذا تساءل : وماذا يصنع بها ؟ قالوا له : « خذ واسكت ١٠٠ » .

ولما صعد الشيخ على المنبر - فى بيت الصلاة ليلقى خطبته أو درسه - رماه أحدهم ببيضة ، وصاح به ، ورماه الثانى بطمطمة ، وتذكر كل واحد ان عنده نصيبه من « السلاح » فلم يبخل به !

وخرج الشيخ من المسجد تحت حراسة ، ومن عناية، فى حالة يرثى لها .

الخاتمة فى بوقاعة ، تنجس البغل

وقد قص على هذه الخاتمة - بعد وقوعها بأعوام قليلة - تاجر أمين موثوق به فى دينه وروايته .

بعد حادثة عناية رجع الشيخ الى مدينة بوقاعة - لافاييت - كما كانت تدعى ونزل بها تمهيدا للحاقه بمقر سكناه فى « بنى حافظ » ولابد له من راحلة يركبها لطول المسافة ووعورة الطريق .

وبحث عن راحلة فتعذر عليه، ودل أخيرا على رجل يملك بغلا وأعرب له عن مقصوده ، وجرت بينهما المحاوراة التالية :

- هل تكرينى بغلك للوصول عليه الى الدار ؟

- نعم .

- كم تطلب فى كرائه ؟

– ألفي فرنك !

– عجباً ! انى لا أريد أن اشتريه فهذا ثمن شراء (1) – انما أريد ان أكتريه فقط .

– وهل تظن – أيها الشيخ – ان بغلا ركبته أنت أقبل به مرة أخرى ليدخل الى حوشي ؟ أبدا انه تنجس .
وكانت النهاية .

(1) كان مبلغ ألفي فرنك فى مثل تلك الأيام قيمة شراء بغل. وللمقارنة نقول
كان ثمن كلغ لحم ضأنى يساوى 10 فرنكات !
(2) الاسطبل – مريض الحيوانات – يسمى فى كثير من الجهات « الحوش » .

الباب الرابع من القسم الثالث :

رأينا ان نتبع - أبواب هذا القسم بباب رابع نذكر فيه بعض ما يدعم ما جاء فيه ويعرف منه القراء تطور الحالة في السنوات التالية القريبة من تأسيس جمعية العلماء ، ويعرفون آثارها في الامة ، وكيف كان ينظر اليها الاجانب .

وقد تقدم في الباب الثالث ان الادارة الفرنسية بالجزائر حاولت بكل ما استطاعت الاتيان على الجمعية ، فلما أصبحت حقيقة واقعية حاولت بكل جهدها ان تستولى عليها لتسخيرها كما سخرت (المشائخ) و (العلماء) من قبلها ووجدت المساعدة من حلفائها الاقدمين ، فلما عجزت اعلنت الحرب العنيفة ضدها بالتضييق على رجالها ومنعهم من استعمال المساجد ، والتنقلات وبالقرارات والاعتقالات والمحاكمات واغلاق النوادي والمدارس ، وبالمساومات ولم تترفع عن تدبير المؤامرات والاقدام على الاغتيالات ، وقد تورط معها في هذه التصرفات بعض القوم ، وغرقوا معها الى الاذقان .

الفصل الاول :

بيجو يحاول خلود حكم فرنسا

في هذا الفصل ننقل المقال الخطير الذي أشرنا اليه في الباب السابق الفصل الثالث وهو يكشف كيف حاول الجنرال (بيجو) - وهو حاكم الجزائر - أن يخلد حكمها في الجزائر ، ولم يكفه - بعد ان تغلب على الامير عبد القادر - أن يطرد السكان من أخصب أراضي الوطن في الشمال ويستود شذاذ آفاق أوروبا لاحتلالهم بها ، ولكنه أخذ يدبر - بوحى الشيطان - لضمان أمنهم

وحمايتهم من ثورات الشعب وعضبه فاوحى اليه ان يجعل سلطة فرنسا من سلطان الله ، ولا يجوز ان يعارض رضاء الله وقدره . وانما يستطيع ان يفرس هذا في اذهان عامة المسلمين بواسطة (مشائخهم) وعلمائهم .

وهذا ما يكشف عنه هذا المقال الذي كتبه صحافى فرنسى ، ونشره فى جريدة فرنسية عظمى كانت فى وقتها تنطق باسم أعظم احزاب فرنسا واقواها نفوذاً، وهى جريدة (البوبلير، الشعبى) وهى لسان الحزب الاشتراكى الفرنسى وطالما وعد هذا الحزب رجالنا السياسيين ومناهم بمعسول الكلام ، وما كانت وعوده الا غرورا ، وكانت ايام حكمه من شر الايام فى عهد الحكم الاستعمارى ويكفى برهاناً على ذلك ايام (نايجلان) ثم (لا كوست) و (قى مولى) وكلهم من رجاله .

والقال التالى مملوء حقدا على الاسلام وكتابه وأمله ، وتحريضا بهم ، وتشلية عليهم ، ومع ذلك فقد كشف عن حقائق وفوائد واقلها ان يعرف المسلمون ما يعتقد فيهم ويقولونه الآخرون عنهم .

وقد نشر هذا المقال فى مجلة الشهاب ، فى باب دائم فيها عنوانه (ما يقولون عنا) وهو باب ينقل فيه ما يكتبه غير المسلمين عن المسلمين عامة او عن أقطار الاسلام المستعمرة وخصوصا المغرب العربى . وكان يكتب قبل نقل المقال هذه العبارة .

(كل ما ينشر فى هذا الباب هو على عهدة قائله ولا رأى لنا فيه) . وهذا هو نص المقال كما ترجمه ونشره الشهاب :

يقظة العالم العربى :

الجامعة الاسلامية .

ما يقولون عنا

كل ما ينشر فى هذا الباب هو على عهدة قائله ولا رأى لنا فيه
الجامعة الاسلامية

عن مجلة الشهاب ج 7 م 14 رجب 1357 هـ سبتمبر 1938 م

يقظة العالم العربى :

جاء فى العدد الصادر من جريدة البوبلير (الفرنسية فى 22 يونيو سنة 1938 م تحت هذا العنوان ما يأتى من مقال بامضاء (جورج وجنير) .

مهما يكن من أمر فإن فكرة الجامعة الإسلامية تتقدم تقدما عظيما ، فإن كل مسلم كما هو معلوم يجب عليه كما أمره النبي أن يحج الى مكة فى حياته ولو مرة واحدة . وهذا يحقق له السعادة المستقبلية ويكسبه نوعا من القاب الشرف وهو لقب (الحاج) ما دام حيا ، وفى العهد الذى كانت فيه البلاد المقدسة تحت سيطرة الباب العالى الضعيف المتداعى . لم يكن للحج أى صبغة سياسية . فقد كانوا يستغلون الحجاج استغلالا ماليا ، ولكنهم ما كانوا يثيرون روح العصبية فيهم . أما اليوم فإن ملك الحجاز وهو يعتبر الوارث لملك محمد يرمى لمصلحته الى تأسيس الوحدة الدينية للخمسائة مليون من المسلمين المنتشرين فى قارتى آسيا وأفريقيا .

لذلك ترى الحجاج الذين يعودون الى أوطانهم من مكة مصابين بضرب من الجنون المقدس . وبنوبة من العقيدة الوجدانية يوشك عود الدين الحق المنزه عن البدع . وقد لاحت لى فرصة للتحدث طويلا فى هذه الايام الاخيرة مع شباب عربى أخذ بعضا من ثقافته من مدارسنا وهو يفيض حماسة وطنية ، فأكد لى ان الاسلام على وشك أن يخرج من كهف الظلمات التى غمره فيها جبن رؤسائه ووساوس الدمى قرونا طويلة . فالاسلام عنده هو القرآن هو كل شىء ولا شىء غير القرآن . وقد جره هذا الإيمان الى مدى بعيد ، وعلى هذا الضرب من التحمس كان يخبرنى باعجاب عن حالة الأمن بالحجاز وما يلاقىه السارق هناك من المحاكمة على أسلوب القرآن والحكم عليه بقطع يده ، لأن هذا هو الذى قرره نبي الاسلام .

كنت أستمع اليه وأفكر فيما يكون عليه من الغزابة الوطنى الفرنسى ، وقد يصل الى درجة النيابة عن الأمة ، وما كان يأتى من الأعمال اذا كان كتب النجاح لمشروع بلوم فيوليت ونال امثال محدثى هذا الحقوق السياسية كاملة .

ليس الحجاج وحدهم ينفردون بنشر هذا المذهب الرمزى ، ولكن يشاركونهم فى اذاعته كبار أهل الاطلاع والعلماء والإدباء المتخرجون فى جامعات دمشق والقاهرة المتضلعون فى القرآن فانهم يبشرون بالمساجد والزوايا أو الرباطات التقاليد القديمة والمذاهب والعبادات والأعمال التى تتفاوت فى درجات غلواتها وياخذ بها المسلمون الحاليون . فهؤلاء المتعلمون الذين يدعونهم بعلماء الدين

يوقدون على الدول الحامية وعلى من يمالئها من الرؤساء السياسيين والدينيين حرباً عواناً ، وقد أصبحت نتائجها محسوسة للدرجة القصوى .

هؤلاء العلماء يعلنون خيانة المرابطين للدين فانه في سنة 1830 م ، كان يوجد بالبلاد المغربية رجال محترمون يقال لهم المرابطون ، وكان مصدر سلطانهم على الناس انهم من ذرية محمد ، وكانوا يعيشون مما يرد عليهم من هدايا المؤمنين ، فلما تعين المشير بوجو BUGEAUD احترم هؤلاء المرابطين وبذل لهم حمايته وامدهم بالانعامات عن سعة ، واستمدت معونتهم كل حكومة قامت في تلك البلاد ، وكان منهم أصدقاء كثيرون مخلصون لفرنسا ، وكان متى قال احد المرابطين : (اذا كنا قد أصبحنا فرنسيين فقد أراد الله ذلك ، وهو على كل شيء قدير فاذا أراد ان يكسح الفرنسيين من هذه البلاد فعل ، وكان ذلك عليه أمراً يسيراً لا يزيد عن كسح فتاته من تبين) . ولكنه كما ترون يمدهم بالقوة ، وهي مظهر قدرته الالهية ، فلنحمد الله ولنخضع لارادته) . كان متى قال احد المرابطين ذلك آمن كل سامع له بما يقول .

ولكن تدخل في هذا الامر العلماء ، فتراهم منذ عشر سنين يجدون في هدم سلطان المرابطين ويسحقون مذهبهم بآيات الكتاب ، ويهزمونهم في كل مجال بما يقتبسونه من أحاديث الرسول ، مما يجهله خصومهم كل الجهل . فتجدهم يقولون للمؤمنين : (ان المرابط والامام والمفتي موظفون لدى الفاتحين فهم يخونون الاسلام والمسلمين ، وانتم تعطونهم مالا ليصلوا بكم ويباركوا عليكم، والله ورسوله يردون ذلك ولا يقبلونه منكم ، فنحن الذين نعرف القرآن ونمثل الايمان الذي ارسل به محمد) .

(ويقولون للأمهات الجاهلات المتشبعات بالخزعبلات : اذا ذهب اولادكن الى مدارس الفرنسيين واتبعوا تعاليم الرؤساء الدينيين الذين رضيهم الفرنسيون فان ذكورهم يشبون مجرمين ، واناثم عاهرات .

(وقد نجح هؤلاء في حمل الناس على البراءة من مواطنيهم الذين قبلوا ان يعدوا من الفرنسيين وامتنعوا من دفنهم في مقابر المسلمين ، وهؤلاء القادة ينفذون أوامر تأتيهم من القاهرة ودمشق ومكة ، وهي المدن التي تعمل فيها جماعات خفية لتنفيذ اغراض على جانب كبير من الخطورة ، والتبعة في ذلك

تقع على الحكومة الفرنسية ، فهي التي تركت هؤلاء المتعصبين أو الخبيثين يبنون دعوتهم ، ويضعفون سلطان أصدقائنا المرابطين) انتهى .

ملاحظات على المقال :

هذا هو نص هذا المقال ، ونود ان نلاحظ ما يأتي :

(1) ان الاشتراكيين الفرنسيين كانوا أشد الناس عداوة للوطنية الجزائرية وفكرة الانفصال عن فرنسا ، وكانوا (حماة) دعوة الاندماج ومحو كل اثر للشخصية الجزائرية . لهذا يفزعون أشد الفزع من يقظة العالم العربى ، ويخشون أشد خشية من (الجامعة الاسلامية) وبمعرفة هذا ينكشف لك سر تحمس الكاتب الاشتراكى ضد فكرة (الجامعة الاسلامية) وضد أحكام القرآن .

(2) لم يكن محمد (ص) ملكا ولا صاحب مملكة ، وما كان الا بشرا رسولا ارسله الله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وما اورث ملكا لاحد حتى يرثه ملك الحجاز .

(3) ملك الحجاز - فى عهد المقال سنة 1938 م، كان هو الملك عبد العزيز بن سعود ، رحمه الله ، لم يكن له أى طموح خاص بتأسيس خلافة اسلامية يتولاها، انما كان له شعور كل مسلم فى اعتصام المسلمين بحبل الله جميعا واستمساكلهم بالعروة الوثقى ، وزوال شقائهم وسيطرة المستعمرين عليهم وعلى أوطانهم ، ولم يكن من أقطار الاسلام ناجيا من الاحتلال آنذاك سوى مملكة آل سعود ومملكة اليمن وتركيا والافغان وايران والمكائد حولهن كثير .

(4) اذا أحب أوروبى وطنه وعمل لصالح مواطنيه وكافح مستعبيهم ، وجاهد أعنف الجهاد لخلصهم فهو النبيل الشريف المستحق لكل ثناء .

كما فعل كافور ومازنى ودوقول وغارى بلدى .

اما اذا فعل نفس الفعل مسلم من أجل خلاص أمته وتحرير وطنه ، وكفاح أعدائه فهو (مصاب بضرب من الجنون المقدس وبنوبة من العقيدة الوجدانية) ! .

ميزان عجيب يزن به هؤلاء (المفكرون) الاشياء ، سواء منهم غلاة اليمين أو (رحماء) اليسار !

(5) الاسلام هو القرآن فهو رسالة الله الينا ، واحكامه هى أحكام الله وفيها الراحة والامن لمجتمعاتنا . والشرائع الوضعية لم تقض على السرقة

والفساد ولكن الاسلام قضى - بالقصاص والحدود - على معظم الفساد والمفسدين ، وفى نحو 30 عاما قطع ابن السعود 16 يدا من 16 سارقا فانتهت السرقة - او كادت من مملكته الشاسعة الارحاء بينما باريس وسكانها فى رقعة ضيقة - يقاربون سكان مملكة ابن السعود لا يأمنون على أنفسهم وأموالهم ، وضاعت الملايير وآلاف الانفس رغم ان شرطتها تزيد على عدد جند ابن سعود .

(6) رغم ان انكاتب كان اشتراكيا ، والحزب الاشتراكى كان يمنى المسلمين باعطاء بعض حقوقهم ، ومنها ما يخولهم برنامج فيوليت - انذاك - من التمتع بهذه الحقوق مع الاحتفاظ بـ (الاحوال الشخصية) فانه يستكثر على (مسلم) ان يصل الى النيابة فى البرلمان الفرنسى مع افكاره الاسلامية ليمثل اخوانه المسلمين الفرنسيين !!

وقد كان م . دالادى زعيم الراديكاليين - وهم من اليسار أيضا - اصرح من الاشتراكيين اذ قال لوفد المؤتمر الاسلامى (لا يمكن ان تنالوا شيئا من فرنسا ما دمتم متمسكين بالاحوال الشخصية ، وفرنسا مدافعها قوية ١٠٠ وهذا ما كان يعلمه ويتحققه (العلماء) من قبل ، ولهذا شددوا فى ان (يجمع) المسلمون على اشتراط الاحتفاظ بالشخصية الاسلامية . حتى لا يتحقق مشروع فيوليت ويزول خطره .

(7) تدخل (العلماء) احبط عمل فرنسا ، وأبطل مفعول مكيدة (بيجو) منذ عهده ، ولم يفدها (احترام) المرابطين وبذل حمايتها لهم وامدادهم بالانعامات عن سعة . وقد بالغت فى ذلك ، وكان ماريشالها ليوطى فى المغرب يدخل مقام (مولاي ادريس) حافيا مطاطىء الرأس ، لكنه كان يدوس الشعب المغربى وكرامته ودينه بحذائه العسكرى .

(8) الثقة بالمدارس الفرنسية ثقة عمياء ، واعتماد افكارها وتربيتها واسلوبها وثقافتها - دون حماية من التربية الاسلامية والاخلاق الوطنية - قد يؤدى - حقا - الى المآل الذى رواه من قول العلماء للمواطنين ، فالمتجنسون - الذين خانوا دينهم وامتهم وقوميتهم - كانوا من الذين وثقوا بهذه المدارس .

(9) رغم ان الكاتب اشتراكى ، ومقاله مكتوب لجريدة اشتراكية فانه يغرى بهؤلاء العلماء ، ويجعل تبعة نجاحهم فى أعمالهم - فى ايقاظ الروح الدينية

والقومية فى أمتهم - (تقع على الحكومة الفرنسية فهى التى تركت هؤلاء المتعصبين الخبيثين يبتون دعوتهم ويضعفون سلطان أصدقائنا المرابطين .

10 - لا شك ان القارىء ادرك حكمة ابن باديس فى قوله : (لا واي لنا فيما ينشر فى هذا الباب) .

فانه يترك للقارىء حرية الحكم ، ومعرفة الخبيث من الطيب ، والصديق من العدو .

الفصل الثانى :

محاولة تحطيم النهضة العربية الاسلامية بالجزائر

ذهب م . ميرانت من ادارة الشؤون الاملية مذهباً مدحوراً ، وخلفه فيها مستشرق (عالم) بالعربية والقانون هو (م . ميو) ، جرى به من الاقسام الدراسية حيث كان يعلم الطلاب الى ادارة حكومية مملوءة بالمؤامرات والمغامرات والدسائس والمكائد الفاجرة ، وقد حاول ان يغير أسلوب سياسته - مع الاحتفاظ بالجواهر - من الارهاب والعنف الى شىء من المرونة والكياسة واللين والمساومة . ولكنه لم يستطع ، واستمرت هذه الادارة فى أسلوب المغامرات والمؤامرات والعداوة السافرة للقومية الجزائرية التى كان من أبرز مظاهرها حركة جمعية العلماء قبل انتصاب الحركة الوطنية السياسية بالجزائر ، وبديل أن ينجح (العالم م . ميو) فى انقاذ حكومته وادارته من الفساد غرق فى عفوناتها واقتارها الى الرقبة ، فقد كان من أفجر ما دبر فيها من جرائم قضية اغتيال المفتى المالكى الشيخ ابن دالى عمر محمود الشهير باسم (كحول) ، كما دبر اغتيالاً آخر بمدينة قسنطينة ضد الشيخ (أحمد مرازقة) الشهير بالشيخ الحبيبى (1) لكن الله سلم ، ونجا الشيخ أحمد رحمه الله . وكان

(1) توفى يوم 10 محرم الحرام سنة 1356 هـ - مارس 1937 م ، أهله من قبيلة بنى حبيبى قرب الشقفة ولاية جيجل ، ولد بها سنة 1867 م ، وتعلم القرآن فى زاوية بن حافظ ، ثم انتقل الى قسنطينة حيث أخذ عن الشيخين عبد القادر المجاوى وحمدان الويسى ما أهله للتدريس فانتصب مدرساً بمسجد سيدى الكتانى كما كان يلقي دروساً للطلبة وللعوام بالزاوية العيساوية فانتفع بعلمه الكثير . رحمه الله ورضى عنه . =

المقصود من اغتيال ابن كحول، ومن اغتيال (الحبيباتنى) لو تم - القضاء النهائى على جمعية العلماء باتهام الشيخ العقبى بالاول والشيخ عبد الحميد بن باديس بالثانى ، والزج بهما فى السجن ، وربما تم تصفيتهما جسديا باعدامهما ، وبذلك تنتهى حياة الجمعية ، والقضية الوطنية - فى نظرهم - على اشد صورته وافظعها . ولكن الله يدافع عن الذين آمنوا فنجى ابن باديس وانتحر من حاول اغتيال الشيخ أحمد بقسنطينة وسلمت الجمعية ، واصيب العقبى بخشخشة .

وهذا ما نذكر بعضه فى هذا الفصل منقولا عن مجلة الشهاب ، ج 8، م 14 شعبان 1357 هـ أكتوبر 1938 هـ .

قضية الاستاذ العقبى :

ومصرع الامام ابن دالى عمر كحول

لم يتعين بعد تاريخ النظر فى هذه القضية الهائلة التى ادمت القلوب وحزت الانفس . ولا يزال المحامون يبذلون جهود الجبابة لانتشال البرىء النزيه من بين مخالف التهمة الفظيعة التى نسجت خيوطها فى الظلمات اكف لا تخاف الله ولا تراقب الشرف ولا تخشى تقريع الضمير .

هذه المأساة الفظيعة لا تتعلق بالطيب العقبى وحده ، بل هى مأساة تتعلق بكل جماعة مصلحة مستنيرة من الاوساط الاسلامية بهذه الديار ، فما نكب العقبى الا من أجل فكرته التى هى فكرتنا وما ضربوه اذ ضربوا الا وهم يقصدون ان تنال الضربة ماديا وأدبيا كل فرد من جمعية العلماء . والشيخ العقبى - وان تخلى عن عضوية المجلس الادارى لما رفض الاجتماع العام نظريته فى مسألة البرقية المشهورة - ما تزال قضيته قضية الجمعية كلها ، ونحن حين نعلن التضامن التام مع الطيب العقبى فى هذه القضية ، انما نتضامن مع الحق وننحاز حول الانصاف ، وندافع دفاع المستميت ضد كارثة لا يريدون ان ينزلوها على رأس فرد بل يريدون ان يصيبوا بها قوما ،

= عن (النجاح : 15 محرم 1356 هـ - 28 مارس 1937 م) .
وكان تقيا زاهدا بعيدا عن الشبهات محبوبا من الناس كلهم . وخرج فى جنازته ابن باديس وطلبته . (م . ع . بستانجي مصححه) .

وينكبوا بها فكرة وبحطموا بها النهضة العربية الاسلامية فى هذا الوطن ، وما هم ببالغين من مأربهم الخبيث شيئا . فما كان الله ليخذل البرىء المتكل عليه ، وما كانت العدالة النزيهة بناصرة البغى والعدوان .

ولقد كنا نشرنا فى جريدة (البصائر) منذ بضعة أشهر مقالا تحت عنوان : (لا يعدم الحق انصارا) بنينا على جمل اختصرتها جريدة (لاديبيش) عن جريدة (البويلار) الباريسية لسان الحزب الاشتراكى والتى يرأس تحريرها رئيس وزراء فرنسا السابق م . ليون بلوم ، فى اعدادها الصادرة فى 23 جويلية الماضى وما بعده . ثم لما حصلنا على تلك الاعداد عربنا المقال بتمامه ، وها نحن نقدمه لقراء الشهاب ، ليروا كيف ينصر الحق الاحرار .

جريمة قضائية بالجزائر

تعريبا عن جريدة البويلار لسان الحزب الاشتراكى الفرنسى

جريمة قضائية تقترف اليوم بمدينة الجزائر ، وتوشك ان تغدو غلطة سياسية جديرة بالازدراء . رجل متهم ، ولا يقوم على اتهامه أى دليل مادى أو أدبى . يتهمونه بانه المحرض على ارتكاب جريمة القتل .

اما القتل فقد كان ضحيته مفتى الجزائر ابن دالى عمر الملقب بكحول ، ووقع ذلك يوم 2 أوت 1936 م .

واما المتهم فهو مسلم يعترف الجميع بان له أسمى الصفات الادبية . رجل ليس فى صفحة حياته أى خدش ، وهو مثال الطهارة الدينية والانسانية ، هو الشيخ العقبى زعيم العلماء المحترمين ، والعلماء هم المصلحون فى الوقت الحاضر فى الميدان الاسلامى الجزائرى .

والذى ألقى هذه التهمة انما هو القاتل نفسه ، هو شقى من أسفل طبقات السرقة والغوغاء : أدى به الى ذلك خوفه من مقصلة الاعدام ، وعلمه بان ما سيقوله سيصادف هوى فى نفس بعض أصحاب السلطة . فحاول ان يحط عن كامله بعض الوزر الذى يعلم انه سيتحطم تحته . وهذا المتهم (بالكسر) المدير بالعناية يدعى عكاشة .

يا لها من قضية عدلية رهيبة :

انما هي أيضا قضية سياسية • ذلك اننا وراء مسرح هذه المأساة ، وفي تلك الظلمات التي يهيئون خلالها طريقة القضاء وينصبون آلة الاعدام : نرى ايدي الادارة الجزائرية لا تكاد تخفى وجودها ، وتلعب لعب المنتقم العديم الضمير •

لا يجب - وذلك من شرف فرنسا - ان يذهب مسلم نبيل لم يصدر منه ضد فرنسا أى شيء ، ولم يرتكب ضدها أى خيانة لا يجب ان يذهب ضحية دسياسة سياسية لحمتها عمى البصيرة وسداها الفوضى •

لا يجب ان تقف الطبقات الاسلامية السليمة : بالقطر الجزائرى ، موقف النائر الموتور ضد القضاء الفرنسى ، وضد الادارة الفرنسية ، وضد فرنسا نفسها •

لا تستطيع الجزائر اليوم ، وفى هذه الظروف على الاخص ، حيث السماء الاممية متلبدة بالغيوم ، ان تفتح على نفسها قضية كقضية ادريفرس •

وسنعود غدا الى الموضوع •

اليكم تفاصيل ما حدث :

كان المفتى ابن دالى عمر يسير قاصدا المسجد حيث اعترضه أربعة من الرجال ، فتقدم احدهم نحوه وامسك رأسه ليقبله كما هى عادة الاحترام عند الاهالى • وعندما كان هذا يقبله قبله يهوذا كان عكاشة قد تمكن من اغساد خنجره فى قلب المفتى ، واما الاثنان الآخرا فكانا يقومان بمهمة الحراسة • وفى نفس ذلك اليوم تمكنت الشرطة من القاء القبض على الاربعة ، وأودعتهم السجن ، حيث لا يزال ثلاثة منهم هنالك الى يومنا هذا • اما الرابع فقد قضى نحبه •

هنالك فى السجن (طبخوا) عكاشة بكل شدة فلم يكتف بالاعتراف فحسب بل زاد على اعترافاته بيانات مدققة عن سبق الاصرار وعن تهيئة الموقع وطريقة النجاة ، وأخيرا ادعى بان بعض كبار المسلمين كانوا شركاء فى الجريمة • فى الحين وقع القاء القبض على الشيخ العقبى الذى وجهت اليه شخصيا تهمة عكاشة ، والشيخ العقبى رجل اشتهر لدى الجميع بانه الرجل النقى المومن المقتنع بايمانه •

هو رجل ولد بقطر الجزائر ، ونشأ وتعلم بالحجاز فى بلاد العرب ، وتشبع بأسرار العلم والتعاليم الاسلامية .

وبما انه من رعايا فرنسا فقد رفض سنة 1914 م، الانخراط فى سلك الجندية التركية وكان جزاء ذلك ان ذاق الام الغريب أربعة أعوام .

ثم حل بأرض الجزائر سنة 1920 م فتزعم حركة الاصلاح الدينى ، وانه بمحاضراته ودروسه ومقالاته وبنفوذه الشخصى وبعلمه ونزاهته ، قد تمكن من جمع اتباع كثيرين من حول فكرته . وخاصة بين الطبقات الاهلية المثقفة . ثم أسس جريدة وانشأ ناديا هو نادى الترقى .

وقد كان الادارى الكبير الذى زان منصب ادارة الامور الاهلية ، واعنى به مسيو لوسيانى ، عرض على هذا الرجل منصب الافتاء بالجزائر ، لكن العقبى رفض هذا المنصب احتفاظا على استقلاله وحرية علمه .

الا انه كان يرتقى منبر المسجد فى الجزائر ويعظ الناس ، حيث انه من تعاليم الاسلام وتسامحه الذى يجهله الكثير ، هو الحق لكل مؤمن ان يجهر بكلمة الحق كما يراها ، فكان العقبى يغتنم فرصة الحياذ الحكومى يومها .

وكانت خطب العقبى المقنعة تتجه بصفة خاصة ضد الطريقة التى يرى عواقبها سيئة ، ويراها متساهلة فى الدين ، عديمة الفكر ، داعية للخرافات والالوهام أو هى نوع من الاكليروس المحنط حيث يقوم الانتقام الشخصى مقام المصلحة الدينية ، وحيث تختفى آيات القرآن وحكمته العالية تحت ندالة النفعية والمطامع .

فالموظفون الرسميون المسلمون – ولا أقول رجال الدين لان الاسلام لا يعترف بطبقة تدعى رجال الدين – أقول ان متوظفى المساجد وعلى رأسهم المفتى وهم الذين يتقاضون أجرا مقابل أعمالهم . كانوا يرون بغاية الكدر والقلق انتشار هذه الافكار .

لكن لم تكن هنالك ظغينة تفصل بين المفتى والمصلح ، وكانا يجتمعان عند أصدقاء الجميع . وكذلك لم يكن ذكر لاي دعاية ضد فرنسا .

وكان المفتى الذى هو متوظف بالحكومة – ونحن نقول هذا دون أى مقصد خفى – كان رجل الادارة الجزائرية وكان مستشارها الفنى فى مسائل السياسة الاسلامية .

انما العقبى الذى كان لا يتعرض لفرنسا ولرجالها الا بكلام لا يمكن أبدا وبأى صفة كانت أن يؤخذ عليه ، لم يكن من جراء ذلك عدوا لأي أحد فى الميدان السياسى .

وفى سنة 1933 م اشتكى احد النواب المالىين وهو من أصل طرقى ضد استعمال المساجد بهذه الصفة فقرر عامل الجزائر تحجير المواعظ الحرة فى المسجد الذى كان العقبى يتكلم فيه .

اما العقبى فقد اتجه نحو الحكومة يطلب منها رفع هذه المظلمة .

ثم اتجه سنة 1936 م على رأس وفد اسلامى معتبر نحو باريس حيث اقتبله رئيس الوزراء ، ولما رجع الى وطنه ، وكان واثقا من وعود فرنسا فى التدخل بصفة متسامحة فى هذه القضية ، أخذ يحمل على خصومه بشدة فى صحيفته .

وفى نفس هذا الوقت وقع مصرع المفتى ، وستة ايام بعد ذلك ، وعندما اعترف عكاشة تحت الهراوة البوليسية بوجود محرضين على القتل ، وقمع الزج بالعقبى فى غيابات السجن ، لكنه لم يلبث غير قليل ، حيث ان عكاشة عندما وقعت مجابته بالعقبى ، نكص على عقبيه ، ونقض غزله وكنب ادعاءه السالف ودخل فى سلسلة متناقضات لم تبق لاقواله أى قيمة ، ثم استمر البحث يجرى بطرق أخرى ، ولا يزال جاريا الى يومنا هذا . رغم مرور 22 شهرا على وقوع الجريمة .

رأت السلطة القضائية انه لا يوجد أى دليل مادى أو أدبى على ادانة العقبى فاصدرت أمرها بالغاء الدعوى ضده وبرأته .

وهكذا رجعت للقضية صفتها الاصلية ، بعد ان كادت تأخذ صبغة قضية سياسية دينية ، ودخلت فى ميدان القضايا العدلية المعتادة ، وكسفت هالة التقديس التى كانت تحيط بعكاشة ومن معه ، وهم من ذوى السوابق الذين طالما حوكموا بتهمة القتل والسرقة .

كان هذا الختام حسنا انما هو لم يرض كل الناس .

ففى الحين قام (الحق الشخصى) يعترض على براءة العقبى . وهذه المرة كانت الادارة الجزائرية ، كما ستراه فى الفصل الآتى ، قد وقفت موقفا يكاد يكون مكشوفاً .

فدائرة الاتهام نقضت حكم البراءة ، وأوقفت العقبى جنبا الى جنب مع عكاشة لترسل بهما معا أمام محكمة الجنايات .

فان لم يثر الضمير العمومى فى تلك المناسبة فسترى بمناسبة المحاكمة ما يجعل نفس تشكيل المحكمة مرعبا ، وترى الصراع العنيف بين الحق والباطل لكننا قبل ذلك نريد ان نزيح القناع عن وجه الادارة الجزائرية التى هى مسؤولة عن هذه الفضيحة القضائية .

ان الادارة الجزائرية التى هى الآن بصدد تكوين انفجار من الغضب ، ان لم نقل انها بصدد تكوين العصيان والثورة فى الاوساط الاسلامية ، والتى يظهر عليها انها لا تنتبه لشيء ، انما هى ادارة الامور الاهلية التى تعمل الى جانب الوالى العام للمقطر الجزائرى .

كان القائم بالحق الشخصى والمعارض على براءة العقبى ، هو السيد ابن دالى عمر ابن المفتى القليل وهو متوظف بادارة الامور الاهلية ومتخصص فى اللغة العربية .

لكن معارفه الفرنسية لا تسمح لنا بان نظن انه هو مؤلف تلك المرافعة القانونية الشديدة التى اسماها (مذكرة) وقدمها الى دائرة الاتهام .

اما مدير الامور الاهلية ، مسيو ميو فهو رجل من اكثر الناس تعمقا فى العلم وهو مدرس الحقوق فى كلية الجزائر .

وادارة الامور الاهلية تتبع بكل دقة وعناية ، كما هو واجبها تفاصيل وذيول مقتل المفتى ، وتطور حركة العلماء المسلمين بالقطر الجزائرى .

فعندما كان العقبى بباريس عام 1936 م كان المفتى ابن دالى عمر قد اتهم بانه الساعى فى ارسال برقية الى وزير الداخلية يحلوه فيها من الانخداع لدسائس العلماء .

لكن الرأي العام الجزائري اكتشف سريعا هذا السر الصبياني وعلم ان هذه البرقية ، انما صدرت عن ادارة الامور الاهلية .

وكانت علائق المفتى المذكور بالادارة الجزائرية مشهورة معروفة ، وكانت أغلب الأوساط الاسلامية تسلقها بالسنة حداد فكان المفتي متهما - بحق او بباطل - بانه جاسوس الإدارة وعينها على المسلمين .

وفى الحقيقة ان الحملة العنيفة ضد العلماء لم تكن صادرة عن المفتى الضيق الدائرة ، بل كانت صادرة عن إدارة الامور الاهلية .

يقولون ان هذه الادارة لا تستيغ طعم الافكار الحرة التى لا تريد ان تنقيد فيها والتى يدعوها ضميرها ان تترفع عن السخافات السياسية المنحطة .

وكانت الادارة الجزائرية منذ امد بعيد مرتبطة ارتباطا وثيقا مع حالة الطريقين الذين كانوا يجتمعون حولها قصد التمعش وكانت شهيتهم تزداد حول هذه السياسة الغدائية .

يقولون ان المرابطين هم رهبان المسلمين ، انما نقول انهم على كل حال من طبقة المتسولين ، ! التأثير على المرابطين والتاثير على الامة بواسطة المرابطين، هذا هو شعار ادارة الجزائر فى حكم المسلمين .

وهذه الطريقة تشتم منها رائحة بوليسية منافية كل المنافاة للطريقة الفرنسية وللأساليب العصرية والجمهورية ، وهى منافية للاخلاق وعديمية الجدوى انما ادارة الامور الاهلية لا يهملها من ذلك اى شىء ، لانها تعبد الاستبداد عبادة وهى تحن حنينا ممزوجا بالاسف لعصر (البيروعرب) الذى كان يتيه به المستبدون عجبا .

وادارة الامور الاهلية ترجع لذلك العهد كلما استطاعت الى ذلك سبيلا . اما الاهالى المثقفون فهم يعلمون ان حبل المودة الادارية قصير معهم ، ما لهم وللتدخل هؤلاء الذين يبدون الاعتبار الذين تشور فى انفسهم عواطف الهمة والافكار السليمة ؟ ليرجعوا حلا الى قيود (التمربيط) فلا عدو الا الحرية ولا ضرر الا من الافكار ، والواجب هو مقاومة هؤلاء الجسورين ، ولتستعمل فى سبيل مقاومتهم كل الاسلحة بما فيها من سلاح الزور والبهتان .

لقد ارتكبت جناية ، ان العدو هو الذى - سلح ذراع الجانى ، فلنجره
أمام القضاء ولتدرك الحرية عظيم وزرها ، ولتعترف الافكار بحقيقة ضعفها .
قديمًا كان سلاح الجور والاستبداد يدعى الباستيل ، اما اليوم فان
الباستيل أصبح أشد هولًا من السابق ، ذلك لان الاحكام الكاذبة الخاطئة
صارت تقود اليه .

اعلموا - وانتبهوا جيدا - ان المحكمة التى سيقفون العقبى أمامها ،
ليست محكمة الجنايات الفرنسية (الكسورد اسيز) وما فيها من ممثلى
الشعب النزيهين ، بل انما هى دائرة الجنايات (الكوركريمنل) التى أسسها
الاضطهاد العنصرى بالجزائر والذى هو جدير بالقرون الوسطى ، لتكون
خاصة بمحاكمة العرب هنالك يجلس تحت رئاسة حاكم أصولى - لا تكاد
رئاسته تكون مطمئنة لسته من المستشارين أربعة من المستعمرين واثنان من
المسلمين .

واننى أخاف ولا أحاول كتمان خوفى فهو خوف هائل مبنى على فكر
وروية ، أخاف من تحيز الاربعة ممثلى المستعمرين الذين يسرون حسبما يمليه
عليهم بغضهم للعرب ، وأخاف مع ذلك وأكثر من ذلك تعصب العضوين
المسلمين وانحيازهما ان كانا من الوحدات التابعة للادارة .

حذار حذار أيها العقبى كن منتبها على يمينك وكن منتبها على يسارك ، فان
الخطر جسيم .

لكن حذار غدا من انفجار العاطفة الاسلامية ، حذار من التهاب العقل
والايمان لماذا يا ترى تحاول الادارة الجزائرية ان تكبت الفكرة الاصلاحية
الاسلامية بالجزائر ؟

ان هذه المسائل لا تخرج من الميدان الدينى الا عندما نتدخل نحن فيها ،
فيفهم من ذلك جماعة المسلمين باننا أعداء عقيدتهم وايمانهم هذا العداء
لا يجب ان يصدر منا ، وما كانت الادارة الجزائرية مؤتمرا دينيا ، وكما كانت
مدينة الجزائر بيزنطة العتيقة .

ثم ما هو الدور الذى يلعبه الوالى العام فى هذه القضية ؟ أهو الذى يديرها ؟ أم هى ادارة الامور الاهلية ؟ وهل عامل العمالة هو الذى من شأنه ان يتخذ المقررات الخطيرة وان يحتفظ بثقل المسؤولية ؟

يمكننا ان نقول بان طرائق الحكم قد أصابها الارتباك عندما اجتازت البحر . ولنرجع الى العقبى انهم يريدون فى هذه الساعة ان يحطموا الاهالى الذين بقوا فى سلام ، ويريدون ان يدنسوا حركة اصلاح دينى بما يقترفون ضد المصلح من افك وبهتان. ان الاصلاح الدينى لا يهمنى نحن معشر الفرنسيين الديمقراطيين الفاصلين الدين عن الحياة العامة .

انما الذى يهمنى هو الحق والشرف ، فلا نترك المبدأ الرهيب الذى يدوس الحق والشرف يصول فى الميدان ويجول .

واننا من أجل هذا أردنا ان نقضح أمام الراى العام الوطنى ، لتصدر فرنسا حكمها قبل ان يصدر الحكم الخطر المحرق الذى يريدون ان يصدروه .
(انتهى) .

ملاحظات على هذا الفصل :

أ - اثناء صائفة 1938 م اشتدت الازمة بين المانيا وبين الحلفاء الغربيين بريطانيا وفرنسا بسبب قضية (السوديت) فى تشيكوسلوفاكية ، وعزم هتلر على ضم بلادهم الى المانيا ، ولاحق فى الافق نذر الحرب ، واخذت الهيئات المختلفة فى الجزائر والشخصيات أيضا ! تقدم شواهد الاخلاص والتأييد للحكومة الفرنسية ، والاستعداد لبذل دماء الشعب فى حرب عالمية .

وأثناء الاجتماع السنوى للجمعية فى سبتمبر 1938 م - بنادى الترقى - جاء الشيخ العقبى العضو الادارى بنص برقية من هذا النوع (تطبل بها الجمعية مع المطلبين وتزمر مع المزميرين) حسب تعبير ان باديس رحمه الله وأراد ان يوافق عليها المجلس ويمضيها الرئيس ، فكانت موضع الرفض واستنكرها المجلس ، وعرف أين كتبت ومن الذى أشار بها ، واعلن ابن باديس أنه لن يمضيها ولو قطعوه اربا اربا . ولكن الشيخ العقبى هدد اخوانه باستقالته من الجمعية ان لم تمض البرقية فلم يفد تهديده ، وانفض الاجتماع

الخاص ، وخرج الامر منه الى الاجتماع العام فاعلن فيه عزمه ذاك ، وأعلن ابن باديس عن السبب ، فكان الاجتماع على تأييد موقف المجلس وابن باديس واستنكار تقديم أى تأييد لموقف استعمارى ، قد يجر الامة الى سفك دماء غزيرة من أبنائها فى حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل .

كانت هذه البرقية موعزا بها - أو كتب على الاصح نصها - فى ادارة الشؤون الالهية مثل البرقية التى امضاها كحول من قبل .

وهكذا كانت خيبة مرة لميو وادارته ، وكانت نصرا مبينا . اما الخيبة فى الصفة التى تلقاها من الجزائر الوطنية الابية برفض البرقية .

واما الانتصار الذى حققه فى فصل الشيخ العقبي عن جمعية العلماء نهائيا . اذ استقال بعد انتخابه ببضعة ايام .

(2) يهوذا هو احد تلاميذ المسيح عليه السلام ، وهو الذى خانهُ ، ودل اليهود على مكانه ليقتلوه ، فرفعه الله اليه ، والقى شبه المسيح على يهوذا ، فلما دخلت اليهود وجدوا امامهم يهوذا فاخذوه ليقتلوه بعد أن القى الله عليه الشبه فاستنكر ذلك منهم فلم يفده ولم ينجه فقتلوه وصلبوه معتقدين انه المسيح (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) .

(3) محمد عكاشة احد ارباب السوابق ومحترفى الجريمة ، سلط عليه العذاب فاعترف ان الشيخ الطيب العقبي - بحضور محمد واعلى عباس التركى - رحمهما الله - هو الذى أمره بقتل المفتى ، واعطاه السلاح ، وعندما وقعت المواجهة أمام قاضى التحقيق خاطب الشيخ العقبي عكاشة وقال له ما فحواه (يا محمد انت اسمك محمد باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف تكذب هذه الكذبة وتتهم الابرياء ولا تخاف الله ؟) فاخذ الرجل يبكى متأثرا ، ورجع عن اعترافه الذى وقع تحت العذاب ، فافرج عن الشيخ الطيب وزميله فورا - بعد ستة ايام فى السجن - افراجا مؤقتا ، ثم أصدر قاضى البحث حكمه بالبراءة وعدم التتبع (نوليو) فاعترض عندئذ القائم بالحق الشخصى . فاصدرت غرفة الاتهام حكمها بنقض البراءة . وقد حوكم الشيخ عام 1939 وصدرت البراءة فى حقه وحق عباس التركى ، وادين عكاشة ولكنه لم يعدم .

4) حكاية رفض الشيخ العقبي للانخراط فى سلك الجندية العثمانية للسبب الذى ذكره نستبعدها ، واعتقاله اثناء الحرب قد يكون للاشتباه فيه بانه من فتيان النهضة العربية ، وقد نكل جمال باشا - جزار سوريا - بكثير من أبطال العرب ، وكان الشيخ العقبي من محررى جريدة (القبلة) لسان حال الملك حسين (ملك العرب) الذى لعب به الحلفاء وسخروه لعونهم على وعد ان يعلنوه ملكا على كامل بلاد العرب التى كان الاتراك بها . وقد بلغنى ان العقبي بقى بالاناضول معتقلا مدة عامين . ثم رجع عام 1920 فاعتقلته فرنسا مدة شهرين .

5) كان الشيخ العقبي زعيما من زعماء الاصلاح حقسا . ولكن سبقه الى الميدان الاستاذ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، وكان يعمل فى هدوء وسكوت واناة وبرهان ذلك شهادة الاستاذ محمد الهادى السنوسى والاستاذ محمد سعيد الزاهرى وكلاهما تتلمذ عليه قبل هذا التاريخ . انظر كتاب : « شعراء الجزائر » .

أسس جريدة الاصلاح فى بسكرة عام 1927 م ، اما نادى الترقى ، فانه ليس هو الذى أسسه ، وانما استدعى بعد تأسيسه ليحاضر فيه .

6) لم يكن منح العلماء الاحرار من دروس المساجد نتيجة شكوى النائب المالى الا ظاهرا فقط ، والحقيقة انه تدبير من الحكومة الفرنسية والحاكم العام باشارة من ادارة الشؤون الاهلية ، وسبب ذلك ما فى هذه الدروس من تأثير شديد على سلطة الاستعمار ، وما يخشى من ايقاظ الراى العام وتهيجه ، كما تقدم فى الفصل السابق عن جريدة (البوبلير) .

7) حقا ان الاستاذ ميولر هييب ! فبينما هو يلين للعقبى ، ويستقبله اذا هو زاره باستدعاء منه احسن استقبال ، اذا به يعمل جاهدا لتوريطة ، وسوقه بعنف نحو المقصلة كما يكشفه هذا الكاتب ، وحينما كتب المقال كان العقبي ما يزال عضوا بالجمعية ، فادانته ادانة لبقية أعضاء الجمعية كلهم ، ولهذا ابى ان (يعفيه) من التهمة وسلط عليه القائم بالحق الشخصى ، وهو متوظف بادارته لا حول له ولا قوة ، الا أنه ابن ضحية هذه الادارة ولا يبعد أنه اشترط عليه للبراءة ان يتبرأ العقبي من الجمعية .

(8) كانت هذه الادارة معتادة مثل هذا اللعب ، وكلما توجه وفد ل (طلب) قدر طفيف من الحقوق سبقه سيل من البرقيات المضادة من المفاتي والقضاة ورجال الدين والطرق وبعض النواب ، وكان الرأى العام قد اعتاد هذا وعرفه فلم يعد يعبا به .

والحقيقة هى ما جاء فى المقال (ان الحملة ضد العلماء لم تكن صادرة عن المفتى .. بل كانت صادرة من ادارة الامور الاهلية ..

حقيقة الشيخين وسرهما

ولم يكن الشيخ محمود كحول خاملا ولا جامدا ولا أبله فهو مثل الشيخ مولود ابن الموهوب مفتى قسنطينة الذى أعلن الافكار الاصلاحية فى الوسط القسنطينى وحارب أنواعا من البدع (2) لكن داء الرجلين انهما كانا من أطوع الناس للادارة الاستعمارية فى تنفيذ أغراضها ، والتهالك على عتبتها ، وتقديم رضاها على رضى الله ، وعدم المبالاة باتجاه الشعب ، فكان أمرهما عجيبا ، ولعل هذا ما أدركه الشيخ حمدان الوئيس فنفى نفسه - بنفسه - من الجزائر ، ثم أخذ العهد على تلميذه ابن باديس الا يقرب الوظيف ولا يستعمل علمه للوصول اليه .

(2) ولد سنة 1283 هـ (1866 م) ، وتوفى فى 1358 هـ (1939 م) ، وكان أديبا لامعا يكتب النثر ويجيد الشعر ، ويؤيد الاصلاح حتى اذا اصطدم المصلحون بالاستعمار كان فى صف الاستعمار يرسل باسمه البرقيات أعنى يمضيها .

فهرس

7	الاهداء
9	مقدمة الكتاب
	القسم الاول
19	السنة والبدعة
27	البدعة والتقليط فيها
30	بغض السلف للبدعة وأهلها
31	المتصوفة والبدعة
32	هل فى البدعة مستحسن ومستهجى ؟
37	التأمر بالمعروف والتناهى عن المنكر من نصر السنة وقمع البدعة
39	فعل البدعة فى افتراق الكلمة
49	افكار على البدعة فى العصر الحديث
54	الطائفة الظاهرية
	☆ ☆ ☆
57	الدعوة الاصلاحية وزعيمها ابن باديس
60	أول صدام عنيف بين الاصلاح والحلول
69	رسالة جواب سؤال عن سوء مقال
71	مضمون السؤال وتفصيل الجواب
72	المقدمة فى وجوب الادب مع النبى (ص)
76	الفصل الثانى فى بيان حرمة مخاطبة النبى (ص) بمثل هذا الخطاب
77	الفصل الثالث : ان العارفين ارسخ الناس قدما فى حب النبى (ص)
79	الفصل الرابع فى بطلان عذره
79	الخاتمة فى نصيحة نافعة ووصية جامعة
	التقاريف :
80	تقريظ العلامة الشيخ محمد النخلى القيروانى (تونس)
81	تقريظ العلامة الشيخ بلحسن النجار المفتى المالكى (تونس)
81	تقريظ العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام (تونس)
81	تقريظ العلامة الشيخ محمد الصادق النيفر قاضى الجماعة (تونس)
82	تقريظ العلامة الشيخ معاوية التميمى
83	تقريظ العلامة الشيخ شعيب بن على شيخ علماء تلمسان
84	تقريظ العلامة الشيخ مولود بن الموهوب مفتى قسنطينة
86	تقريظ العلامة الشيخ العابد بن أحمد بن سودة من علماء المغرب

86	تقريظ العلامة الشيخ مولاي محمد بن العربي
87	تقريظ العلامة الشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر (المغرب)
	☆ ☆ ☆
89	رد الفعل
93	السطو بالشيخ عبد الحميد بن باديس
94	فاجعة الفتك بالاستاذ
95	شجاعة وقوة بدنية وروحية
96	عزيمة وتصميم
96	الاخطار التي تهدد خادم الامة
97	شكر عام للاحساس العام
98	شاهد عيان يروى الحادث كما وقع
101	الاستاذ محمد الصالح بن عتيق شاهد العيان
104	الصحافة العربية وحادث الاعتداء
106	حول حادثة الفنك
106	البلاغ الجزائري وحادثة الاعتداء
109	صحيفة الشورى والاعتداء
110	مجلة الفتح والاعتداء
	☆ ☆ ☆
112	اعتداء جديد على مدير الشهاب
114	من هو أحمد بوشمال ؟
116	عجز عن القول فاضطر الى الضرب
118	اثر الحادثة وسببه
120	الى الامام
122	حركاتنا ذاتية
124	ما مع مثلك يتكلم يا جودى !
128	تكرر الاعتداء على اصحاب الشهاب
130	اصحاب جريدة « النجاح » الصحافة الفرنسية :
139	محاولة قتل صحافى أهلى
143	دعاة الباطل والضلال
144	على نمط راسبوتين
147	فى مجلس الجنايات : خمس سنوات فى السجن المضيق

149	اهى جناية عادية ومسألة فردية
150	مسكين ذلك الشقى العليوى مسكين
152	آخر محاولة للسطو بالشيخ ابن باديس
155	ملحق أخير

القسم الثانى

159	هذا القسم
159	الفرسان الثلاثة وتسابقهم فى الميدان
160	فساد فى اللفظ والمعنى
161	نشأة الطريقة العليوية (الشيخ أحمد عليوة من هو ؟ وما هو ؟)
164	شيخه فى السلوك
165	تجديد الشيخ فى الطريقة
166	الخلوة
166	كتاب الشهاد والفتاوى
168	أسلوب جديد فى المقاومة
169	عبادة الله بالرقص
170	رقص وغناء يرفع الى حضرة القدس
170	افتراء على الصحابة
171	وضع حديث عن أبى بكر (رضى الله عنه)
172	النسبة الصحيحة لذكر الصدر
173	ولله الاسماء الحسنى
174	الرقص عند الذكر فعل اليهود
	☆ ☆ ☆
175	القول بالحلول ووحدية الوجود
176	انكار الفقهاء واهل الفتيا
177	الشطحات متى يؤخذ عليها ومتى لا ؟
178	ابن باديس يهاجم (شطحة) خطيرة
178	(الشهاب) يهاجم الرقصات والشطحات
179	القوم فى الحضرة
182	هل للشيخ بن عليوة شطحات ؟
184	رواية لسان الدين
184	رواية ثالثة للشيخ الوارزقى

☆ ☆ ☆

- 187 أقوال فضيعة في جانب الله : اصرار عجيب
189 ايقاظ وان ناموا
- ☆ ☆ ☆
- 191 استدراج الشيطان وتحديه للرحمن
193 لا سلطان لابليس على الصالحين
- ☆ ☆ ☆
- 195 الفرسان الثلاثة وسلسلتهم
196 اسناد الطريقة
- ☆ ☆ ☆
- 201 تسابق هؤلاء الفرسان في ميدان الجهر بالسوء من القول
201 من أقوال الشيخ بن عليوة
203 فساد في اللفظ والمعنى
204 اخذ علم الباطني وكنمان الرسول ؟!
205 نوم يغني عن ذكر الله
206 اثبات الجهة لله
206 الواصلون وعلامة وصلهم
207 الله كل شيء في الوجود
209 تأكيد القول بوحدة الوجود
209 عن شيخه ورث الحلول : ارتقى للالوهية
210 ليلى وعاشقها
212 هو ذات الرحمان
213 فريد في الزمان والكل دونه !
214 تالله لست سواء
215 مع ليلى اشف الغليلا !
215 جنة رضوان في مستغانم
216 فتشت عليك يا الله !
217 هو عينك لست سواء
217 حاكي الكفر ليس بكافر
219 اهو أغراض وصدود ؟
222 خيال سقيم
- ☆ ☆ ☆
- 224 الفارس الثاني : محمد بن الحبيب
225 التلميذ نسخة من أستاذه

226 الكون فى قبضته
 228 رؤية الله جهرا !
 228 قول بنى اسرائيل ومآلهم
 228 ضريحه البيت المعمور
 229 رفع الحجب ومشاهدة الله
 230 الخمار الاعظم
 230 كل قطب وكل ولى خاضع له
 231 الفلك الدوار فى قبضته

☆ ☆ ☆

233 الفارس الثالث عدة بن يونس
 234 من رآه رأى الله - تعالى الله
 235 انت مخلوق ولست مخلوق
 236 هل يعلم رسول الله ما فى الضمائر ؟
 237 الموتى يتكلمون
 238 من رآنى رآه فى حلتى
 238 مولى سطوة
 239 عبد الله ام عبد مخلوق ؟
 240 خاتمة هذا القسم

☆ ☆ ☆

242 النثر لا يقل نكرا وشناعة عن الشعر
 243 الشيخ من العلماء
 243 المنح القدوسيه ، فى شرح المرشد المعين بطريقة الصوفية
 244 لابن عاشر ظاهر وباطن
 244 التنويه بعلم الباطن
 245 العلم والولاية والتزهد فى العلوم
 247 امثلة من المعانى الباطنية
 248 الوهية البشر
 250 انت صم لا تسمع
 251 هل العالم قديم ؟
 251 انكار المحسوسات
 252 قوله فى الطهارة والصلاة
 253 ما هى فرائض الوضوء السبع ؟

- 254 الجمعة معناها وعلى من تجب ومن يحضرها ؟
255 الذهب والفضة : الحقيقة والشرية
256 الدخول على الله !
256 صوم المسلمين وصوم (القوم)
258 الحج عند المسلمين وعند (القوم)
259 العمرة عند المسلمين وعند (القوم)

☆ ☆ ☆

- 260 توبة الانبياء والمخطئين وتوبة (القوم)
263 خاتمة : كلام أهوج ... وشيطان فى صورة انسان

القسم الثالث

- 271 العليوية - اخت القاديانية
272 اتصال بالفرق المبتدعة
273 العليوية بالجزائر (1)
276 العليوية بالجزائر (2)
277 مجلة النار تفضح القديانية وزعيمها
278 اصل ارتدادهم عن الاسلام
281 بقايا الباطنية
282 سورى مغرور يدعى النبوة
283 تكذيب أوروبا للدينين الجديدين

☆ ☆ ☆

- 285 الاتصال برجال الكنيسة
285 المجلة الاملية تفضح الاتصال
286 الشيخ أحمد بن عليوة - الم رابط العصري وصديق فرنسا -
287 اعجابه بالمسيح وبالانجيل
288 استحقاقه للمكافاة
290 اطراء بمعلومات فاسدة
292 أصحیح هذا ام باطل ام مبالغ فيه ؟
297 سكوت مريب
298 براعة ابن باديس فى رد الكيد
299 حقيقة شعوره نحو « مستخدم ، الحكومة

☆ ☆ ☆

301	الاتصال بالادارة الفرنسية والتعاون معها
301	هذا التعاون قديم من عهد روش
033	نفور الشعب من العملاء
305	سعيهم لمنع الشهاب من دخول المغرب
306	نجاحهم في منع دخول الشهاب للمغرب
307	هذا ما كنا نتوقع
309	مقال لصحافي فرنسي حر
309	صحف محجورة - تعريف بالشهاب
312	مبدأ الشهاب الديني والديوي
	☆ ☆ ☆
312	الشهاب كان موضوعيا
312	تطور الشهاب بتطور الشعب
	☆ ☆ ☆
316	اتصال العليويين خاصة بالادارة
317	دعوة صاحب الشهاب القادة للمفاهيمة بالحسنى
317	تأسيس جمعية العلماء
319	تدخل فرنسي ناجح ثم الفشل
320	تأسيس جمعية علماء السنة
	☆ ☆ ☆
321	سياسة الضغط والارهاب
322	نهاية جمعية علماء السنة العملية
323	الخاتمة : في بوقاعة ، تبجس البغل
	☆ ☆ ☆
325	بيجو يحاول خلود حكم فرنسا
326	ما يقولون عنا
329	ملاحظات على المقال
	☆ ☆ ☆
331	محاولة تحطيم النهضة العربية الاسلامية بالجزائر
332	قضية الاستاذ العقبي ، ومصرع الامام بن دالي عمر كحول
333	جريمة قضائية بالجزائر
340	ملاحظات على هذا الفصل